الهلال

AL HILAL -- August 1954

أغسطس ١٩٥٤

٥ قروش

الحياة قصص

عدد ممتاز

دار المعارف
تقدم
للأولاد في جميع البلاد
سندباد
• المجلة الأولى للأولاد في الشرق العربي ، بل المشروع الأول من نوعه في البلاد العربية .
• يقبل عليها الأولاد بشغف ولذة لما فيها من متعة وتسلية وفائدة .
• لم تحز رضا الأبناء وحدهم ، بل رضي عنها الآباء والأمهات ، وشجعها المدرسون ورجال التربية والتعليم .
• فريدة في رسومها الملونة بالألوان الجذابة ، وصورها المبتكرة وعباراتها الشائقة . فهي متعة للعين والقلب والفكر .
تصدر أسبوعية منذ عام ١٩٥٢ – في صباح يوم الخميس من كل أسبوع
ثمن النسخة ٢ قرشان
السنة الأولى مجلدان ، ثمن كل مجلد منها ٧٠ قرشا
السنة الثانية مجلدان ، ثمن كل مجلد منها ٦٠ قرشا

الجزء ٨ — الهلال — المجلد ٦٢

أسسها جرجي زيدان سنة ١٨٩٢
تصدر عن « دار الهلال » شركة مساهمة مصرية
رئيسا تحريرها : اميل زيدان وشكري زيدان
مدير التحرير : طاهر الطناحي

أول أغسطس ١٩٥٤ — ذو الحجة ١٣٧٣

بيانات ادارية

ثمن العدد : فى مصر والسودان ٥٠ مليما — فى الاقطار العربية عن الكميات المرسلة بالطائرة : سوريا ٧٠ قرشا سوريا — فى لبنان ٧٠ قرشا لبنانيا — فى شرق الأردن ٨٠ فلسا — فى العراق ٧٥ فلسا

قيمة الاشتراك عن سنة (١٢ عددا) : فى القطر المصرى والسودان ٥٠ قرشا صاغا — فى سوريا ولبنان (بالطائرة بواسطة شركة فرج الله ببيروت) ٧٥٠ قرشا سوريا أو لبنانيا — فى الحجاز والعراق والأردن ٨٠ قرشا صاغا — فى الامريكتين ٤ دولارات — فى سائر انحاء العالم ١٠٠ قرش صاغ أو ٢٠/٦ شلنا

مركز الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب بك (المبتديان سابقا) القاهرة — مصر

المكاتبات : مجلة الهلال — بوستة مصر العمومية — مصر
التليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاسكندرية : ٢ شارع اسطنبول تليفون ٢٠٦٤٨

الاعلانات : يخاطب بشأنها قسم الاعلانات بدار الهلال

محتويات هذا العدد

نخبة من القصص الفنية لكبار القصصيين فى الشرق والغرب

صفحة

مجلة الشرق الأولى

٦٢ سنة فى خدمة العلم والادب والثقافة

صفحة

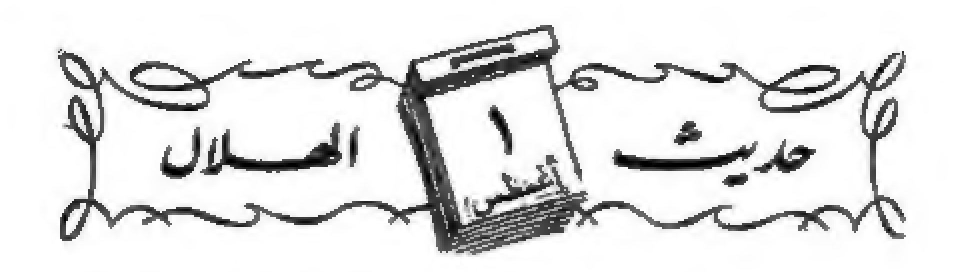

الحياة قصص : الحياة الانسانية منذ نشأت على الارض سلسلة من القصص القصيرة والطويلة ، والضاحكة والباكية والغريبة ذات الخطر ، والعجيبة ذات العبر . ولقد بدأت حياة آدم وحواء بقصة الشجرة التى أخرجتهما من الجنة ، واصيبا بمأساة هابيل وقابيل ، بل كان وجودهما قصة البشرية الكبرى .. وما من عصر من العصور الا كان زاخرا بالقصص ، وما من كتاب مقدس الا جمع ألوانا كثيرة من قصص الحياة ، وما من تاريخ الا كان مجموعة من قصص الأفراد والجماعات ، وما من خيالات قصصية ، ومؤلفات روائية الا كانت مستمدة مما يعيش الناس فيه من أحداث وطباع وأخلاق وعادات ، ومسرات واحزان

ولعل القصة هى اقدم الوان الادب ، لأنها تصور حياة الناس وأسلوب معيشتهم وتكشف عن ميولهم ، وما يقدسونه من مبادىء ، ويسيرون عليه من عادات . وليست قصة « أوبا أونر » أحد كهنة الفراعنة وسحرتها الا لونا من هذا الادب الذى يتضمن العظة والعبرة ، وينقل لنا جانبا من حياة الاقدمين .. فقد كانت زوجة هذا الكاهن فتاة لعوبا عشقت فتى جميلا كان يتردد على حديقتها ، ويستحم فى بحيرة هذه الحديقة . وكان البستانى يتغافل عنه لأن زوجة الكاهن تصله بصلات ، وترضيه بمكافآت . وذات يوم قصر فى واجبه فنهرته وانذرته بالطرد اذا عاد لفعلته ، فأسرها فى نفسه ، وحلف ليفشين سرها .. وكان « أوبا أونر » مسافرا مع الملك « نب ــ كا » فلما عاد انباه البستانى نبأ هذا الفتى وتردده على الحديقة ، فغضب الكاهن ، وعزم على الفتك بغريمه ، فصنع تمساحا من الشمع ، وقرأ عليه بعض تعاويذه ، وقال له : « كل من أتى الى هذه البحيرة اقبض عليه » ثم أعطى البستانى التمساح ، وقال له : « اذا جاء الفتى ونزل البحيرة ، فارم التمساح فيها » !

فلما جاء الفتى كعادته ، ونزل البحيرة ، رمى البستانى التمساح الشمعى ، فانقلب تمساحا حيا كبيرا ، فقبض على الفتى بفكيه ، ولم يستطع الافلات منه واقبل الكاهن فرآه على هذه الحال ، فذهب توا الى الملك ، واطلعه على هذه الحيلة ، فحضر الملك « نب ــ كا » ووزراؤه ، وابصروا الفتى يصرخ وهو فى فم التمساح ، فدهشوا . ثم امر الكاهن التمساح ان يتركه

الفتى ، فتركه وعاد تمساحا من الشمع ، فعجب الملك ، ثم أمره أن يعيده حيا ، فأعاده ، فقال الملك : « أيها التمساح خذ فريستك ! » فهجم على الفتى ، وحمله بين فكيه ، وغاب به في جوف البحيرة !

تلك قصة من قصص أوراق البردى التي حصلت عليها « مس وستكار » والمحفوظة الآن بمتحف برلين ، وهي تحكي لنا جانبا من حياة الفراعنة ، وعاداتهم ومعتقداتهم ، كما تصور الخيانة والغيرة ، والانتقام والدفاع عن الشرف ، وعقاب المجرم الخارج على نظام الجماعة . وهي في الوقت نفسه قصة من قصص الحياة تتناول مشكلا من أقدم مشاكل المجتمع ، وهو الحب الآثم والتنافس العاطفي حول المرأة !..

القصة في التربية : وقد كانت القصة في الماضي تروى للعبرة والتسلية ، وما زالت العبرة والتسلية عنصرا هاما في القصة ، ولكنها في العصر الحديث أصبحت رسالتها لا تقتصر على ذلك ، بل تحوي دراسات ممتعة للأشخاص والحوادث ، وتحلل بأسلوبها الفني النواحي النفسية ، وتهدف الى حل مشكلة من المشاكل الاجتماعية ، وتتضمن رياضة ذهنية ، كما تتضمن طائفة من تجارب الدنيا ، ودروس الحياة . وهي من أجل ذلك فن يفيد الناشئة ، وقد عنيت الأمم الراقية بدراسة القصة في مدارسها وجعلها مادة من مواد الدراسة . وقد ذكرها أفلاطون في جمهوريته حين تكلم عن تربية طبقة الحكام ، كما أوصى سقراط بها حينما دار الحوار بينه وبين ديمننس عن تربية الأطفال ، اذ قال سقراط :

ــ انى أفضل أن نضم القصص الى الموسيقى في تربية الأطفال . وهناك نوعان من القصص أحدهما وهمي والآخر حقيقي ، ولنبدأ بالوهمي ، على أن الوهمي يوصف بذلك ، ولكن مغزاه حقيقي ، فلنرو الأطفال الأساطير قبل تمرينهم على الألعاب الرياضية ، ويجب علينا أن نشرف على واضعي الأساطير ، واختيار أصلحها ونبذ ما لا يصلح »

فالقصة لها شأنها في غرس الفضائل الانسانية في الأطفال ، واستغلال ميولهم الى المحاكاة في تصوير البطولة والشجاعة والوطنية وغيرها من المثل العليا . ولقد كان لكتاب كليلة ودمنة في اللغة العربية ، وقصص جان دولافونتين في اللغة الفرنسية أثرهما في التربية ، على الرغم من أن أقاصيصهما تروى عن الحيوانات ، فان في حياة الحيوانات عبرا كثيرة ، ومعارف شتى . وقد قال سليمان الحكيم للكسلان : « عليك بالتعلم في مدرسة النمل » !

أول رائد للمسرحية العربية : والقصة بمعناها القديم موجودة في الأدب العربي ، كما هي موجودة في سائر الآداب . وهو زاخر بالقصص الأدبية ،

والتاريخية ، والاجتماعية والفكاهية . ولكنها بمعناها الحديث ترجع الى نحو خمسة وثمانين عاما . وقد ظن بعض الكتاب ان مصر كانت خالية من القصة الحديثة والمسرحية فى اسلوبها العصرى ، ولم تظهر الا منذ اربعين عاما فى احدى المحاولات ، ولكن الواقع ان القصة العربية الحديثة يرجع عهدها الى سنة ١٨٦٨ وهى السنة التى تأسست فيها دار الأوبرا ، فقد الف المرحوم محمد عثمان جلال فى نحو هذا العام او بعده بقليل مسرحية « المخدومين » التى مثلت فى الاوبرا ، فكان أول رائد للمسرحية العربية ، ثم ترجم رواية « ترتوف » لموليير ، وتصرف فيها تصرفا جعلها ملائمة للحياة الشرقية ، ومثلت عدة مرات باسم « الشيخ متلوف » ، وترجم قصة « بول وفرجينى » بأسلوب مسجع قبل أن يترجمها المنفلوطى بعدة سنوات كما ترجم قصص لافونتين بالشعر العربى . والف قصصا شعرية قصيرة تتضمن كل منها عبرة اخلاقية او عظة اجتماعية . ونذكر من ذلك قصة « الصياد الجبان » :

« وحكوا ان صائدنا راح يوما … للخلا فى مراتع الغزلان
فرآه للحطاب قال له ارجع … ها هنا السبع شعلة النيران
قال : ما السبع انما هو قط … حكمه سائر على الفيران
انا لا ارهب الوحوش وعندى … فى يمينى صفائح اليمانى
وعلى ساعدى كنانة نبل … وكلابى حولى وتحتى حصانى
ثم ما تم القصيدة حتى … جاءه السبع بغتة فى المكان
فجرى بالحصان منه وولى … خائفا هاربا لدار الأمان
كل من يدعى بما ليس فيه … كذبته شواهد الامتحان »

وقد الف وهبى تادرس ناظر مدرسة السقايين القبطية سنة ١٨٨٥ مسرحية يوسف الصديق وقد مثلها طلبة هذه المدرسة على مسرح الأوبرا لمساعدة الجمعية الخيرية القبطية ، وفى سنة ١٨٩٧ الف احمد شوقى رواية « عذراء الهند » وهى رواية تاريخية ، ولكن معظمها لا يستمد من التاريخ الصحيح ، وقبل ذلك بنحو سبع سنوات الف جرجى زيدان رواية المملوك الشارد ، واستبداد المماليك ، واسير المتمهدى ، وجهاد المحبين ، ثم بدأ ينشر فى الهلال روايات تاريخ الاسلام . وبعد هذا المجهود الضخم الذى قام به مؤسس الهلال ظهرت رواية زينب للدكتور محمد حسين هيكل ، ثم رواية عيسى بن هشام للمرحوم المويلحى ، ثم روايات المنفلوطى مؤلفة ومترجمة . وبهذا الفتح وجد لون جديد فى كتابة القصة العربية الطويلة بطريقة شائقة واسلوب فنى حديث

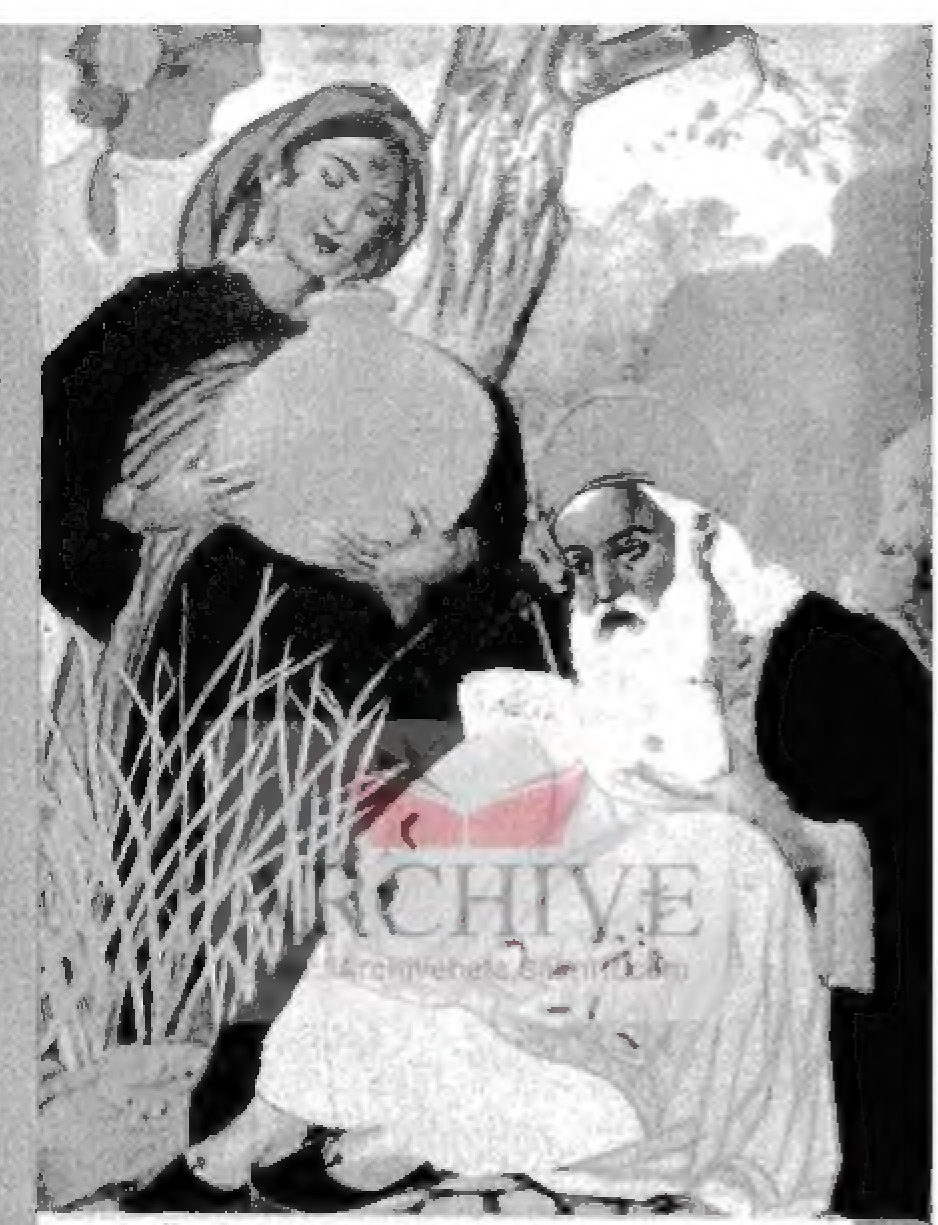

المؤلف الروائي يستوحي بطل القصة (للفنان الباكستاني أ . بلغتي)

حكمة الشهر

« كل ما كتبت من القصص هو تصوير لبعض جوانب
الحياة لا وهم من الأوهام التي لا نصيب لها من الحياة » (الآنسة مي)

وتذكرت الفتاة ان اخاها نعمان لا يشبهه الا العسل ، وهي تحبه محبة ما فوقها محبة ، فكيف تنتحر وتتركه للعصي ! لا . اذا كان لابد من الموت فلتمت بعد أن تحمل اليه ولو قليلا من الشهد الشافي

شهيدة الشهد

بقلم الأستاذ ميخائيل نعيمة

واخيرا قر راي خيزران عـلى القرار فالانتحار ، من بعد ان ضاق صدرها بجور امها . فهي لا تكاد تذكر في ما تذكر من سنواتها الاربع عشرة ، ان مر بها يوم لم ينلها فيه بعض الشتم وبعض اللطم من امهـا وكذلك اخوها نعمان ، وكان اصغر منها بسنتين . فقد كانت الام امرأة عنيفة المزاج ، قاسية القلب لاذعة اللسان . وكانت لا تطيق لولديها ان يلهـوا باي نوع من اللعب ، او ان يجلسا ، ولو لبضع دقائق ، بدون عمل يملأنه . فلا تنفك تحثهما على الشغل ، وتقرعهما على البطالة ، وتردد على مسامعهما مثل هـذه الآيات : « اليد العاطلة ملعقة الشيطان ومقرعة النحس ، واليد العاملة مطرقة الله ومفتاح السعد . قال الله : انهض فانهض معك . وما قال : اقعـد فاقعد معك . وكيف نقعد وابوكما ـ محق الله قبره ـ لم يترك لنا من عدة العيش غير هذا الكوخ وغير بقرة في آخر عمرها ! أنبقى كما نحن الى الابد ؟ لا بل نجد ونجتهد فنصبح اغنياء ، ويخدمنا الغير بدلا من ان نخدم الغير . التعب وبعده قليل من النوم . ومن تعب في اول حياته ارتاح في آخرها . الدقيقـة فرصة للكسب .. فان فاتت بدون كسب كانت خسارة ، والقروش جيوش تحمي صاحبها من الخلف ومن الامام ، ومن اليمين ومن اليسار واليد التي تربح القرش خير من التي تنفقه . وان يبذل الانسان نفسـه في سبيل كسب القرش لاشرف من ان يبذلها في سبيل انفاقه .. »

وانه لمن الانصاف لام نعمان القول

انها كانت تطبق مبادئها على نفسها بمنتهى الصرامة . فلا تستريح الا عند الاكل والنوم . وسرعان ما تفرغ في الصباح من اعمال بيتها لتمضي تغسل لهذه الجارة او تخبز لتلك من جاراتها الاوفر حظا منها بالمال والاقل حظا منها بالنشاط والاقتصاد والحكمة في تدبير شؤونهن . اما ولداها فما ان اصبحا قادرين على العمل ، حتى راحت تدربهما على كسب القرش بشتى الوسائل — وعلى الاخص في ايام الصيف — حيث يكثر المصطافون في القرية . فكانت ترسل خيزران في كل صباح لتبيع لبن البقرة لهم ولتقضي بعض حاجاتهم ما استطاعت الى ذلك سبيلا . واما نعمان فكانت تزوده باقصى ما يستطيع حمله من البقول والفاكهة والبيض لبيعها ، هو كذلك ، للمصطافين . محدد له السعر الادنى وتترك الاعلى لفطنته وذكائه قائلة : « لا ترحم الذين لا يرحمونك . ولو ارحم الاغنياء الفقراء لما كان في الارض فقير » .

وعندما يعود ولداها في المساء كانت ام نعمان تحاسبهما ادق الحساب من كل قرش وكل حركة وكل كلمة ومهما يكن نصيبهما من النجاح وافرا ما كانت تعدم سببا — ولو تافها — لتوبيخهما على اشياء واشياء . لقد كان في مستطاع خيزران — مثلا — أن تقبض خمسة قروش فوق ما قبضته لقاء تنظيفها الحمام في بيت فلانة . وكان بامكان نعمان ان يبيع « دزينة » البيض للسيدة كيت وكيت بزيادة عشرة قروش .. فهي سيدة اشتهرت بالتبذير ، والقرش عندها « لا قام ولا قعد » . لم كان في مستطاع خيزران ونعمان ان يعودا الى البيت قبل عودتهما بساعة او بعض الساعة . وان يجمعا ، وهما في طريقهما الى البيت ، بعض الحشيش للبقرة ، وبعض النفايات للدجاجات الخ الخ .. حتى انهما لولدان يغلبهما الطيش ، فلا نفع منهما . ويا ويل امهما تتعب النهار والليل في سبيلهما ليذهب تعبها جزافا . الا ليتها كانت عاقرا .. الا ليتها لم تولد ولم تلد ..

كان قد مر على اخيها خمسة ايام وهو يعاني آلام الحصبة ، عندما عولت خيزران على الانتحار . واتفق في صباح ذلك اليوم المشئوم من ايام الصيف ان ناولتها امها جرة اللبن لتذهب بها على عادتها وتبيعها للمصطافين . وزودتها ، علاوة على ارشاداتها المعتادة ، بوصية جديدة : « اسمعي يا خيزران .. اخوك مريض بالحصبة ، وخير دواء الحصبة هو العسل ، ولا عسل عندنا ، ولا مال لنشتري به العسل . فاسألي اينما ذهبت اليوم عن قليل من العسل واحرصي ان لا تدفعي قرشا واحدا افهمي جيدا ما اقول : عسل وبالمجان .. افهمت ؟ الان فانصرفي »

ابرت خيزران براسها بضع مرات لتؤكد لامها انها فهمت وصيتها ثم رفعت جرة اللبن الى كتفها وخطت خطوتين برجليها الحافيتين ، وعند الثالثة هوت الى الارض صارخة صرخة ذعر لا يوصف . لقد تعثرت المسكينة بعود في طريقها . وكان من عثرتها ان افلتت جرة الصفيح من يدها فانبعجت واندلق ما كان

فيها من لبن على التراب . فما لبث التراب أن امتصه

ما درت الفتاة المنكودة الحظ كيف تيسر لها أن تعود فتقف على رجليها لم أن تفلت من يدى أمهــــا التى أشبعتها لكما ولطما وركلا وشتائم :

« ليتها الوقعة الأخيرة بجاه رب العــــالمين . ليتنى ما عشت لألدك يا أنحس البنات . أين عيناك أليتك بغير عينين . أين رجلاك ؟ ليتك بغير رجلين . تقعين أمام باب بيتك وفى ســـــهلة لا كدرة فيها ولا مدرة ؟ لا عشت لتمشى وتقعى . بالضياع اللبن ! يا لضياع التعب ! الملك تأكلين خبز الوقف ؟ أم لعل الله ابتلانى بك لأكفر به وبنعمته ؟ سبحانك يا ربى ما هى إساءتى إليك لتعاقبنى مثل هذه المعاقبــــة ؟ لا كنت ولا كانت الساعة التى ولدتك فيها . . »

لا . . ما درت خيـــزران كيف أفلتت من قبضة أمها ، وكيف طفقت تعدو على غير هدى ، وإذا بها فى واد سحيق تراكمت الصخور فى جوفه ومن جانبيه ، والسـاب فى قعره جدول ماؤه أنقى من البلور ، وشـلوه أعذب من شدو الكنارى . ولا هى درت مدى المسافة التى قطعتها من بيتها إلى جوف ذلك الوادى . ولكنها أحست ما يشبه الجمر فى أخمصيها فانحدرت إلى الجـــدول لتبرد من حرارتهما بمياهه المثلوجة . ولشد ما هالها أن ترى الدم يتــــدفق من جراح كثيرة فيهما . ومن بعد أن غسلت رجليها وبردت جوفها أخذت تتلفت ذات اليمين وذات اليســار مخافة أن تكون أمها قد سمعت على اللحاق بها . وقد كان صوتها لا يبرح يهدر فى أذنيها فيرتجف لهديره قلبها وتتسدل غمامة على عينيها . وإذ أيقنت أن مخاوفها ما كانت إلا من نسج خيالها اطمأنت بعض الاطمئنان

وحانت منها التفاتة فإذا بالقرب منها صخرة أعجبها شكلها فكأنها الكرسى العظيم . قد تأمنبسطهما فسيح فوق الوادى فكان من الكرسى بمثابة المقعد . وارتفع القسم الآخر عموديا فكان بمثابة الظهر . وتسلقت الفتاة الصخرة من غير عناء يذكر ، وجلست على المنبسط الذى فيها وقد غمرته ظلال ناعمة . فاستأنست بسكينة الوادى وظلاله ، وكادت تنسى ما بها . إلا أنها ما لبثت أن عاودتها ذكرى ما كان من أمرها مع أمها . فانتفضت وسألت نفســهــا بصوت عال : « والانتحار يا خيزران متى يكون وكيف يكون ؟ »

وراحت تفكر فى شتى الأساليب التى يلجأ إليها القانطون من الحياة ، والتى سمعت الناس يتحدثون عنها فما كانت ترى غير أقربها إليهــــا وهو السقوط من علو شاهق . وها هى الصخرة التى من تحتها . العلها من العلو بحيث لا ينجو الساقط عنها من الموت ؟ أجل . إنها لكذلك ، وكيف يجمل بها أن تسقط ؟ أترمى بنفسها ورأسها إلى فوق أم إلى أسفل ؟ بل الأفضل أن يكون إلى أسفل . . . ذلك أكفل للموت السريع

وأغمضت الفتاة عينيها فتخيلت نفسها تهوى من حالق ، فيكاد قلبها يتـــوقف من الذعر . ثم أحست رأسها يرتطم ارتطامة فظيعة بصخرة

في أسفل الوادي . فتتشعث جمجمتها ويتطاير منها المخ في كل جانب فتأتي الثعالب وبنات آوى تلحسه من الصخور ثم ترتد الى جثتها فتمزقها بأنيابها وتكشط لحمها من عظمها ثم تزدرد اللحم وتمضي في سبيلها

في هذه اللحظة بالذات مرت من فوق رأس خيزران حمامتان بريتان وحطتا على صخرة في الجانب المقابل من الوادي حيث راحتا تتلاغيان وتتبادلان القبل في غنج ودلال ، فشغلها منظرهما عن صورة جثتها وقد عبثت بها الثعالب وبنات آوى ومر في خاطرها طيف شاب لطيف في بيت من البيوت التي كانت تبيعها اللبن . وتذكرت كيف أن ذلك الشاب أخذها مرة بين ذراعيه وعنوة عنها استرق قبلة من شفتيها المتفتحتين للحياة الانوثة . وما كادت هذه الذكرى الحلوة تغمر قلبها حتى لوحت بلسمة في عمقها . فانتفضت ووثبت واقفة . ثم التفتت الى الوراء فاذا عليها أن ترى جيشا من النحل في ذهاب وإياب لا ينقطع لهما خيط ، وأن ترى ذلك الجيش يندفع من شقوق الصخرة التي من خلفها ويعود اليه فادركت بفطرتها القروية أنها أمام خلية من النحل البري

وللحال تذكرت وصية أمها لها في الصباح فنعمان في أتون من الحمى وليس يشفيه إلا العسل . وها هو العسل في متناول يديها . وهي تحب أخاها نعمان محبة ما فوقها محبة فكيف تتركه وتتركه تشويه الحمى؟ ولعلها تذهب ببصره أو تعطل عضو من أعضائه . لا ، لا ، اذا كان لا بد من الموت فلتمت بعد أن تحمل الى أخيها ولو قليلا من الشهد الشافي

وتفحصت الفتاة الشق الذي كان ينطلق منه النحل ويعود اليه فالفته يتسع لأكثر من يد كيدها . وأبصرت عند مدخله قرصا من الشهد الناصع البياض . فمدت يدها وهي تظنها قادرة أن تخلعه من مكانه برمته . ولكنها ما تمكنت إلا من قبضة منه انتزعتها بسرعة وحاولت الفرار في الحال . غير أن النحل ، وقد هاجه حتى الجنون اعتداؤها الوقح على مملكته ، انقض عليها من كل صوب فما بقيت تدري بماذا تتقيه وكيف تتخلص من وخز إبره التي كانت تنغرس في رأسها ووجهها ، وفي يديها ورجليها ، وكل ما انكشف ولم يستتر من جسمها . فالأثواب التي كانت تستره لم تكن من الكثافة بحيث تصد عنه ابرة النحلة

كان ذلك منذ تسع سنوات ، وحتى اليوم لا زالت أم نعمان ، والدمع في عينيها ، تروي لجاراتها وجيرانها والمصطافين في قريتها كيف أن ابنها خيزران التي ما خلق الله أجمل منها صورة وأرجح عقلا ضحت بحياتها في سبيل أخيها . ذلك أنها اقتحمت وحدها خلية نحل بري لتأتي أخاها المريض بلقمة ولو بالقليل من الشهد الشافي . وكيف أنها ، وقد أوسعها النحل لسعا ، بلغت البيت في حالة التلف ، وفي يدها شيء من العسل فانطرحت ، ثم مدت يدها وقالت : « هنئا لنعمان »

وكان ذلك آخر ما نطقت به

ظل دستويفسكي – زعيم كتاب القصة الروس خلال القرن الثامن عشر – خمسين سنة . ولكنه لم يعرف السعادة إلا في أواخر أيامه !

بقلم الأستاذ حبيب جاماتي

ولد فيدور ميخايلوفتش المعروف باسم « دوستويفسكي » في سنة ١٨٢١ بمدينة موسكو عاصمة روسيا ، وكانت بلاده في ذلك الحين تجتاز مرحلة من أدق مراحل تطورها السياسي والاجتماعي

وقد وصفه معاصروه بأنه ذو قامة قصيرة وبنية ضعيفة ، شاحب اللون ، له عينان رماديتان ، ولا أثر في وجهه للجمال ، وكان هو يعرف أن هذا النقص في خلقته خليق بأن ينفر منه ذوات الجمال ، ولكنه مع هذا كان يشعر بأن في قلبه صدرا رقيقا خلق لكي يذوب صبابة وغراما بالغيد الحسان !

والواقع أن مصيبته لم تكن مقصورة على حرمانه من القوة والجمال ، فقد كان الصرع ينتابه كل يوم مرة أو أكثر ، وكان في خلال نوبات صرعه هذا يتقلص وجهه ، ولا يدرك شيئا مما يحدث حواليه بينما ينبعث الزبد من بين شفتيه اللتين يزداد شحوبهما ! على أنه كان ذا نفس كبيرة عالية ، يعرف كيف يتجلد للشدائد ، ويبدي كثيرا من الكبرياء في معاملته للناس ، ومن أجل ذلك كان أكثر مبغضيه والحاقدين عليه لا يملكون إلا إظهار الإجلال والاحترام لشخصه ، وإن سخروا منه في الخفاء !

وقد ظهر كتابه الأول « المساكين » سنة ١٨٤٥ ، وهو يومئذ في الرابعة والعشرين من عمره ، فلقي رواجا عظيما ، وشغلت المنتديات والصالونات التي يغشاها الكبراء والمثقفون في العاصمة الروسية ، بالأحاديث المختلفة عن ذلك الكتاب وأسلوبه الطريف وما ضمنه مؤلفه الشاب من آراء وأفكار جديدة

ثم أخرج كتابه الثاني « الليالي البيضاء » فلم يكن أقل نجاحا ورواجا من الكتاب السابق . وأصبح فيدور قبلة الأنظار ، ورجل الساعة أو على الأقل من رجال الساعة في موسكو

كانت مدام باناييف ، تستقبل في صالونها الضخم كثيرين من أصدقائها ذوي المكانة الرفيعة في المجتمع ، ومن الكتاب المبرزين ، وهي أجمل نساء المجتمع الروسي بشهادة الجميع . وحينما بدأ دوستويفسكي يتردد على صالونها ، كان رواد الصالون

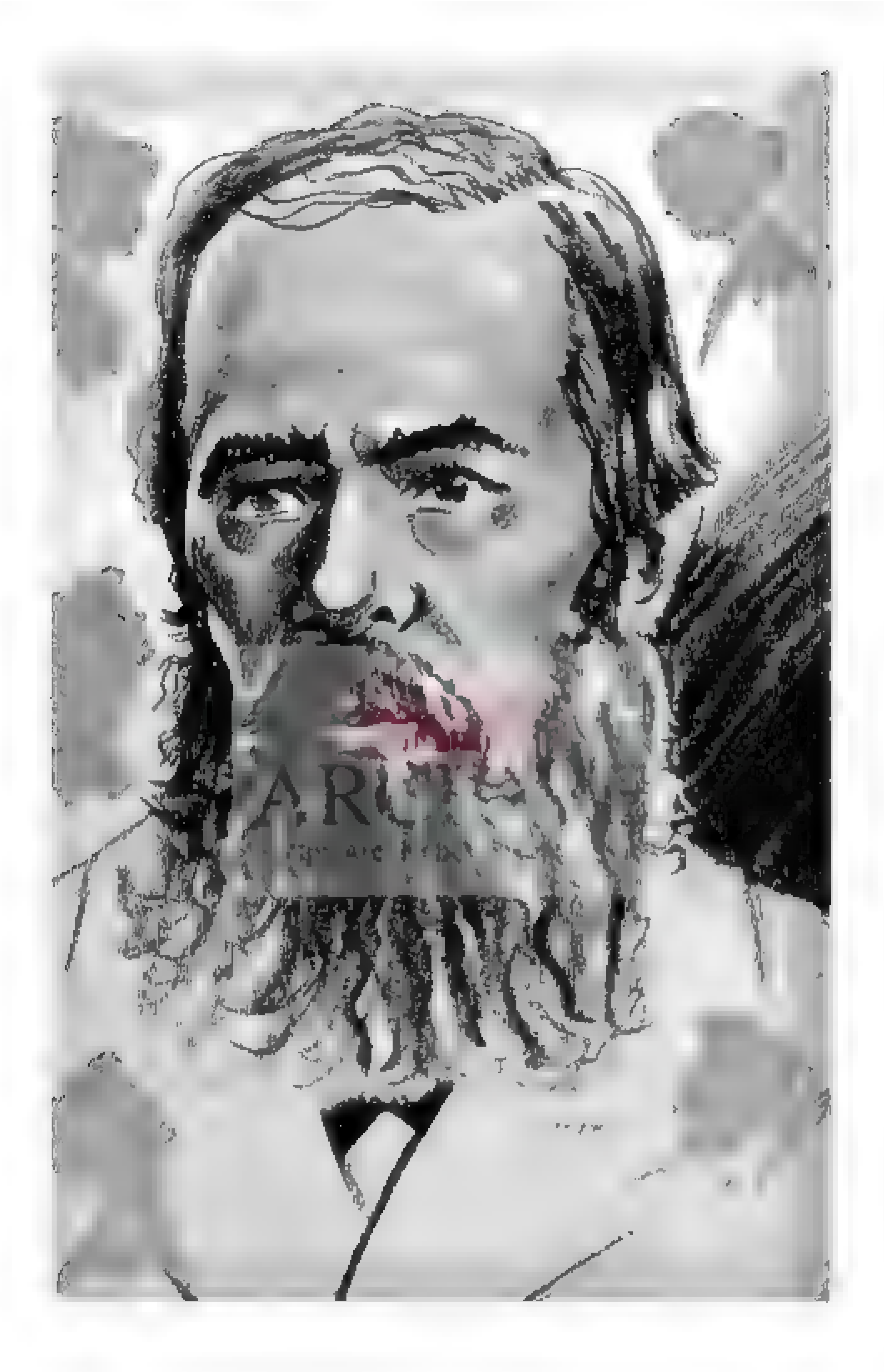

القدامى لا يرحبون به كثيرا ، بل كان أكثرهم لا يكادون يخفون ضيقهم وتبرمهم بما في تصرفاته من عجرفة وكبرياء !

ودهشت ريفالد عند ما اقتحم دوستويفسكي ذات يوم فرصة اختلائه بها على حدة ، فكاشفها بغرامه !.. ومن ذا الذى كان يتصور أن كاتبا ناشئا فقيرا ، لاحظ له من الوسامة أو القوة ، تبلغ به الجرأة الى حد أن يكاشف بحبه أجمل نساء المجتمع الروسى على الاطلاق ؟!

وأيا كان الامر ، فان هذا الحب العابر غير المتكافىء ، لم يكن له اثر يستحق الذكر فى نفس الروسية الغنية بمالها وجمالها وعشاقها الوجهاء . على أن دوستويفسكي المسكين ظل فترة طويلة لا يستطيع صرف قلبه من التعلق بها . واستمر كذلك يتردد على صالونها مع غيره من الكتاب الجدديين وان لم يجرؤ على التصريح لها مرة أخرى بما يختلج فى قلبه من لواعج الوجد والهيام !

وكثيرا ما كان يسكت محدثا ما طما حديثه عن رواد الصالون فى الموضوعات التى تشغل بال الناس فى موسكو ، لما كان يتبادر الى ذهنه من أن الحاضرين لا يعيرون حديثه التفاتا أو انهم يسخرون منه لانه أقل منهم قوة ومالا وجمالا ، ولان ملابسه ليست من النوع الفاخر الذى يرتدونه متأنقين مختالين !

وهكذا قدر عليه أن يشقى بغرامه الاول ، وأن يضطر آخر الامر الى صرف قلبه عنه ، ابقاء على كرامته واعتداده بنفسه !

وتوالى ظهور كتبه وأبحاثه ، وكان قد وجه عنايته الى الفلاح الروسى وما يقاسيه من ارهاق وحرمان ، والى المثقفين والمفكرين الذين يعانون كثيرا من مضايقات السلطات المختلفة وامعانها فى الحجر على الحريات

وأدى اشتراك دوستويفسكي فى حركة تحرير الفلاح من العبودية وتحرير الفكر من القيود المفروضة عليه الى ملاحقته بالاتهامات ، ثم قدم للمحاكمة فى سنة ١٨٤٩ متهما بالتآمر على سلامة الدولة . فحكم عليه بالاعدام رميا بالرصاص ، وخفف الحكم الى الاشغال الشاقة أربع سنوات فى مجاهل سيبيريا !

وقضى الكاتب الشاب مدة العقوبة فى تلك الاصقاع ، حيث وصل معاملة الجنود وارتدى الثوب العسكرى ، ورقى الى رتبة الملازم !

وهناك فى القرية الصغيرة النائية التى أقام بها تلك الاعوام الاربعة ، وقع له الحادث الذى طالما انتظره ، فقد تعرف الى «ماري ايزايفا» تلك الشقراء الجذابة المريضة ، زوجة معلم المدرسة السكير الذى يسكر طول نهاره ! .. وسرعان ما شعر دوستويفسكي بميل غريب اليها ، ونشأت بينهما صداقة توثقت مع الايام ، ولكنها كانت صداقة ممزوجة باليأس من جانبه ، لان هذه المرأة التى أحبها ، آمنت بأنه يحبها من كل قلبه ، وشعرت بأن فى ذلك ما يرضى كبرياءها ، ولكنها مع ذلك لم تبادله الحب !

ومات زوجها بعد قليل ، فظن دوستويفسكي ان السبيل اصبح ممهدا امامه الى قلب الارملة الحسناء ، غير ان قلبها بقي على جموده وتحجره ، ولما تقدم طالبا الزواج منها رفضت طلبه بقسوة وجفاء ، برغم انها كانت وحيدة لا أهل لها ولا مال عندها !

ولم ييأس دوستويفسكي ، فأخذ يلح عليها مكررا الرجاء والتوسل اليها ، وشد ما كان ابتهاجه حين قبلت ماري في النهاية أن تحقق امنيته . .

وكان هو في الخامسة والثلاثين من العمر ، بينما هي في الثامنة والعشرين من عمرها ، حين تم زواجهما ، واعتقد المسكين ان سعادته الحقيقية بدأت بهذا الزواج

ولكنه في مساء اليوم تصاب بدوار فجائي وسقط على الارض حيث انتابته نوبة صرع عال منها فيما بعد انها كانت أشد النوبات منعا في حياته !

ووقفت ماري ايسايف تنام زوجها الجديد الملقى على الارض فاقد الوعي ، وأخذت تبكي وتندب حظها نادمة على قبولها الزواج الذي ربطها بذلك المخلوق المسكين العجيب ! . .

وبدأت حياة الجحيم ! . . جحيم الزوجية بين رجل يحب وامرأة تكره ، بين رجل يقاوم مرضا يصرعه كل يوم مرة او اكثر ، وامرأة تقاوم من ناحيتها أيضا مرضا لا يرحم ، وهي تشعر بانه يأكل صدرها يوما فيوما !

ولما ادرك دوستويفسكي ان المرأة التي تزوجها لا تبادله حبا بحب ، ولا ترثي لحاله ولا تشفق عليه ، صمم على أن يكرهها ، وراح يبحث حوله عن امرأة ليست مثلها جافة العاطفة قاسية الفؤاد !

ووجد دوستويفسكي ضالته ، وكانت حبيبته الثالثة طالبة ظريفة تدعى « بولين سلوسلوفا » ، كانت متحمسة للآراء الجديدة ، وتناصر مبادىء التحرير !

وفي هذه المرة لم يكن هو البادىء بالمكاشفة الغرامية بل سبقته بولين الى التصريح بما يختلج في صدرها من شعور نحوه ، وأكدت له انها تضع حياتها رهن اشارته ، وتتجه الى حيث يريد ! . . ولم يستجب هو لعاطفتها الملتهبة اول الامر، وبقي حوالي سنة مترددا . . ثم لم يسعه آخر الامر الا مبادلتها حبا بحب !

على ان ارتباط العاشقين بروابط الغرام الاثيم ، لم يكن ليستمر طويلا ! . . وسرعان ما دبت الخيبة الى صدر الفتاة ، كما دب الكره الى صدر الزوج الخائن . ذلك لان بولين المتمردة المتحمسة ظنت ان الكاتب الذي احبته سيحلق معها في أجواء تختلف عن الجو الذي يعيش فيه الناس ، فلما عاشرته تبينت انه لا يختلف عن غيره من الرجال ، ففيه ضعفهم وعيوبهم ، كما ان فيه امراضهم ، وهكذا تحول حبها له الى حقد وبغضاء

وعلى هذه الحال ، طاف الاثنان خارج روسيا ، فزارا باريس وروما وغيرهما من مدن فرنسا وايطاليا ،

ووقعت بينهما مشادات ادت في بعض الاحيان الى تدخل الناس في الفنادق او المقاهي او الشوارع لفض النزاع !

لقد ارادت ان تغيظه يوما فغازلت شابا اسبانيا وسمحت لشاب ايطالي ان يغازلها !.. وكان ان ضربها دوستويفسكي لهذا السبب ، فضربته هي الاخرى !

وفي كتابه الذي سماه « المقامر » وصف حياته مع هذه الفتاة « الجهنمية » ، كما ان شخصيتها العجيبة المتناقضة كانت هي النبع الذي استقى منه وصفه الرائع وتحليله الدقيق لشخصية البطلة في كل من قصصه الثلاث التي اخرجها بعد ذلك ، وهي روايات : « الاخوة كرامازوف » و « الجريمة والعقاب » و « الابله » .

وقد اثر فيه ما عاناه في اليمان من تعب وارهاق ، وما اصابه من مرضه العضال الذي لم يكن يأمل الشفاء منه ، فبدا ذلك واضحا في كتاباته وفي القصص التي وضعها وفي اسلوبه المشبع بالحزن والاسى !

وفي غمرة تلك الرحلة الصاخبة مع المرأة التي احبها وكرهها ، والتي احبته وعذبته ، بلغه ان زوجته ماريا في حالة خطرة ، فاعتزم العودة الى موسكو ، وترك عشيقته راجعا الى وطنه ، وفكر في اصدار جريدة جديدة غير التي سبق له ان اصدرها وعطلتها الحكومة القيصرية !

وماتت زوجته بين ذراعيه !

لقد سهر عليها في ساعاتها الاخيرة وبكاها بكاء مرا ، وكتب بعد موتها يقول : « كانت تحبني كثيرا ، وكنت احبها حبا لا حد له ، ومع اننا كنا تعيسين في حياتنا الزوجية ، بسبب طبعها الغريب وغيرتها الشديدة ، فاننا لم ننقطع عن تغذية ذلك الحب ، بل ان حبنا كان يزداد كلما ازدادت مصائبنا واشتد الخلاف بيننا !.. نعم كنا نشعر بالتعاسة ولكننا كنا نشعر ايضا بغرور قار ارتباط كل منا بالاخر ! .. انني الآن اكثر تعاسة من قبل ..! فهل ابحث عن علاقة اخرى أهل انشيء حياة زوجية جديدة ! هل اسعى الى حب يحل محل الحب التعس الذي مات !... ان في هذا لجريمة » .

ولم يكد ينقضي عام على وفاة زوجة دوستويفسكي ، وتصريحه بان من الحرم ان يفكر في حب امرأة غيرها ، حتى وقع في حب جديد ، وكانت الحبيبة الرابعة فتاة شقراء جميلة متقفة ، وقد شعرت بفخر كبير لان كاتبا شهيرا مثله اختصها بحبه ، ولم يسعها الا ان بادلته هذا الحب ، ولكنها لم تستطع ان تقاوم خشيتها عواقب ربط مصيرها بمصير رجل مريض بالصرع ، يفقد وعيه باستمرار !.. وعلى هذا رفضت الزواج به ، فكان رفضها ضربة قاسية على قلب دوستويفسكي وشعر بان كبرياءه اصيبت بجرح عميق ، وانتابته آلام نفسية جعلته ينغمس حتى اذنيه في الرذائل على اختلاف انواعها ، املا في ان يخفف ذلك عنه بعض ما يقاسيه !

ومرت به فترة من الزمن كان فيها الدائنون يطاردونه ، والاصدقاء

يديرون له ظهورهم ، واصحاب دور النشر يعرضون عنه او يشترون منه مؤلفاته بابخس الاثمان !

كان دوستويفسكى فى حاجة ملحة الى المال ، وطلب منه احد الناشرين ان يكتب قصة فى شهر واحد ، فلم يسعه الا ان قبل هذا الطلب !.. ثم اخذ يبحث عن فتاة تجيد الاختزال ليملى عليها القصة المطلوبة !..

وجدته « انا سنتكين » الملاك الذى اعدته له الاقدار ليحرس ايامه الاخيرة !

انها فى العشرين من عمرها ، وقد اسعدها ان تعمل مع دوستويفسكى الكاتب الشهير ، وما مضت ايام على بدء هذا العمل حتى توثقت الالفة والصداقة بين الكاتب الكهل ، والفتاة الوديعة ، ثم سرعان ما تحول عطفه الى غرام عنيف تأججت نيرانه فى صدره بينما انا سنتكين ما زالت تنظر اليه بعين الاجلال والاكبار باعتباره اشهر كاتب فى روسيا !

انها طيبة القلب ، نضرة كالوردة اليانعة ، فهل يكاشفها بحبه ، ويعرض نفسه لرفض جديد ؟

تردد لفترة من الزمن ، ثم واتته الجرأة اخيرا فصرح لها بما يكنه لها قلبه من حب قوى عميق !

وجاءه الرد الذى حقق امانيه اذ قالت له :

— وانا ايضا احبك .. وسأظل وفية لحبى ما حييت !

وهكذا تزوج دوستويفسكى للمرة الثالثة ، واصبحت الفتاة الطاهرة زوجة الكاتب المريض : انها ترعى بكل ما يحدث !.. تعطيه ما تملك لكى يسدد ديونه .. بل تعطيه حليها ليبيعها ويلقى بثمنها على مائدة القمار !.. ثم هى الى ذلك تعنى بولده الذى تركته زوجته الاولى وتعامله كأنه ولدها هى !

ومضت الاعوام ، وتغير الكاتب شيئا فشيئا .. اقلع عن الشرب ، وامتنع عن المقامرة !.. ومات ابنه الاول بداء الصراع الذى ورثه عنه ، لكن الله عوضه خيرا ، اذ رزق من زوجته الشابة بثلاثة ابناء كتبت لهم الحياة ، عدا ولدا رابعا مات بالصرع فى طفولته !

وعرف دوستويفسكى معنى السعادة ، ومارسها ونعم بها ، بفضل زوجته الوفية الوديعة المطيعة ، وراح يملى عليها رواياته واقاصيصه وبعدها ملاكه الحارس ، وطبيبه المداوى ، وصديقه الملازم ، ورفيقه الامين .

طع دوستويفسكى اوج الشهرة وارتقى سلم المجد الى اعلاه ، وذاق من الحياة كل مرارتها ، ولكنه عرف ايضا حلوها !

ومات بين ذراعى الزوجة الوفية فى سنة ١٨٨١ ، وقررت الحكومة القيصرية ان يكون دفنه باحتفال قومى ، وان يصرف لارملته معاش يكفيها ، وتتكفل الدولة بتربية ابنائه

وعاشت هى من بعده سبعا وثلاثين سنة ، حتى ماتت فى سنة ١٩١٨ ، بعد ان اجتاحت روسيا موجة الثورات التى اسفرت عن قيام النظام الشيوعى !..

استقبلت حياتها الجديدة في القصر قلقة واجمة، فما كان يدور بخلدها قط أن تصبح يوما ما زوجة أحد السادة الوجهاء، وهي المجهولة الأصل الخاملة النسب المحرومة من الجمال.

وقد أمضت طفولتها التائهة وصباها المنبوذ، في كنف امرأة فقيرة معدمة، تعيش على ما كانت تتلقاه من أم الفتاة، وهي جارية حبشية تخدم في «سراي السلطان» وينالها من البر غير قليل.

ولم تكن الطفلة ترى أمها إلا لماما، في لحظات خاطفة متباعدة، وقد ألفت ذلك الوضع وتقبلته أول الأمر دون مناقشة أو تفكير، حتى بدا لها يوما بعد أن أدركت بعض الإدراك، أن تتشبث بأمها راجية أن تصحبها مرة إلى السراي التي سمعت عنها ممن حولها، أوصافا مثيرة وقصصا شائقة، فما سمعت أمها هذا الرجاء حتى اهتزت في انفعال مباغت، ثم تمالكت نفسها وحاولت أن تتخلص من ابنتها، لكنها لم تستطع إلا بعد أن وعدتها بمصاحبتها في مرة تالية..

ومضى عام قبل أن تعود الأم، وفي حسابها أن هذا الزمن الطويل قد أنسى طفلتها ما تشبثت به في الأمس البعيد، لكنها ما كادت تلمحه حتى صاحت في عناد: «لن تذهبي اليوم إلا وأنا معك!»

فنظرت إليها الأم مليا وهي تغص بدمعها، ثم احتضنتها في حنان غامر، ترجوها أن تبقى بعيدة عن «السراي» فإن البعد عنها غنيمة!

وإذ أصرت الفتاة على الذهاب، راحت الأم تفضي إليها بحديث رهيب عن عيشتها التعسة الذليلة هناك، وتروي لها مأساة استعبادها:

لقد انتزعت من حياتها الحرة الطليقة في وطنها، وبيعت في سوق الرقيق لتجد نفسها بين أسوار «السراي» جارية سجينة، حرمت

من انسانيتها وسلبت اعز مقومات الآدمية ، نظير لقمة مسمومة وثياب قطعت من نار . ومن سوء حظها انها لبثت امدا طويلا عاجزة عن نسيان ما فقدت ، وزادها تعاسة ما كانت تلقى من كيد « الجوارى » الشقيات والعبيد الاذلاء ، الذين استطاع الرق أن ينتزع من كيانهم كل عناصر البشرية ، وان يحيل نقمتهم على الوضع المهين الذى لا حيلة لهم فى تغييره ، حقدا مجنونا على امثالهم من الارقاء المستضعفين فاذا بفطرتهم المبتذلة تمسخهم وحوشا ضارية ، لا هم لها الا ان ينهش بعضها بعضا فى حل مستمر . وكلما زاد تحكم « السادة » فيهم واذلالهم اياهم ، زادوا ضراوة وحقدا على زملائهم من العبيد والاماء

وبقدر ما حاولت المسكينة ان تنسى حريتها المسلوبة لتستريح بشبه الرق ، حاولت فى الوقت نفسه ان تنجو من ذاك المسخ المنكر ، وان تحارب الشر الذى تردى فيه زملاؤها التعساء

ولم تكن تحقد على أحد منهم ، بل نظرت اليهم كضحايا تعسة تستحق كل الرحمة والرثاء ، لكن هذه النظرة الرائية كانت تثيرهم الى اقصى حد ، فيمعنون فى الكيد لها حتى لا ترهقهم باثارة شعورهم بمدى الانهيار التعس الذى صاروا اليه ، وكأنما عز عليهم ان تنفرد دونهم ببقية من الآدمية ، تجعلها — وهى المستعبدة مثلهم — درجة فوقهم !

ولعلها كانت تستطيع مع الزمن ، وبكل ما فى طاقتها من صبر واحتمال ، ان تستسلم لماساة الرق وتطوى رؤى ماضيها الحر فى اعماقها ، لولا ان زملاءها كانوا أبدا معها : امامها ، وخلفها ، وعلى جانبيها ، يذكرونها بالماساة تذكيرا دائبا ملحا ، ويعرضون عليها ليل نهار ، ابشع صورة من صور الرق ، حيث تنحدر الآدمية الى هاوية بعيدة القرار ، وتمسخ الفطرة البشرية مسخا يثير الرعب !

لكنها رغم ذلك عاشت ..

عاشت أول عهدها بالرق ، على أمل أشبه بالسراب ، فقد سمعت فيما سمعت من تاريخ السراى ، ان اربابها يحاولون احيانا فى ساعة الموت ، ان يكفروا من سيئاتهم بعتق رقاب من يملكون من العبيد .

ثم ، لما طال بها المدى ، وارهقها ما تجد ، واوشك صبرها ان ينفد ، ولدت طفلتها فعاشت لها ، وغفرت للزمن ما ابتلاها به ، حين اتخذها احدى محظيات الخديو — وكانت امة مثلها — لم تدع الوليدة بعيدة عن السراى ، فى رعاية شيخ فقير من اهل بلدها ، عرفته فى سوق الرقيق بالسودان

واطرقت الام لحظة صامتة ، ثم رفعت وجهها الى ابنتها وهى تقول :

— والآن يا ابنتى ، اتريدين ان تصحبينى الى الجحيم ؟

فلم تجب الفتاة ، بل اوت الى صدر أمها وراحتا معا تبكيان ..

ثم هدأت العاصفة ، وعادت الام وحدها الى السراى ، وتركت صغيرتها تجتر ما سمعت على مهل

وصارت الصغيرة من ذلك الحين

تجد طعم الحياة مرا في فمهـــا ، وزايلها ما كانت تستمتع به من مرح الصبا وخلو البال

وبذلت لها الأسرة الطيبة كل ما تملك من حنو ورعاية ، لكي تعيد اليها مرحهـــا ، وحاولت هي أن تستجيب ، لكنها كانت تحس أن شيئا في أعماقها قد انكسر ..

ثم كانت معجزة الحب هي التي ردتها الى الحياة ولمست قلبهالمسة ساحرة ، بعثتها من جديد

ففي ظلمـات محنتها وأسـاها اشرق نور الحب القوى الطاهر من عيني الفتى الطيب الذى تربت معه وشاركته عطف أبويه ..

كان ينزلها من قلبه منزلة الأخت الشقيقة ، ويذكر لها فضل أمهـــا عليه وعلى أهله ، فلولاها لتعرضوا لذلة الجوع ، ولما أتيح له ان يتعلم في المدرسة الاولية ، ثم يدخـــل مدرسة الصنائع

ونما حبه لها مع الزمن مرهفـه من الطيش والضلال ، ذلك الاحساس العميق بما لها عليه من حق الرعاية

حتى كانت المحنة ، فكشفت عما يطوى ، وتفتح القلب المنكسر يستعيد الحياة .. لكنها انتزعت منه فجأة

وكانت أمها هي التي انتزعتهـــا لتسلمها الى زوج من السادة أصحاب القصور

وتم ذلك في سرعة وعلى غـــير انتظار ، حتى خيل للفتاة أن الامر لا يعدو ان يكون حلما من الاحلام..

وقد صحت من نومهـــا لترى نفسها زوجة ذلك السيد الذى لم تره قط من قبل لا في يقظة ولا في منام !

وفتحت عينيها ، وجمعت وعيها في محاولة مجهدة ، لتتذكر ما كان :

جاءتها أمها عليلة تلهث ، فألقت اليها بنبأ خطير : لقد مات السلطان وترك لها الحرية والمال !

ثم حملتها — وهي في غمـــرة ذهولها — الى هذا القصر الكبير ، حيث تم زواجها بالسيد وهي لا تكاد تعي شيئا مما يحدث لها

فلما زايلها ذهولها ، والتمست أمها لتفسر لها كل هـــذه الالغاز ، كانت أمها قد ماتت !

وكأنما اكتفت المسكينة من الحياة بأن تعيش حتى تظفر بحريتها ، وتزوج ابنتها من « سيد » ..

ورحمها الله بالموت ، فلم يمهلها حتى ترى صغيرتها العالية ، تجرع الكأس المرة ، وتعيش بين أسوار قصر الزوجية عيشة ذليلة لا تفترق عن معيشة الاماء في السراي ..

نزعوا عنها ثوب العرس الذى أعدته لها أمها ، وألبسوها ثوبا حالك السواد كلون بشرتها ، ثم ساقوها الى القاعة الكبرى في القصر حيث جلست الاسرة كلها في انتظارها

وأوقفت هناك ، تحدق فيهـــا عيون القوم في فضول ، وهي لا تجرؤ ولا تقوى على أن ترفع عينا

وكاد يغشاها دوار ، فتقـــدم « زوجها » وأمسك بها كيلا تقع ، ثم أمرها أن تتقدم فتقبـــل يد سيدتها .. وشلت ارادتها عـــلى الفور ، فتحركت كالآلة وقبلت اليد البيضاء

ثم أمرها السيد أن تقبل أيدى سادتها : أبنائه وبناته ، ففعلت ..

وطلب اليهـا أن تجلس حيث أشاروا تحت قدمى السيدة ، فجلست تصغى صامتة الى تعليقات السادة ، على البشرة المصبوغة بالفحم ، والشعر المستعار من صوف الكباش !

حتى اذا فرغوا من كل ما ارادوه منها ، اسلموها الى جارية اخرى سودانية عجوز ، قادتها الى مخدعهما المشترك فى جناح الخدم !

وهناك ، تطوعت الجارية بتفسير اللغز :

لقد قامر السيد بكل ثروته على المائدة الخضراء ، فسولت له نفسه أن يختلس ما فى عهدته من مال « الدائرة السلطانية » لعله يسترد بها من المائدة بعض ما خسر ، لكنها التهمت المال المختلس ..

وحين دنا شبح الكارثة ، واوشك امره أن يكتشف ، عادت زوجته التركية من زيارة لها فى السراى ، فامرته أن يتزوج على عجل ، من ابنة « المحترقة الحبشية » التى وقف السلطان عليها وعلى ذريتها ريع الاطيان فدان من اجود اطيانه

وتم الزواج .. وماتت الام ..

ونبذت « العروس » فى جناح الخدم ، لا يؤذن لها بمغادرته الا حين تشاء « السيدة التركية » ان تتخذها مسلاة فى مجتمعات الاسرة

وظنت المنبوذة ان الموت سوف ينقذها وشيكا ، فما فى طاقة بشريتها أن تحتمل بعض ذلك ، لكن الاعوام استنفدت حيويتها فى بطء ، وقضت على ما كان يقسها من ارادة التحرر ولو بالموت ، وحرمتها نعمة الشعور بالالم ، وسلبتها كل رغبة ، حتى رغبتها فى ضجعة القبر

وانقطع كل ما بينها وبين ماضيها فما عاد يلم بها حلم عابر ، يذكرها باسمها الذى ولى وراح ..

وعجز طيف فتاها عن اقتحام الاسوار القائمة حول سجنها ..

وهيض جناحها ، فلم يقو خيالها على ان ينطلق من بين جدران محبسها ، ليطوف بتلك البقعة التى كانت لها يوما ملعب الصبا ، وجنة الحب .. وعاشت اربعين عاما معطلة الحواس خامدة العواطف

وكانت انباء القصر تأتيها كل ليلة مع رفيقتها الجارية ، وقد سمعت مرة ان السيد مريض ، فما حرك النبأ حسها الخامد ، مع ان موت الزوج قد يعنى اطلاق حريتها ..

وماذا تعنى الحرية ، التى فقدت كل شعورها بالحياة !

ثم دعيت فجاءة الى القصر ، لتسمع قرار طلاقها من السيد حتى لا تشترك مع السيدة التركية ، فى ميراث معاشه وتركته

وامرت بعد ذلك ان تبقى حيث كانت ليظل السيد — ما عاش — وكيلا عنها فى استلام ايرادها الضخم من الوقف

فاستمرت مستسلمة فى جمود

وبدا كأن شيئا ، اى شىء ، لن يستطيع ان يهز هذه النائمة التى

تعيش فى شبه غيبوبة ، ذاهلة عن كل ما حولها ..

ولم يفارقها جمودها وهى تطل من مجلسها على السنة اللهب المندلعة من حريق القاهرة ، أوحين سمعت نبأ سقوط الطاغية عن عرش مصر

بل لم تختلج فى كيانها عضلة واحدة وسادتها ينقلونها فجأة من جناح الخدم الى أفخم حجرة فى القصر ، ويتولون بأنفسهم خدمتها والسهر على راحتها ، ثم يلقون اليها النبأ الخطير عن « حل الوقف » كأنما لا يعنيها أن صارت بهذا الحل مالكة لمائتى فدان من أجود الأراضى

وظلت على جمودها والقصر هائج مائج ، يدبر لزواج عاجل « يحلل » رجعتها الى مطلقها السيد ، كيما يرث منها مائة فدان ، ويورثها زوجته التركية وابناءها من بعده !

وتم عقد الزواج الصورى

وسيق « المحلل » الى مخدعها ليخلو بها فترة ، ثم يطلقها وينصرف حسب الاتفاق

ووقف السادة عند الباب ، بتشاهم صمت مرهق ، على حين تقدم « المحلل » فى خطوات وئيدة نحو العروس المنزوية فى ركن المخدع الفخم ، تعبث بثوبها الجديد فى حراقة ذاهلة

ودنا منها دون أن تتحرك ..

ولمس يدها مترفقا ، ثم نادى فى رقة وشجو : « حليمة ! »

فانتفضت من سباتها الطويل بادية الدهشة والذعر ، وفتحت عينيها فى بطء وراحت تحدق فيه وهى تجاهد لتجمع نفسها اللاهبة وعرفت فيه فتاها الأول ..

وتاضلت طويلا حتى استطاعت أن تجد لسانها وتهمس : « بلال! »

ثم أوت الى صدره فى نشوة حالمة ، وذاب كيانها كله بين ذراعيه وجدا وانفعالا ، فحملها فى رفق الى فراشها الوثير ، حيث ركع الى جانبها خاشعا يبكيها

وطال مقامه الى جانبها حتى ساور القوم قلق مبهم وشك مرهق فنى معهما صبر « السيدة » التى خشيت أن تزايل « حليمة » غفلتها لتمضى الى المحلل بما تملك من ثروة ، وان ذاك قد يصعب حمله على طلاقها

واقتحمت « السيدة » مخدع العروس العجوز ، لتراها على فراشها جثة هامدة ، ووجهها الشاحب يتألق بنور الرضى والانتصار !

هنالك اندفعت نحو الجثة كوحش هائج ، وهمت بأن تركلها وتمزقها غيظا وقهرا واشتفاء لولا أن وقف دونها « بلال » الزوج الشرعى ، يردها فى صرامة عن الراقدة العزيزة التى أحبها العمر كله ، فلما كتب له أن يلقاها لحظة يغفر بها الزمن كل خطيئاته ، ماتت بين ذراعيه سعيدة مرتاحة ، ليرث من بعدها ذلك الطين الذى أذلها واشقاها ، ولفظها أربعين عاما خارج دنيا الأحياء !

بنت الشاطىء

من الأمناء

قصص الحب في الفن الهندي

في الربع الأخير من القرن الثامن عشر ، نشطت الفنون في ولاية جيدوق بشمال الهند . وكانت القصائد الشعرية الغرامية هي المنبع الذي استقى منه الفنانون هناك موضوعات لوحاتهم الرائعة ، وإليها إلى مجموعة من هذه اللوحات

الحب والفقر : كانا لا يملكان من حطام الدنيا سوى كوخ بسيط يقضيان فيه أوقاتهما معاً ، معتمدين على كسب الرزق بالعمل في منزل لهما . وأبى القدر إلا أن يمتحنهما بما هو أدهى من الفقر ، فحطم سرورهما ، وسدت أمامهما أبواب الرزق . ولكن قلبيهما بقيا عامرين بالحب ، فلم يجد اليأس سبيلا إليهما . وكانت لديهما حبة من الأرز ، فحملها الزوج إلى صديق قديم له ليهديها إليه ، ويطلب معونته . ولكنه خجل من طلب مقابل لهديته ، ورجع إلى زوجته فارغ اليدين . وشد ما كانت دهشته إذ وجد حجرات كوخهما قد تحولت إلى ذهب !

أشواق وآلام : كان قلبها الشاب قد تفتح للحب ، وشعرت بشوق شديد إلى لقاء فتى أحلامها المجهول ، فغادرت مخدعها في ذات ليلة إلى الغابة الفسيحة الموحشة ، وهناك أخذت تناجيه قائلة : « أين أنت يا حبيبي ؟ . إن العواصف تزأر مع الوحوش المخيفة ، ومياه المطر المنهمر تنساب تحت قدمي مع الثعابين والحيات لتصدني عن البحث عنك . ولكني استعذب من أجلك كل عذاب ! »

الحب اليائس : في منتصف القرن السادس عشر ، كان يحكم ولاية «ماليواء» بأواسط الهند نبيل شاب تبادل الحب مع فتاة من طبقة الشعب ، ولما حالت التقاليد دون زواجه منها ، بقيا سبع سنوات يخرجان كل ليلة إلى الأطلال القريبة، راكبين جوادين ، وهناك يتناجيان في براءة وطهر . ثم أقصي النبيل الشاب عن منصبه الذي حال بينه وبين حبيبته ، وسرعان ما تزوجا !.

الغيرة القاتلة : أحب الأمير « رادا » الحسناء الفاتنة « كرشنا » ، وتوطدت عرى الحب بينهما على مر الأيام ولكن إحدى صديقات الحسناء زعمت لها يوماً أنها شاهدت حبيبها يراقص فتاة أخرى ، فاشتعلت الغيرة في نفسها ، وقررت أن تهجره مهما يكن في ذلك من إيلام لقلبها . ولما زارها ـ كعادته ـ أشاحت عنه بوجهها ، وأمرته أن يغادر بيتها فوراً !

الصلح بعد الإساءة : تبين الحسناء « كريتا » كذب صديقتها التي وشت إليها بحبيبها زاعمة أنها رأته يراقص فتاة غيرها . فندمت على هجرها إياه دون ذنب جناه ، وكتبت إليه تقول : « إذا كنت ما زلت غاضباً علي ، فتعال الآن لتهصر عودي بين ذراعيك ، ولتجرح أسنانك عنقي بجرح شعورك للتضحية ! » وعاد الحبيب إلى حبيبته . وعاشا بعد ذلك في وفاق ووئام

الشيخ حسن

بقلم

الدكتور محمد حسين هيكل

انقطع الشيخ حسن عن معاشرة أهل بلده ، وبعد أن كان لايفوته أداء الفرض جماعة فى مسجد القرية الساكنة المطمئنة ، كان الناس لايرونه بينهم ساعات الصلاة الا نادرا . وارتسمت على جبينه — الذى كان نقيا الا من آثار الورع والتقى — تجاعيد الهم والألم . أما نظراته التى كانت مملوءة بالايمان وتنم عن راحة الضمير وسكينة القلب ، فانقلبت نظرات مضطربة تنعكس من خلالها هواجس نفس قلقة ، لاتدرى أين تستقر . وغارت عيناه وغاض لونه وبدا عليه نحول عصبى ينكره لنفسه ولكل من عرفه . ومع ذلك كانت حركاته أكثر بطءا ، وكأنما أمسك الهم الذى أثقله بكل عصب من أعصابه ، أو كأنما شل القلق الذى تولاه سلطان ارادته ، حتى لحد من أن يريد أو أن يعمل

طرأ هذا الانقلاب على نفس الشيخ حسن فى أوليات الشتاء . وطرأ عليه بعد أن كان مثال التقى والحكمة ، وبعد أن كان الناس ينظرون اليه نظرهم الى ولى من أولياء الله الصالحين . ذلك انه قضى حياته بين أهل القرية مضرب المثل فى كمال الخلق وصدق الايمان وسمو النفس . وكان من أهل العلم الذين يعملون بالعلم ولايتخذونه متجرا . فكان يعظهم بعد كل صلاة ويعلمهم ويفقههم فى دينهم . وكان سمح النفس سريعا الى المواساة يشارك الناس سراءهم وضراءهم ، ويفيض عليهم من ايمانه بلسما لجراحات آلامهم وأحزانهم . وكان نساء القرية يجدن فى سلطانه على أزواجهن ما يحميهن من عسف هؤلاء الأزواج ، وما يقف حائلا دون التلاعب بأيمان الطلاق . وكان خاصة أهل القرية وعامتهم فى احترامه وتبجيله سواء . بل لقد كان كثيرون من أكابر وأعيان القرى والبلاد المجاورة يرون زيارته فرضا عليهم ، كلما زاروا واحدا من أعيان أهل بلده . وكذلك كانت حياته

كان الأديب الكبير الدكتور محمد حسين هيكل أول رائد للقصة العربية الحديثة بتأليفه قصة «زينب»، وهي من القصص الطويلة. أما هذه القصة فهي قصة قصيرة تحتوي على تحليل نفسي وبحث خلقي في سياق قصة ممتعة

وكان عيشة، مرضيين عنه راضيين عند الله والناس.

وقد ظل متمتعا بطمأنينة الإيمان منذ نشأته، فلم يثقله من الهم إلا ما كان منذ سنوات ست، حين ماتت زوجته تاركة وحيدتها فاطمة في العاشرة من عمرها. فقد كان يوم موت هذه الشابة الجميلة المحبة المحبوبة أشد الناس فجيعة وأهولهم جزعا. جمدت الدموع في عينيه ودب المشيب إلى فوديه وتجاوبت في قلبه كل أصداء الحزن والألم، ويومئذ سارع الناس من أهل بلده ومن كل البلاد المجاورة إلى تعزيته. ويسير على قلب يملؤه الإيمان أن يتعزى، فهو على شدة جزعه لوقع المصاب لم يلبث أن ذكر أن لله في كل أمر حكمة، وأن تلا قوله تعالى: «وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم»... عند ذلك قشعت حرارة الإيمان سحب الهم، وحمد الشيخ ربه أن أسبغ الله عليه نعمة التقى، واستبقى له فاطمة كي يسبغ على هذه الطفلة الجميلة كل ما في نفسه من حنان وعطف وحب أبوي.

وبعد انقضاء المأتم بقيت في الدار وإياه أخت له تحبه وتبجله. فلما انقضى الأسبوع الأول فاتحته في أمر زواجه من جديد، وكانت على ثقة من أنها لن تحتاج إلى أي مجهود لإقناعه بضرورة الإسراع إلى القيام بواجب يفرضه عليه مركزه ومقامه بين الناس، ويدعوه إليه قلقه المشروع لأشك إلى ابن له يخلفه ويخلده، ثم إن النساء جميعا مؤمنات بأن ليس بين الرجال من يطيق عليهن صبرا أو يستطيع منهن بعدا. لذلك كانت دهشة أخت الشيخ عظيمة حين بدا منه التردد والإحجام، وكانت بعد ذلك أشد دهشة حين رأته التزم عيش العزوبة قانعا بهذه البنت التي أبقاها الله له. لكن حبها أخاها وتجلتها إياه منع عليها الإمعان في الإلحاح عليه، بعد أن أمرها بالكف من الكلام في أمر زواجه وجعلها تدرك ضرورة بقائها للقيام معه بشؤون داره وعلى تربية فتاته.

وكانت فاطمة طفلة اجتمع لها فيه الوحيدة ودل الجميلة. وبرغم صغر سنها حين ماتت أمها بدت عليها رقة الأنوثة ودماثتها مع شيء من الأنفة في غير كبرياء. ولم يبعث بها أبوها المدرسة ولا الكتاب، إذ كان يعتقد أن المرأة خلقت ربة للدار، وأن حكم الدار حكما صالحا في غير حاجة إلى درس شيء غير ما تتوارثه أجيال النساء خلفا عن سلف، كما أن القراءة والكتابة وما يتبعهما من

معـارف كثيرا ما تجنى على الخلق وعلى الفضيلة ، التى يجب أن تكون زينة المرأة وحليتها . على أن كثرة معـاشرة البنت لأبيها وسماعها ما يفيض من علمه فى حديثه العادى، لفتا ذكاءها لكثير مما لا يجود به الحظ على غيرها من بنـات لعيان الارياف والنـاس الطيبين فيها . فكانت تعرف شيئا من المدن ومن المشايخ من اهل العلم الذين يقيمون بهـا ، ومن الذوات الذين يزوددن هؤلاء المشايخ ويؤدون لهم فرائض الاجلال والاحترام بسـبب علمهم وورعهم ، ما لا يفتأ الشيخ حسن يقصه عليها ليشعرها ماله ولها معه من سمو المكانة ورفيـع القدر ، وليدخل بذلك الى نفسـها معانى الابد والكرامة فتشرف اخلاقهـا وتعظم نفسها

وتتابعت الاشهر والسنون ، وكل سنة تمر تزيد فاطمة جمالا وتزيد اباها تعلقا بها . وكانت الفتاة محبة لجمالها شغوفة به أى شغف . لذلك جعلت من مرآة حلقها امهـا خير صديق لها ، فكانت لا تمل التحديق فيها بصفحة هـذا الحسن النقى المصقول ، فوق حواجب نونية واسعة تقوست على عينين دعجاوين مملوءه بريقهما الندى حياة واحلاما. وبانف رقيق يستوى والجبين حين انحداره منه ثم يرتفع قليلا ليرتد عند وجارى منخرين أسـما لتشبع كل ما فى الحياة مما يحمله اليهمـا الحسن والهوى . وليفصـل بين خدين ممتلئين فى استدارة جميلة تعلوهما حمرة تنطق بما فى الشباب

من صحه ورغبة ، ثم تذوب فى سمرة قمحية جذابة . وكان أشد اعجاب فاطمة بهذا الفم الذى تراه فى المرآة كانه وردة لم تبرز من أكمامها الخضر الا بمقدار ما تبعث القبلة من بين هذه الشفاه ، فتبسم له مسرورة به راضية عنه فتنم ابتسـامتها عن أسنان فلج ناصعة البياض ، ومن ثغر تجرى مع سـلافة ريقه كل ما توحى به سنو فاطمة من أحلام وآمال ورغبات

على هـذه الصورة كانت فاطمة ترى وجه صاحبتها المطل من خلال المرآة المحبوبة فتزداد به شـغفا واعجابا . أما قوامها فكان لدنا غضا كانه قوام ناعمة تؤوم الضـحى ، ترتفع ثوبها فوق صدر ناهد فى غير افراق ، واخذ بتلابيب خصر ريان فى غير بطنـة . وكانت سـاقاها وقدماها كمال هـذا الجمال الشاب المتطلع للحياة بنظرات الأمل ، الجاهل كل ما فى الحياة من غدر ومن ألم

وكان ابوها ضـنا بها على الحياة ورفاقها والشباب واحلامه . فقل أن كان يسمح لها بمغادرة الدار الا تحت جنح الظلام وفى ستر الليل . لكنه كان يعلم من اخلاق أختـه وحدتها ما جعله يتسامح فى ذهاب فاطمة من طريق سطوح الدار الى منزل أعمام لها واخوال ، هم اكابر أهل البلد والقائمون فيها بالعمدية والمأذونية . وكان يسره احيانا أن يعرف منها اسرار أقاربه ودخائلهم، مما قد لايتاح له الوقوف عليه وهو فى مروبته وفى تقاه

وكان لها ببعض اقاربها فى البيت

الكبير صداقة نشأت منذ الصغر . وخشى ابوها عواقب هذه الصداقة فأسر الى اخته أن تحرم عليها ملاقاة احد من الشبان . ولكن ما كان من فرط حذر عمة فاطمة قد نبه فيها — لاول ماكملت لها حياة المرأة — معاني نسوية ما كانت لتنتبه بهذه السرعة . وندر وجود الفتاة نورة لم يفكر عقلها في كبحها ، اذ كانت ثورة الجمال المهان . فكانت لاتأبى تحيات اكابر اقاربها ممن سمح لها بالجلوس اليهم التحدث معهم ، كما كانت لا تضن بابتسامة عذبة على ذوى الود منهم . وسحر بجمالها غير واحد كان يجد فيه قدس اعجاب وعبادة . وكانت ثورة الفتاة تزداد كلما ازداد أولئك المسحورون تعلقا بها وتدليلا . ولكل ثورة نفسية لا تجد من سلطان العقل ما يكبح جماحها الجبار لا وسيلة لمقاومته الا اذا استطعت مقاومة انفجار المرجل الثائر جوفه ببخار ما فتأ النار تزيده فورانا . لذلك لم تطل مقاومتها ابن عمها لابيها له ما لابن عمه من مظاهر التقى وللناس به من الثقة ان كانوا يأمنونه على اموالهم واعراضهم

ومرت أسابيع بدا على صحة الفتاة فيها من التغير ما ادخل الريبة الى نفس الشيخ حسن . فحاول بادىء الامر أن يقنع نفسه بأن ما بابنته من علة لاصلة له بمغانيها . لكن النساء في القرى ألسنا طوالا . وما هي الا ايام حتى كان هذا الحديث موضع همس اهل القرية رجالا ونساء . والهمس اذا عم صار حسيسا وصار له صوت وكيان . واحس الاب البائس هذا الصوت ، بل رآه رأى العين في نظرات كانت توجه له وفي بعضها من الاشفاق عليه وعلى ورعه ولقاه ما هو اشد قسوة من نظرات الحقد والكراهية . لذلك انقطع عن معاشرة الناس وعن الذهاب للمسجد ، وارتسمت على جبينه تجاعيد الهم والالم ، واضطربت نظراته وغارت عيناه وغاض لونه وضعفت حركته ، فكأنما شل الهم أعصابه وأخمد سلطان حركته ، حتى قعد به عن أن يريد أو يعمل

وكان أول ما قام بنفس الشيخ — حين هزم اليقين منها كل هواجس الشك ، فرسم امامه صورة ابنته عارية ، وآراه رأى العين كل عرق منها وكل نسيج من انسجة بشرتها القمحية المتوردة ، تجرى فيه للالك

الألم والعار ــ أن يذهب اليها ويقتحم الباب عليها ويقتلهــا ويدفن معها عارها وألمها . ولم يك ذلك منه عن روية أو عن تفكير . بل ان سلطان الوسط وفطرة الجماعة التي يعيش بينها ــ فطرة تكونت على الزمان من عقائد وعادات توارثتها أجيــال بعد أجيال ــ هما اللذان دفعاه الى ما أراد القيام به . لذلك لم يك بحاجة الى وقت يتدبر فيه أمره أو يقدر فيه نتائج فعلته . بل غلى الدم في عروقه وثار ثائر نفسه وملكته فكرة القضاء على هذه الاثيمة المجرمة ، وتم ذلك كله في أقل من لمح البصر . وهم يريد التنفيذ ، لكنه لم يلبث أن بلغ باب غرفتــه حتى أمسكت به قوة عاقت حركته : تلك عاطفة الأبوة التي جاش بها قلبه وهزت أعماق وجوده . أتراه يقتل ابنته الوحيدة التي كرس لها حياته ووقف على ســعادتها جهوده ! ابنته الوحيدة الباقية ذكرا لزوجته المحبوبة ولأيام ســعادته وهنائه .. ولو يقتلها ، فهل تراه يطهر من ألمها ومن عارها ، وهل ترى الناس ينقطعون من أن يوجهوا اليه نظرات الاشفاق القاتل والحقد البغيض !

وقف عند البــاب برهة تجاذبت فيها عاطفة الأبوة وفطرة الجماعة ، ثم عاد الى مجلســه وارتمى الى جانب وسادة كان يتخذها متكأ بعد عوده من الصلاة وحين تسبيحه ، وجلس مهدود القوى عاجزا من التفكير ومن الارادة ، لايرى شيئا مما أمامه ، ولايدرك الوقت ومره ، ولا الاشباح التي تبدو من خلال نافذته . وظل في ذهوله حتى بدأت الشمس تتدرك الى غيب الغروب . ثم دخلت عليه أخته تسأله ان كان لايريد أن يذهب الى المسجد لصــــلاة فرض المغرب والعشاء . وكأنما أزعجه صوتها من حلمه الأليم فما يدري أيهما أشــد لنفسه وخزا ، أهــذا الحلم المبهم الذي أنهكه ، والذي نسي فيه الحياة ونسى الألم ، أم هذا الصوت الذي نبهه الى الحياة وآلامها ، وأعاد الى نفســه ذكر أخته وذكر ابنته وذكر عاره الذي لايمحى

وارتدى الشيخ جبته ولبس عباءته وعمامته ومركوبه ، وخرج قاصــدا المســجد . لكنه ما لبث أن اقترب منه حتى شعر كأن شيئا يصــده عنه ، فقد خيل اليه أنه اذا تخطى بابه فســيحدجه من فيه جميعا بنظرات الاشــفاق أو الازدراء أو الحقد . وستبدو هــذه المعاني في حدق تلك العيــون المتجهة نحوه واضحة ناطقة ، تخترم نياط قلبه وتمتد الى أعماق نفســه . فكر راجعا كأنما يريد العودة لداره . لكنه عرج بدافع من وجدانه ــ لا شعور له به ولاحكم له عليه ــ عند أول منعطف يسير به بين المزارع . وهل في الدار الا الألم والعار ! وهل الدار أقل ايلاما له من نظرات المصلين ! وساقته قدماه الى شاطيء غدير قامت حوله أشجار كسا الغيب أوراقها الخضر ثوبا قاتما لايخلو من بهجة ، فانعطف والشاطيء حتى بلغ مصلى بعيدا من السكة العامرة بالناس والدواب .

وهنالك القى بنفسه فوق الطنفة المفروشة بها أرض المصلى ، وعاد الى مثل ما كان فيه في الدار من ذهول

وظل في ذهوله ، حتى اذا اقترب موعد صلاة العشاء تنبه الى فرض ربه . ومثله ليس في ملك نفسه بل هو في ملك دينه وأيمانه . وهل أصابه الا ماكتب الله عليه؟ وهل كل ماحل به الا من عند الله ؟ ولله الشكر والحمد على السراء والضراء.

فقام فتوضأ وصلى المغرب ثم صلى العشاء ثم رفع الى الله أكف الضراعة أن يهديه سواء السبيل

عاد الرجل بعد ذلك الى داره يحميه ستار الظلام من أعين الناس ونظراتهم ، وان لم يحمه من هجمات جيوش الهموم والآلام ، وذهب الى غرفته وحاول أن ينام . لكن الهم والنوم لايلتقيان في نفس قبل أن يذيبها الهم ويغشيها الألم ! فبات يتقلب في مضجعه الى ما قبيل الفجر ، اذ أسعدته سنة ساورته أثناءها فظائع الاحلام ، ولكنها كانت مع ذلك مسعدة أن جددت له بعض قواه ، ومكنته من القيام بعدها مبكرا ليؤدي لله فرض الصبح ويستغفره من عظيم ذنبه

وتعاقبت الايام بعد ذلك، والرجل يزداد كل يوم نحولا وأعصابه تزداد ضعفا . وقل أن كان يفكر، بل كانت نفسه ميدانا لحرب مرعبة قائمة بين فطرة الجماعة وعاطفة الأبوة .. فطرة الجماعة تناديه أن لا سبيل للخلاص من العار الا بالخلاص من ابنته ، وعاطفة الأبوة تحول دون اندفاعه ليطهر بالدم الراق دنس العار ورجسه

وفي الاوقات القليلة التي كان يفكر فيها كانت عاطفة الأبوة تتغلب عنده على فطرة الجماعة ، وكانت تعاوده مرات حنان واشفاق على نفسه ، وكان لايرى جرما في التحدث الى بارئه يسائله ملذا جنى لتحل به نقمة الله ولتفجعه فيما هو اعز من السعادة ومن الحياة ومن الشرف :

في عرض ابنته الوحيدة التي كان يرجوها ملاك طهر وعفاف ، فأبى القدر القاسي الا أن تكون شيطان رجس وفجور

وجعل المسكين يفتش في ماضي حياته عما اجترح من اثم ومعصية ، فحق أن يقضي عليه أعدل الحاكمين بمثل تلك النكبة النكراء . ولم يزعزع من ايمانه أن كان يرى ماضيه طاهرا نقيا ؛ بل كان أكبر ظنه أن نفسه الامارة بالسوء دفعته يوما الى كبيرة لم يفطن لها ، اذ زين له الشيطان سوء عمله وجعله يراه خيرا . ولم يطر بخلده لحظة أن رحى القدر الطحون تدور فتختطف الاطفال الابرياء من أحضان امهاتهم وماجنوا اثما ، وترمل نساء من ازواج كانوا ملائكة حب ورحمة ، وتيتم أبناء من آباء وامهات كانوا مصدر بر وعطف وحنان لايفنى . وهي في دورتها وفي طحنها هذه الذرات الانسانية التافهة

في حياة الوجود العظيم ليست اكثر بها عناية منها بحجر أو بنبات أو بحشرة كالنملة أو كالدودة ، أو بما هو احقر من النملة والدودة شأنا . وكيف يدور ذلك بخلده وهو يقيس عدالة السماء التي يؤمن بها بعدالة الارض التي يعيش عليها ، ويتوهم أن عدالة السماء تخضع لما تخضع له عدالة الارض من عقائد وعادات ومن اوهام وترهات ومن اباطيل وخرافات

على ان هذه الاوقات القليلة التي كان يفكر فيها والتي كانت تغلب عاطفة الابوة على فطرة الجماعة في نفسه ، لم توجه فكرته لحظة نحو ابنته وما قد يكون لها من عذر في اتيان ما أتت . بل صارت ابوته وصار اشفاقه سببا في عطفه على نفسه ورثائه لحاله . فلاذا تخيل فاطمة ارتسمت امامه صورتها ساعة ثورة معاني العصب والتطلبة في جسمها الشاب البديع ، ومالك يغيب تفكيره ويزول عطفه وتلبسه عقائد الجماعة ، تتحكم فيه وتعبث به وتجعل منه حيوانا مفترسا يريد أن ينقض على هذا الاثم الذي خرجت به ابنته على شرائع الجماعة ونظمها ، والذي يرشك أن يثمر نغلا لا تعرف له الجماعة ابا ولا تطلق عليه قوانين الحضانة والنفقة والميراث ، ثم يزيد في حيوانيته وفي افتراسه هذه المئات بل الالوف من الاعين التي امتلأ بها الفضاء حوله ، والتي تنظر اليه نظرها الى ابي فاجرة لطخت وجه الطهر والكرامة ، وأحلت الشهوات الدنيئة منها محل العفاف والشرف

ومرت الايام والاسابيع ، والشيخ يزداد نحولا وأعصابه ضعفا وفكره ذهولا . وقد جالت بنفسه مرات فكرة الانتحار فرارا من هذا العار الذي لحقه ، ولكي لا يقتل ابنته فيأثم في حق بارئه بأن يقتل نفسا حرم الله قتلها الا بالحق . لكن هذه الفكرة انهزمت كما انهزم غيرها من الافكار . وكان الرجل كلما زاده الهم نحولا صار اضعف تفكيرا واكثر خضوعا لفكرة الجماعة وتمثله اياها في خلايا ذهنه وفي شعاب قلبه وفي ثنايا نفسه وتخلل فؤاده . عند ذلك بدأت هذه الارادة التي شلها التردد بين الفطرة والعاطفة تتحرك بدافع الانفعال وحده كما تتحرك ارادة السبع والنمر وكل حيوان مفترس . وبدأت شهوات الرجل للطعام والشراب تقوى فيها هذه الحيوانية التي اخضعت كل قوى الانسان وحسه وشعوره . وتحكمت فيه فكرة ثابتة كان بها يؤمن ولها يخضع . تلك أن لا سبيل لمحو العار الا بمحو مصدره . وخلقت هذه الفكرة الثابتة لنفسها منطقا وسلحت الرجل بكل وسائل تنفيذها . فهذه البنت الفاجرة لا يمكن أن تكون ابنته ، وهو التقي الورع القوي الايمان بالله البعيد عن مؤاتاة الرذيلة والنقص . ومن يدري فلعل امها خانته في غفلة منه ، فكانت الابنة الفاجرة ثمرة الخيانة والاثم . بل

لاشك عنده فى هـذه الخيانة التى أورثتها الأم لابنتها . فما كان الله ليقتص منها فتموت شابة فى قوتها وفى نضرتها ، لولا ما ارتكبت من معصية فى حق الله . لـكن البنت لتمسب اليه وقد اسبغ عليها من نعم العيش ماكفرت به حين اسـلمت نفسها لهذا الاثم ، فكان من كفرها ما جعل الناس ينظرون اليه هذه النظرات القاتلة

وحب البنت ابنتـه وامها كانت طاهرة نقية ، فذلك يزيد فى جريمة فاطمة ولا يخفف منها . هى زانية فتصيبها القتل جزاء وفاقا . واذا كانت القوانين التى سنها الناس غير شرع الله تبيح لهم التمرغ فى حماة الشهوات وهم من القصاص بنجاة ، فما كان لمؤمن بالله وشريعته أن يدع الآثام التى حرم الله ترتكب وهو عنها لاه ولها مطمئن ، أو لم يقل الرسول عليه السلام : «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه وهذا أضعف الايمان» ؟ وهذه البنت قد أصبحت منكرا يراه الشيخ تحت سقفه ويحسه فى أعماق نفسه ، فوجب أن يزيله بيده . ويومئـذ يكون قد أدى لله وللفضيلة وللأبوة حقا مقدسا . ويومئذ ينظر لهؤلاء الناس الذين يزدرونه اليوم فيرد لهم ازدراءهم ، ثم هم يكونون بورعه وتقواه أشد ايمانا

وشحذت فكرته الثابتة عزمه فلم يبق الا أن ينفذ ، فيزيل هذا المنكر ويرضى بذلك ايمانه الثابت ويرضى فطرة الجماعة التى تحكمت فيه ، وسيان لديه بعد ذلك مايكون حكم شرائع الناس عليه . ولم يرض خياله المفترس الا أن يذبح ابنته ذبحا ، ويشوه وجه البغى تشويها ويقطع أوصالها اربا اربا ، فلا يبقى بعد ذلك عالقا بنفسه من اثمها ولا من عارها باقية . وانتظر الشيخ ، حتى اذا كان يوم سوق ذهب بنفسه الى أحد باعة السكاكين، فابتاع سكينا مرهف الحد لامع النصل متين القبضة ، وحمله الى داره وجلس بقية يومه ينظر اليه ويصور لنفسه الدم يقطر منه ، فيبتسم لهذه الصورة وتبرق عيناه بريقا شديدا ، ثم يعتريه شىء كأنه المس أو الذهول ، فاذا عاد الى نفسه استعاد منظر الجريمة التى قدر عليه أن يرتكبها ، كما قدر على ابنته من قبل أن تخضع لسلطان الهوى ، فاختلط بالمه اختلاطها يوم سقطتها باثمها ، وشعر بلذة تملأ حواسه حتى لكان منظر الدم ورائحته وطعمه وصوت تفجر القلب به ، كان يملأ عينه وأنفه وفمه وأذنه بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

وأرخى الليل سدوله وسكن كل من فى القرية الى أهله ، وذهبت فاطمة الى مضجعها وبها من علة

الحمل وسقم الهم ، اذ كانت تسمع من عمتها من تقريع وتأنيب ، ملاعب بحمرة خدها وان لم يذهب بجمالها ولا بابتسامة حلوة بديعة كانت تطرق ثغرها العذب الساحر . وفيما هي تحتمي بالنوم من علتها وهمها ، قام أبوها من غرفته وبيده ذلك السكين المرهف ، وسار الى مضجعها بخطوة ثابتة حتى اذا كان عندها ونظر الى وجهها ، شعر كأن قلبه يريد ان يضطرب بنبأة من حنان . فرفع يدا لم تخل من بعض الرعشة برغم ثبات جنانه ، ثم اغمد النصل بكل قوته في قلب الفتاة ففتحت عينيها تحت اثر الطعنة ، فرأت اباها تلمع عيناه بالشرر ويرتجف كل جسمه وتمتم شفاهه في صوت خفي ولكن بحرارة وقوة : « الحمد لله على قضائه » !

وارادت ان تتململ او تدافع عن نفسها . لكنه وضع يده اليسرى على فمها واستل النصل من القلب ، فانفجر الدم حارا قويا كله الشباب والحياة . واحس الرجل رشاشا منه يصيب وجهه ويده ، فزاده ذلك اقداما وافتراسا . وبيد ثابتة ذهبت عنها كل رعشة وزايلها كل خوف ، حز الرجل عنق المسكينة التي حاولت ان تتخلص بكل ما فيها من قوة اليأس . لكن اباها كان اشد منها يأسا . وبعدما انفصل الرأس عن الجسم ، لذ لهذا الحيوان المفترس ان يشوه ذلك الرأس وذلك الجسم وما يزال دمهما حارا تتفجر به شرايين تلك الضحية التي أرداها الجهل والهوى

وخرج الرجل بعد جريمته مؤمنا انه أدى فرضا عليه اداؤه . لذلك ظل هادىء النفس مطمئنا . فلما سئل امام القضاء لم يتردد في الاعتراف بانه قتل . ونال من اشفاق القضاء عليه بعد الوقوف على امره ان ابقاه وبرأه

ولم يطل به المقام بعد ذلك في قريته ، فقد بدأ بعد اشهر من عودته تنتابه اطوار غريبة . كان ينقطع الى خلوة في بعض المزارع البعيدة احيانا ، ثم يعود الى معاشرة الناس اخرى ، فيراه الناس ذاهلا طورا هائما تارة ، وقد ازداد اكثرهم ايمانا بورعه وتقواه بعد الذي رأوا عليه من هذه الاعراض ؟ وآمنوا به وليا صالحا . لكن هذه الولاية لم تطل ، بعدما اقترن هياجه بالاعتداء على الناس ، فنقل الى مستشفى المجاذيب ، وهو ما يزال الى اليوم فيه . وانك لترثى لحاله حين تراه في ساعات سكونه يذرف الدمع سخينا على ابنته التي قتلها وزوجته التي اتهمها ، ويضرع الى الله ان يبعث الى قلب رجل من الحنان عليه والبر به ، فيورده حتفه ويضع حدا لآلامه

احتلت القصة المصرية الحديثة مكانا رفيعا في عالم الادب العربي ، وقد سألنا ستة من مشاهير القصاصين المصريين وافرزهم انتاجا ، عن احب قصص كل منهم الى نفسه . وفيما يلي اجاباتهم :

أحب قصصي الى نفسي

الاستاذ عزيز اباظة

راجعت المحرر الذى سألني هذا السؤال فقلت له : ليس لي قصص مخلوقة ، فقصصي مقتطعة من التاريخ . وليس لي قصص بمعنى الكلمة ، انما لي مسرحيات . لكنه أصر على توجيه السؤال ، وأصر على اقتضاء الجواب !

واحب قصصي الى نفسي هي « قيس ولبنى » رغم أن قصص الكاتب هي بغير شك اولاده ومن العسير التفريق في المحبة بين الاولاد .

« قيس ولبنى » أول قصصي ، وللابنة الاولى مكانها دائما . وهي الى جانب ذلك فاتحة أمرتني بمعالجته عبرها . ولكن مناط تقديسها في نفسي انني كتبتها بمشهد من احب الناس عندى في اشهرها الاخيرة قبل ان يختارها الله الى جواره . فكانت خاتمة المسرحية نطفة من نفسي ، ذلك لانها كانت ثورة الانسان الملحز على القدر المفرق بين الاحباء ، لا فرق بين أن يكون هذا التفريق منية ناعمة ، أو قطيعة باعصمة

وحين بدأت هذه القصة لم أكن جدا . مكان اولادى يجتمعون حولى بعد فراغي من عملي بالمنيا ، وفي يد كل منهم كراسة . فكنت استجيب لرجائهم واضيا حينا ، وكارها ومكرها احيانا أخرى . ثم وجدتني قطعت شوطا لابأس به في الفصل الاول . فبدلت لهاس العناية ماوهبني الله اليه

وقيس ولبنى قصة جديرة بالتنويه .. كنت في ليلة من الليالي جالسا مع استاذي الخالد شوقي في مقصورته بمسرح الازبكية نشهد « مجنون ليلى » . فخطر لي ان اعرض عليه ان يكتب عن قيس ولبنى . وقلت له : ان عنصر المسرحية فيها أروع واجمع . وكان معنا الاستاذان الجديلى وتوفيق دياب ، فوافقاني على اقتراحي ، واخذا يظهران له نواحي الجمال في تلك القصة . ففكر شوقي طويلا ثم قال : « ان شاء الله » . واردفها قائلا لي : « اذا ما لحقتش اكتبها ابقى حاول أنت » . فضحكنا جميعا ، ثم مرت السنون ، فعمدت اليها فعالجتها

من اجل ذلك كله ابيح لنفسي ان اقول انها احب قصص الى ، او على الاصح احب قصص « الاغانى » الى !

الاستاذ محمود تيمور

احب قصصي الى هي التى تلقى من بعض الناس انكارا وغضاضة ، فيحملون عليها ، أو يعرضون عنها ، تلك هى التى تسترعى عطفى واشفاقى ، شأنى فى ذلك شأن الاب الذى يجد طفله قد حرم الحظوة ، فاذا هو عليه مشفق عطوف ، واذا هو يوليه المزيد من استمساكه به ، وتعهده له . .

ولست اعنى بذلك انى معجب بكل ما اكتب من قصص ، وانى لا اقبل النقد والملاحظة ، فالواقع انى ربما كنت اسبق الناس الى نقد القصص التى يجرى بها قلمى ، وربما كنت اشد عنفا بها وحملا عليها من سائر النقاد !

وانما اخص بعطفى واشفاقى تلك القصص التى اجدها اهلا للبقاء ، ولا اقتنع بما اثاره حولها النقاد من انكار واعتراض . .

وقد علم الناس من أمرى انى أعمد الى قصصى القديمة ، فاراجعها ، فان الفيتها مستكملة عناصر الحياة ، صحيحة المعالجة ، سليمة الهدف ، إبقيت عليها ، وأعدت نشرها حين تنفد نسخها من السوق ، والا تركتها تنعم بنوم هادىء تحت ظلال الحقيقة والتاريخ ، لا ابعثها من مرقدها بحال . . .

واذا لمست فى بعض القصص نقصا اعملت فيها يد الصقل والتنقيح ، وجعلتها اقرب ما تكون الى المستوى الذى انشده وارضاه ، وجلوتها فى مظهرها الجديد ، لتاخذ حظها من الحياة .

واما موقفى من القصص التى يرضى عنها القراء ، فتتالق بينهم مزدهية بهذا الرضا السابغ ، فهو انى لا اطيل التفكير فيها ، او النظر اليها ، خشية أن احسدها . . . فالمثل لا يحسده الا صاحبه ، كما يقول المثل الحصيف !

الاستاذ بديع خيرى

ان القصة التى أحبها دون سواها هى قصة الوفاء الذى يبحث الناس عنه فى كل زمان ومكان فلا يجدونه .

وللوفاء صور عديدة ، مختلفة الوانها ، ولكنها كلها تشترك فى الروعة وقوة التاثير ، سواء أكان الوفاء الذى سجلته قائما بين فتى وفتاة ، أم بين زوجين او صديقين . . او كان بين الجماعات والطوائف لا بين الافراد

وقد وضعت حينما كنت طالبا اكثر من قصة فى الوفاء ، ولا تزال آثار هذه القصص تطغى على نفسى ولا أقوى على نسيانها !

والواقع ان القصة الاولى فى حياة كل قصاص هى القصة التى يؤثرها بحبه ، ويعود اليها كلما امتد به الزمن وعصفت به اعاصير الحياة . وقصتى الاولى بدات حينما كنت فتى صغيرا ، لا أحمل شيئا من اعباء الحياة ، ولا تثقلنى مشاغل الدنيا ، وكنت كالطير الطليق انتقل من غصن الى غصن ، وأنزل من دوحة لارتفع الى دوحة اخرى . وكانت الحياة تبدو لى باسمة دائما ، فى هدوئها وفى غضبها معــا . ويوم ان فكرت فى التعبير عن مشاعرى وتصوير غرامى للناس كتبت قصتى وشرحت كل ما كان يعتمل فى نفسى من لواعج الحب والوجد

ولقد كنت عفيفا فى حبى ، طاهرا فى غرامى ، فقد انتقيت احمل الالفاظ واكثرها رقة ومعنى ، ونقلت للناس باقة رقيقة من الادب دون ان اخدش كرامة احد او اسىء الى احد !

وقد لقيت قصتى الاولى من زملائى فى المدرسة ، ومن كانوا يعلمون بعض الشىء عن غرامى الطاهر صدى من التقدير والاستحسان

ولا زلت اذكر الى اليوم تلك الايام الحوالى التى جلست فيها لاكتب قصتى الاولى ، وكانت الاوراق البيضاء التى يخط فيهـا قلمى بعض العبارات ، سريعا ما تمزق بعد ان البث فيها عبارات كانت لاترضى نفسى فلا البث ان أعود اليها ، ثم اتابع تمزيقها وهكذا الى ان كتبت القصة التى ارضتنى وارضيتها وارضيت من يعرفون قصة غرامى !

ان قصة الشباب هى اجمل قصة عندى .. لانها قصة الحياة الطليقة وقصة الصدى الذى كان يعتمل فى نفسى عندما كانت نفسى تحتفـــل بالحياة بلا تكلف ولا عنت .. ثم هى أحب قصصى الى نفسى لشىء واحد ... هو انها أول انتاجى عندما كنت مجهولا من الناس ، وكنت قد كتبتها لنفسى لا لاحد سواى !

الاستاذ صالح جودت

خير قصة فى حياتى ، هى القصة التى لم اكتبها بعد ...

اما فيما كتبت وانتهى امره ، فانى احب ان اشير الى ثلاث قصص :

الاولى : قصة طويلة كتبتها ، ثم حولتها الى الستارة فخرجت على الشاشة تحمل اسم « ايام شبابى » ... أوثرها لانها كانت تحمل فى ثناياها فكرة أومن بها كل الايمان ، هى ان الرجل الذى يرتكب خطيئة صغيرة اذ هو مستغرق فى لهو الشباب ، لابد ان يدفع الثمن طول حياته مهما ابتسمت له الايام واغدقت عليه الجاه والمال والنعمة

والثانية كانت من تأليف غيرى ، وكان اسمها « القيطة » وقدم ضمها احد المنتجين

على جميع المخرجين ، فكفروا بها وقالوا : أنها لا تصلح للستارة ، ثم عرضها علي فقلت : انني استطيع ان احورها بحيث تصبح أعظم قصة مصرية ظهرت على الستارة .. وكتبت لها « سيناريو » جديدا وحوارا هو خير ما كتبت من الحوار في حياتي ، وخرجت القصة الى الناس على الشاشة فكانت حدثا صفقوا له طويلا ، وفازت بالجائزة الاولى لوزارة الشئون الاجتماعية

أما الثالثة ، فقصة قصيرة نشرها « الهلال » بعنوان « عودة الحمار » منذ بضعة شهور وهي من وحي استاذ كان يدرس لي اللغة العربية بالمدرسة الثانوية ، واكثرها من تأليف الواقع .. لامن تأليفي

وهذا ما اريد أن انتهي اليه .. ان الواقع هو أعظم مؤلف ، وليس لنا من فضل تنسيق الوقائع واختيار الكلمات !

الاستاذ يوسف جوهر

ان لكل قصة من قصصي ذكريات في نفسي ، فقصصي كبناتي احرص على ذكرياتها كما احرص على اسعد شيء في حياتي . ولعل أحب قصة عندي هي قصتي الاولى « المعلم لوقا كمساري الترام » فقد رأيت المعلم لوقا بقامته المديدة وهو يفني نفسه في خدمة الترام ، وتصورت هذا الانسان يقف على سلم الترام بينما تدور الدنيا به كل مدار ، قانعا بقروشه التي يتعاطاها يعيش بها أود جيش من الاطفال خلفه

أما قصة « جراح الارض » فهي قصة الالم أو الشقاء الذي لا انساه أبدا ، وقد أوحته الى تلك الكارثة التي دهمت مصر في حين غفلة من اهلها عندما احل وباء الكوليرا يحصد أرواح الناس حصدا

ولن أنسى ابدا الثمن الذي قبضته من الاستاذ محمد الصاوي محمد حينما نشرت قصتي « الساقية تدور » في مجلة «مجلتي » فقد تفضل وكتب على هامش هذه القصة « انوقع له مستقبلا باهرا في عالم القصة» وكان هذا الثمن اغلى ثمن دفع لي في قصة ، وكانت هذه القصة قصة صراع بين قلبين انتهى بتحطيم احدهما ، حينما حطمت حياة المادة كل مثله العليا

ولعل قصة لم تسبب لكاتبها من الازعاج مثلما سببت لي قصة «لطيف المندي كاتب نيابة » فقد قلت في هذه القصة ان امرأة لطيف المندي تخونه مع صديقه كاتب الصحة ، فثارت ثائرة كتبة النيابة ، وقدموا بلاغا ضدي الى النائب العام ، ولما استدعتني النيابة وسألتني عن لطيف المندي هذا واكدت لها انه شخص خيالي اطلقت سراحي !

وكنت اتهم بالاساءة الى كرامة اعضاء مجلس النيابي السابق عندما نشرت قصة بعنوان « عاصم بك نائب محترم » حللت فيها صور النفاق والرشوة وغيرها من المظاهر الشنعة التي كانت تعشش بين نواب الامة ، او من اطلق عليهم ظلما وعدوانا انهم يمثلون هذه الامة !.. لولا رعاية من الله وقبس من عدله

الاستاذ يوسف السباعي

يبدو لي أن الرد الطبيعي على هذا السؤال .. هو ان قصصي كاولادي ، كلها عندي سواسية كاسنان المشط . واعتقد ان تلك هي الاجابة التقليدية التي يجد فيها الكتاب خلاصا ميسورا من عناء الرد والتفكير .. وهو ولاشك ردصحيح الى حد كبير، ولاسيما الكاتب مثلي متهم بأنه « ولود » خصب الانتاج كثير الذرية ؛ يجد عناء في حصر ابنائه بله المفاضلة بينهم

ومع ذلك فانى اعتقد ان هذا الرد غير مرض ولا مفيد ، وانه لا يشفي غلة سائله ، ولا يرضي رغبة مستطلع ، فقد بات من طول تكراره وفرط توقعه وكأنه لارد . ولذلك تحتم على ان اجهد نفسي في حصر ذريتي الصالحة .. او اذا شئت من الصالحة .. ثم وزنها بموازين المحبة ، وربما دعيت ابيا .. حتى اخرج لك في النهاية باحبها الى نفسي

فاذا بدأنا « بأرض راحلة » .. وجدناها احب القصص الى القراء . ولذلك فهي ليست احبها الى .. لأني لا احب الكثيرة العشاق .. واخشى ان يكون قد غرها فرط التيه .. وانا اكره المغرورين والمغرورات !

و « السقا .. مات » احبها الى المفكرين والفلاسفة ، وانا لا احبها لأني لا احب المفكرين ولا الفلاسفة ولا أحب ما يحبون !

و«ارض النفاق» أحبها الى الجادين والداعين الى الاصلاح ، وانا قد مللتها ومللت الجد والدعوة الي الاصلاح . لان الناس يقرأون .. ويعجبون .. ولكن لا يفعلون

وينتهي بي الامر بعد طول موازنة ومفاضلة بين الذرية الطويلةالعريضة الى «أم رتيبة» الطيبة البشوش الضحوك .. ولها على فضل لا انساه فقد اضحكتني خلال كتابتها ، وانا اعتقد ان خير ما يفوز به الانسان في هذه الحياة .. ضحكه

فلما علمت فوق هذا .. ان النقاد .. غفر الله لهم .. قد امعنوا في هجائها .. ادركت انها لابد وأن تكون .. شيئا ممتازا ، فهي احب قصصي الي .. رغم انف الفلاسفة .. والنقاد

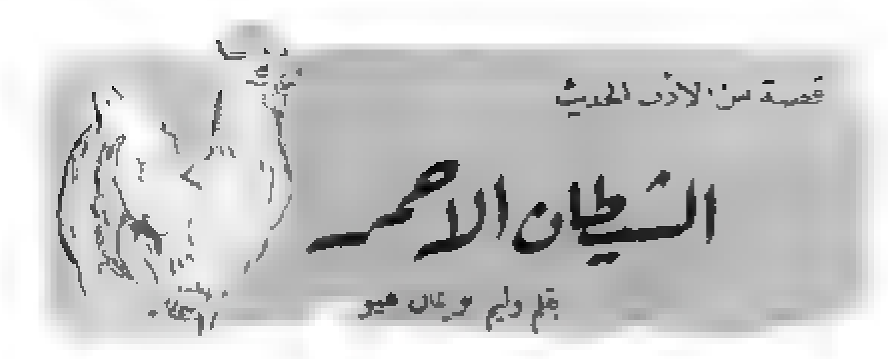

كان ستيف ولسون ، الجندى فى حرس الحـدود بين ولاية الجنوب والمكسيك ، يقرأ وهو غاضب خطاب رئيسه الكابتن دريك ، الذى كتب اليه يخبره بأن حركة تهريب المخدرات قد زادت كثيرا فى الأشهر الأخيرة ، وان الجـزء الأكبر منها يهرب عبر المنطقة التى يقوم بحراستها ، ثم طلب اليه الكابتن فى نهاية الخطاب أن يضاعف الجهد فى مراقبته ومحاولة القبض على المهربين . وطوى ستيف الخطاب فى يده وهمس لنفسه ويحسن أن اتنحى واستقيل من الخدمة ، ثم أهاجر الى أحد المراعى لأعمل به ، أما يكفى رؤسائى الجالسين الى مكاتبهم المريحة ، ما ألقاه من وحشة وعناء فى هذه القرية الخالية من العمران !!

وبرغم ثورته هذه ، فقد اعترف لنفسه ، بأن المهربين استطاعوا بوسائل شيطانية أن يهربوا كميات كبيرة من المخـدرات عبر حدود المكسيك ، وعبثا حاول أن يكتشف أمرهم ...

وفيما هو فى حالته هذه المحزنة ، اذا بالفتاة « كاتى » ربيبة العجوز « دان » جزار القرية ، تقبل اليه مسرعة ثم تقول مضطربة : « ستيف .. أسـرع بربك .. ان عمى دان مريض جدا ويريد أن يراك ... »

فأسرع ستيف معها ، واجتـاز الشارع الوحيد بالقرية ، نحو بيت العجوز دان .. وكانت الليلة هادئة ساكنة الا من طلقات نارية بعيدة ، ونباح بعض الكلاب ، وكانت رائحة شواء اللحم والفحم تفوح فى الجو ، وثمة أضواء تلوح من هـذا الكوخ البعيد أو ذاك ، أما نغمات القيثار ، فكانت تأتى من حانة دون جوريه المكسيكى ، الواقعة على مسافة ميل ، وراء بوابة الحـدود التى يحرسها ستيف ..

كان الشـاب يفكر فى العجوز « دان » وهو يهرع اليه مع كاتى .. فقد كان الرجل صديقه الوحيد فى القـرية ، وطالما أمضى ستيف وقت فراغه فى محل جزارته ، يبـادله الحديث ، وكـانت كاتى ، وهى فى نحو السادسـة عشرة من عمرها ، تجلس فى الغرفة الخلفيـة للمحل ، وتنصت اليهما بينما تعمل أصابعها فى تطريز قطعة من القماش

وما كاد ستيف يصـل الى باب

المحل ، حتى رأى قسيس القرية يخرج منه ، ويبادره قائلا :

– جئت بعد الأوان يا ستيف.. لقد مات العجوز دان .. فليرحمه الله

وشهقت كاتى باكية ، وأسرعت الى الغرفة الخلفية من المحل ، بينما شرع ستيف والقسيس يتباحثان فيما يجب اتخاذه من اجراءات لدفن العجوز دان ، فلما فرغا من ذلك ، قال القسيس :

– لم يعد لكاتى المسكينة أحد يعنى بأمرها بعد العجوز دان .. ولكنى سأطلب من رب أسرة صديق لى أن يسمح لها بالمبيت عنده الليلة

فأطرق ستيف برأسه،وقد شعر بعطف شديد على الفتاة الوحيدة البائسة ...

وفى الليلة التالية لدفن العجوز دان ، أقبلت كاتى الى بيت ستيف تحمل فى يدها قفصا من الأسلاك الحديدية ، فى داخله ديك صغير مقاتل ، أحمر الريش ، رائع المنظر، بادى القوة ، وقالت له :

– لقد أوصانى عمى قبل وفاته أن أسلمك « بليز » لتعنى به ..فقد كان – كما تعلم – يعتز به منذ فاز بجائزة البطولة على ديوك المنطقة كلها ...

فأخذ ستيف القفص ، ووضعه على منضدة أمامه ، وقال للفتاة :

– حسنا يا كاتى ، سأتقبل هدية المرحوم عمك شاكرا .. ولكنى لا أدرى ماذا أفعل به .. ألا يمكن أن تقبليه هدية منى ..؟!!

– لا .. لقد أراد عمى أن يترك « بليز » فى رعايتك .. فيجب أن أحترم ارادته .. انه على كل حال ديك ثمين يساوى وزنه ذهبا ...

– نعم .. نعم..ولكن ماذا أفعل به وأنا على وشك الاستقالة من عملى، والرحيل عن القرية ...

فشهقت الفتاة،وقالت وهى تغالب دموعها .

– لماذا تستقيل يا .. ستيف.. لماذا ترحل عنا ؟!!

– لأنى فشلت فى القبض على الذين يهربون المخدرات تحت أنفى

وحاولت الفتاة أن تقول شيئا ، ولكنهاعضت على شفتها،واستدارت، ثم انطلقت عائدة الى حيث تقيم بمفردها فى الغرفة الخلفية من محل العجوز الراحل

وغمغم ستيف لنفسه وهو يشيعها بعينيه : «انها فتاة جميلة..وبائسة .. أعتقد أنها أصلح ما تكون زوجة لرجل وحيد فى الحياة مثلى .. نعم .. لن أغادر القرية حتى تكون معى، والا فالويل لها من رعاع المكسيك »

ثم التفت الى الديك الاحمر «بليز» وقال له وهو يمد أصبعه من بين الأسلاك ليمسح على رأسه :

– وأنت أيها الشيطان الاحمر.. ماذا أنا فاعل بك ، انك قد تساوى ثروة عند حولة مصارعة الديوك .. ولكن ....

وفجأة سحب أصبعه وقد سال الدم منه ، بعد أن نقره الديك فى سرعة البرق .. وكأنما أثارت رؤية الدم غريزة المصارعة فى الديك ،

فانتفش ريش عنقه ، وانتصب عرفه وصدرت منه أصوات كالهدير ، ومد عنقه خارج الاسلاك باحثا عن منفذ حتى حشر عنقه بين الاسلاك فكاد يختنق . وعندئذ لم يجد ستيف مندوحة من فتح باب القفص لينقذ الديك من الاختناق ، ولكنه لم يدر كيف استطاع الشيطان أن يفلت من القفص ، ثم يهاجمه أعنف هجوم ..

لقد أخذ ستيف على غرة ، حين وجد « بليز » قد خرج من القفص ، وبسط جناحيه ، وراح يضرب بهما الهواء كالطبل ، ثم اذا هو يهجم عليه كالشيطان المريد .. وحاول ستيف أن يتراجع ، فتعثرت قدمه فى مقعد وراءه فوقع على ظهره ، ووقع الديك فوقه ، ونقره فى أنفه نقرة أسالت منه الدم ، فلما حاول أن يدافع عن نفسه بيديه ورجليه ، راح يهاجمه الديك بمهارة شيطانية ، ثم نقره نقرات حادة فى ذراعيه وساقيه ..

وكتم ستيف صيحة ألم ودهشة ، ومد يده الى منفضة قريبة منه ، وضرب بها الديك ، ولكن هذا راغ من الضربة وانقض على المنفضة وقد ظن أن ما فيها من ريش ديكا منافسا ، فراح يمزقها شر ممزق ، وينثر ريشها فى كل مكان .. وبهذا وحده استطاع ستيف أن يتمالك نفسه ، ويسرع الى كيس كبير من القماش ، ليلقى به على الديك ، ويحمله الى القفص وهو يقول فى غيظ :

— مهما حدث لك أيها اللعين ، فلن افتح باب القفص .. فما كنت أعلم أن لك منقارا ومخالب كمخالب الشيطان ...

كان ستيف واقفا بجانب بوابة الحدود فى صباح اليوم التالى ، حين أقبل عليه دون جوزيه ومساعده يحملان — كعادتهما فى كل صباح — مجموعة من الديوك المذبوحة ، فلما وضعاها على الارض ليفتشها ستيف قال له دون جوزيه بعد عملية التفتيش : « لقد سمعت يا مستر ستيف أن العجوز دان ترك لك ديكه الهندى « بليز » .. ولما كنت أعرف أنك لا تهوى مصارعة الديكة ، فانى على استعداد لشرائه ... »

⊂⊃

وكان دون جوزيه هذا صاحب حانة على مسافة ميل داخل الحدود المكسيكية ، وكان يقيم فى كل اسبوع مباراتين لمصارعة الديكه .. وكان أصحاب الديوك يتراهنون مع المتفرجين على الديك الفائز بمبالغ تختلف صعودا وهبوطا ، تبعا لحالة المتراهنين المالية . وكان دون جوزيه يحرص فى الصباح التالى لكل مباراة على حمل بعض الديوك المقتولة عبر الحدود الى القريه التى يقيم فيها ستيف ، اذ كان يقيم بها مكسيكى تخصص فى صناعة تحنيط الديوك وحشوها بالقش حتى تبدو كما كانت وهى على قيد الحياة .. وكان ستيف يلمح مظاهر الثراء تزداد يوما بعد يوم على دون جوزيه ، وكان يوقن بأن هذا الثراء الطارىء ، لا يرجع فقط الى العمولة التى يأخذها على مراهنات الديوك ، وانما الى أسباب أخرى ، لعل تهريب المخدرات أحدها ... وأخيرا هز ستيف كتفيه وقال :

— وكم تدفع ثمنا له ؟!

— عشرة ريالات ...

— أتدفع عشرة ريالات ثمنا لأقوى ديك في المنطقة كلها ؟!

فتضاحك دون جوزيه وقال :

— لقد كان العجوز دان مخدوعا فيه .. ومع هذا ، فاني مستعد لشرائه بعشرين ريالا ...

وظل المكسيكي يزيد في الثمن حتى وصل به إلى مائة وخمسين ريالا ، ولكن ستيف ظل يرفض ، وهو لا يدري سببا معقولا يبرر هذا الرفض . فلما ذهب المكسيكي بالديكة المقتولة الى كوخ الكيميائي ، ثم عاد ليعبر الحدود ، قال له ستيف :

— حسنا يا دون جوزيه .. انني مستعد ان ابيع لك بليز بمائة وسبعين ريالا ...

فضحك المكسيكي في مكر ودهاء وقال :

— لقد كنت أمزح معك يا مستر ستيف .. ان بليز لا يساوي أكثر من خمسين ريالا بأي حال ..

واربد وجه ستيف بالغضب ، ورفض أن يبيع الديك للمكسيكي بأي ثمن ...

⊏⊐

وفي مساء ذلك اليوم مضى الى الغرفة الخلفية في محل العجوز دان ، حيث تقيم كاتي . فلما رأته ، احترق وجهها ، وبعد أن قص عليها أمر مساومة دون جوزيه على الديك قالت له بسرور :

— حسنا فعلت يا ستيف برفضك بيع الديك .. واني اقترح أن تأخذه الى حانة الرجل بعد غد ليشترك في مصارعة ديك من وزنه ، واني واثقة بانه سيخرج من المراهنة بمبالغ كبيرة .. ولعلنا نستطيع بالارباح ان نقيم نصبا من الرخام على قبر عمي دان ..

فتحمس ستيف للفكرة ، فلما جاء موعد المباراة التالية لمصارعة الديكة ، مضى مع كاتي الى حانة دون جوزيه عبر الحدود . وكانت كاتي ترتدي ثوبها الحريري الوحيد ، وتعقص شعرها بشريط حريري ملون ، فكانت تبدو أجمل ما تكون في عيني ستيف . أما الديك «بليز» ، فقد كان محمولا في قفص ، وكان لا ينفك يصيح مسرورا ، كأنما يشعر بما هو مقبل عليه من عراك ومصارعة

ورحب دون جوزيه بهما ، وتناول الديك منهما ، وقال لمساعده :

— خذ بليز يا بورديه وزنه بدقة واختر له ديكا من وزنه لينازله في الجولة التالية .. لقد راهن عليه مستر ستيف بثلاثة ريالات .. أليس كذلك يا مستر ستيف ؟!

فأومأ له ستيف موافقا ، ثم مضى معه الى القاعة التي يحتفظ المكسيكي فيها بالديوك المحنطة .. وهناك راح جوزيه يشير الى بعضها ، ويذكر تاريخ حياتها ، وما أحرزته من انتصارات قبل أن تموت ...

⊏⊐

ولما حل موعد المباراة ، جلس ستيف وكاتي على مقعد خشبي بين لفيف من المتفرجين والمتراهنين

واقبل الشاب بورديه يحمل بين يديه ديكا هنديا نحيي اللون ، وفي

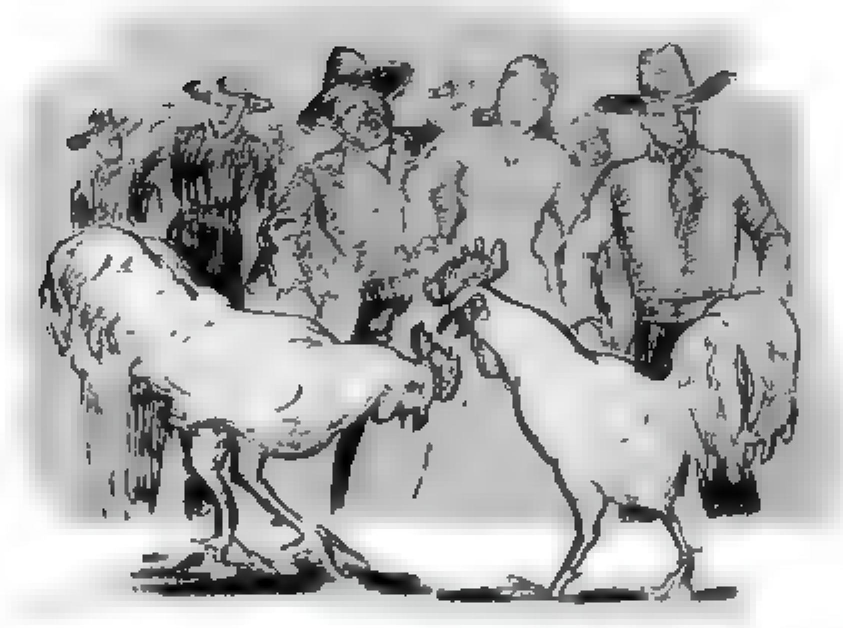

رافقته شاب يحمل ديكا آخر .. ثم أطلق الشابان الديكين ، فراحا يتحاوران ويتشاوران ، ثم اذا هما يتصارعان في عنف ووحشية ، بينما كان المتفرجون يتراهنون عليهما .. وفجأة رأى ستيف الديك النحاسي يرتفع بجناحيه كالبرق كالقذيفة فوق الديك الآخر ثم يصيب رأسه بمخلبه اصابة سريعة خاطفة ، فألقت الديك الآخر صريعا لا حراك به ..

وبعد أن حمل الديك المقتول ، والآخر الفائز ، أقبل المساعد بورديه بالديك «بليز» يتوهج ريشه الأحمر في ضوء المصابيح .. وكان مع الشاب الآخر ديك أزرق الريش في حجم «بليز» .. ونسي ستيف وكاتي كل شيء حولهما وهما يرقبان مصارعة بليز لغريمه .. وكان ستيف يعلم أن انتصار بليز معناه ربح ثلاثين ريالا ، وكان يقدر في نفسه أن انتصاراته المتوالية قد تمد الفتاة كاتي برزق ميسور .. ولكن لشد ما كانت دهشته وخيبة أمله حين رأى الديك الأزرق ، يثب في الهواء ، ويصيب «بليز» بمخلبه اصابة قاتلة في رأسه ...

وفيما كان بورديه يحمل «بليز» القتيل بعيدا ، أمسكت كاتي بذراع ستيف وهمست في صوت باك :

— انني آسفة يا ستيف لما حدث .. لقد جعلتك تخسر ثلاثة ريالات بدون مبرر ، ولكني شديدة العجب والدهشة ، فقد كان عمي دان يؤكد أن بليز أقوى ديك في المنطقة كلها ..

فتنهد ستيف ، وتنهد في ارتياح لخلاصه من الشيطان بليز ، وقال باسما :

ـ لا داعي للحزن يا كاتي .. فلا مفر من ان يذوق المنتصر طعم الهزيمة يوما .. وانني ارجو على كل حال ان أوفق الى اقامة نصب فوق مثوى ديكك العزيز ..

واسرع ستيف ليغادر مع الفتاة ، حانقة دون جوزيه ، في طريق العودة الى القرية ...

☐

وفي الصباح ، كان ستيف يؤدى عمله عند بوابة الحدود ، حين أقبل دون جوزيه ومساعده بورديه يحمل خمسة ديكة مقتولة . فلما وضعها على الارض بجانب البوابة ، ورفع يديه مع مخدومه ليقوم ستيف بتفتيشهما كالعادة قال هذا وهو يمر بيديه على ثيابهما في ضيق :

ـ لا داعي للتفتيش الدقيق .. ادخلا ..

وفي تلك اللحظة اقبلت كاتي ، وراحت تتأمل الديوك المقتولة في صمت ، بينما ابتسم دون جوزيه وهو يقول :

ـ لسوف احمل بليز مع هذه الديوك لتحنيطها عند خائيز والعجوز .. ولسوف اهديه لك بعد تحنيطه وحشوه بالقش ولعلك ادركت الآن أن العجوز دان كان مخدوعا فيه ..

فارما ستيف اليه في غيظ وغضب ثم امره ان يمضي في طريقه ، فلما صدع الرجل بالأمر ، قالت كاتي في صوت خفيض :

ـ لقد جئت اليك ياستيف لأفضى اليك بخاطر طرأ على .. لقد استعدت ليلا في ذهني ما حدث بالأمس ، ولقد خطر لى ان « بليز » ليس هو الديك الذي هزم امامنا أمس .. لقد كانت لبليز طريقة فذة في المصارعة ، كما ان اللون الاحمر للديك الذي زعم جوزيه انه « بليز » ليس طبيعيا .. ومعنى هذا ان بليز قد استبدلوا به ديكا آخر مزيفا

فقال ستيف وهو يغلق البوابة :

ـ هلم نسرع الى كوخ الكيميائي لنتأكد من هذا الخاطر ..

فلما بلغا الكوخ ، رأى ستيف الديكة الخمسة ، موضوعة على طاولة التشريح ، ولمح ما طرأ على وجوه الرجال الثلاثة : جوزيه وبورديه والكيميائي ، من فزع واضطراب .. ولقد ادرك سر هذا الفزع حين تناول الديك الاحمر ، فوجد ان ريشه مصبوغ بلون مصطنع ، وانه ليس « بليز » بأي حال ، وفيما هو يقلبه ويفحصه اذا باصابعه تلمس « غرز » خياطة ، في بطنه ، وفي لمح البرق أدرك كل شيء .. وفي نفس الوقت لمح بورديه وهو يستل سكينه ليصوبها اليه .. ولكن ستيف كان أسرع في اطلاق الرصاص على يده ..

وظل ممسكا بالمسدس يهدد به جوزيه والكيميائي ، ريثما أتمت كاتي تقييد ايديهم جميعا بالحبال ، فلما انتهت ، فتح ستيف بطون الديكة جميعها ، فوجدها محشوة بالمواد المخدرة ، وهكذا عرف سر الطريقة الشيطانية التي كان جوزيه واعوانه يتبعونها لتهريب المخدرات عبر الحدود ...

وقالت كاتي له بعد ان اودع المجرمين سجن القرية :

ــ هلم نسترد « بليز » من الحانة .. فلا شك انه هناك ...

فاسرع معها الى الحانة، حيث وجد بليز فى قفص بين اقفاص اخرى كثيرة ، فلما عادا به ، قالت كاتى فى سرور :

ــ أعتقد انك لن تبيع بليز يوما يا ستيف .. أليس كذلك !!

ــ لا .. مستحيل .. انني احمل له الآن كل حب وتقدير ...

ــ وما دمت قد القيت القبض على الهربين ، فلا داعى لان تستقيل وترحل عن القرية ...

فامسك بيدها فى عطف وسالها :

ــ وهل كان رحيل سيحزنك يا كاتى ..؟!!

فلما رفعت وجهها ، ورأى الدموع فى عينيها ، مسح على شعرها فى حنان وقال :

ــ لقد كنت أنوى يا كاتى ان تكونى معى فى رحيل، بعد أن أسعد بالزواج منك ...

وفيما كان الحبيبان فى هذا النجوى ، راح بليز يدور حولهما منتفش الريش، محاولا أن يجد ثغرة ليهاجم منها ستيف دون أن يؤذى كاتى ، فلما اعيته الحيل ، تحول الى « المنفضة » وراح يمزق ما تبقى فيها من ريش .. وعندئذ ابتسم ستيف وقال لكاتى :

ــ سأترك هذا الشيطان الاحمر يفعل ما يشاء بكل شيء .. الا أن يمسك أنت بسوء

مطافىء ومطاعم شعبية

منذ ثلاثة عشر قرنا كان فى جزيرة الروضة خمسمائة رجل مخصصون لاطفاء الحريق ، ولانقاذ من تتهدم عليهم البيوت ، ان وقع شيء من ذلك يسجل هذه الحقيقة « السيوطى » فى كتابه « حسن المحاضرة فى اخبار مصر والقاهرة » ، فيقول :

ان ذلك كان فى عهد « عبد العزيز بن مروان » الذى ولى مصر سنة ٦٥ هـ واستمر اميرا عليها نحوا من عشرين سنة

ومما يذكر لهذا الامير انه سكن مدينة « حلوان » فاعجبته ، فبنى بها الدور ، وغرس بها كرما ونخيلا ، وكان يقيم كل يوم حول بيته ألف قصعة لعامة الناس ، ويبعث مائة قصعة على العجل الى « الفسطاط » ــ مصر القديمة ــ لاطعام من يطلب الطعام

وهكذا كان « عبد العزيز بن مروان » أسبق الحكام فى « مصر » الى انشاء : مطافىء عامة ، ومطاعم شعبية !

قصدت سعاد الى الشرفة التي علمت ان اختها مفيدة جالسة فيها ، ثم وقفت بالباب ترنو الى اختها الجالسة على المقعد الخيزراني ذي المسندين ، وقد اسندت ذقنها على يدها ، فرأت فيها تمثالا للشجو والاسى . فاختلج الهم في قلب سعاد ، وكادت الدمعة تطفر من عينها فغالبتها ثم اقتحمت خطوة ونادت اختها ، وما ان لمحتها مفيدة حتى وثبت على قدميها وقالت في لهفة « اختي ! »

ولما استقرتا في مجلسهما بالشرفة ، سألتها سعاد عن ابنها محمد وابنتها سوسن ، ثم سألت بعد صمت قصير :

ـ واين زوجك ؟

ـ مسافر

ـ منذ متى ؟

ـ منذ يومين

ـ ومتى يعود ؟

ـ لا ادري بالضبط

ـ مفيدة .. انني اختك واختك الوحيدة ، فلا تنسي هذا اذا ما ذكرت واجبك كزوجة ، ولا تنسي انني لست جاهلة واني اتمنى لك السعادة والهناء ، واني لاقدر موقفك ، واكبرك من اجله ، واعلم انك تخفين آلامك في حنايا صدرك لان هذا ما يجب عليك كزوجة ، ولكني انثى مثلك ، واختك ، وقد حرمنا عطف ابوينا ، فلا مفر لنا ان تكون كل منا للاخرى ابا واما

ـ ولكني يا سعاد لم اخف عنك شيئا

ـ الشعرين بارتياح ضميرك من هذه الكذبة ؟

تخضبت وجنتا مفيدة ، واشاحت بوجهها كأنما هي تنظر الى عرض الطريق ، ولزمت الصمت . واستطردت سعاد قائلة :

ـ ان الحياة قصيرة مهما طال عمر الانسان ، والمرء لايحيا في هذه الدنيا حياتين ، فهي حياة واحدة ، فمن العبث والباطل ان يقضيها المرء كما تقضينها ، حزينة متوجعة باكية وهل تعدينها حياة مثل هذه الحياة ؟

وظلت مفيدة ملازمة الصمت فاستئنفت سعاد حديثها :

ـ اني واقفة على سرك رغم تكتمك ، وما كنت احب ان احدثك فيه لولا اني اراك تقتلين نفسك ، وتنتحرين ذلك الانتحار البطيء الرهيب ، خبريني يا مفيدة أليس زوجك هو مصدر المك ؟

ولم تستطع مفيدة جوابا ، فأومأت براسها ان نعم

ـ وما شكواك منه ؟ عبثه ؟ استهتاره بعهود الزوجية ؟

ـ نعم

ـ هل رأيته مع واحدة مثلا ؟ او عثرت على صورة مثلا ؟

ـ وهل انا بحاجة الى رؤيته مع واحدة ؟ الا استطيع ان احس واشعر ؟ هل تحسبين قلب الزوجة لايستطيع ان يعي الحقيقة دون وجود برهان مادي ملموس ؟ لقد شعرت بالحقيقة منذ البداية ثم .. عثرت على صور ورسائل كثيرة . والصور كلها صور غانيات خليعات

ـ وماذا كان موقفك بازاء هذا ؟

ـ موقفي ؟ نعم يا أختي ، لقد بذلت كل ما في طوق انثى ان تبذله عمدت الى المنزل فجعلته جنة يتمنى كل رجل ان يقيم فيه ولا يخرج منه لحظات الى طرق التجمل والتزين والاناقة فلم ادع طريقة واحدة تقلت دون تجربتها ، ولاني على يقين ان هاتيك النسوة يخلبن الباب الرجال بخلاعتهن ، وبتمثيل أدوار الحب الكاذب والغرام الزائف ، فقد عمدت ان أكون معه خليعة ، وان اجيد دوري الصحيح غير الزائف ، دور الزوجة التي تحب زوجها وتهواه من حبة قلبها .. ولكني فشلت الفشل الاكبر في كل محاولاتي ولم اقنط رغم هذا كله ، فرحت ادرس اخلاقه وميوله ومشاربه من جديد واعمل كل ما يتفق معها

وسكتت لحظة وقد خنقتها العبرة ، ثم قالت :

ـ وكأني اضرب في حديد بارد. وفشلي هذا عجيب في بابه ، ولا استطيع ان افهم علته ، لانه لو كان مقتصرا على واحدة لقلت هذا غرام مكين لا استطيع هدمه ، واكون قد فقدته الى الابد ، ولكنه متقلب في حبه ، متعدد في غرامياته ، فهو في كل يوم مع واحدة جديدة .. وأصبحت يائسة دوري ؟

ثم تسمت بسمة كئيبة ، واستطردت قائلة

ـ اليس من مهازل القدر ان يجمع بين قلبين متناقضين ، قلب لايعرف الا الوفاء في حبه والولاء لمن يحب ، وقلب مذبذب سريع التقلب لايستقر على حال ؟

ـ يخيل الي ان قلبه لم يذق طعم الحب الصحيح

ـ نعم واحسب ان قلبه لما يستيقظ بعد .. هذا الذي أراه منه واعرفه منه انما هو نداء البدن، اما قلبه فلا يزال يغط في نوم عميق.

ومثل هذا الانسان اذا احب حبا حقيقيا ، فانه لا محالة سيفنى فيمن يحب

ــ اسمعى يا مفيدة .. عندى راى أعرضه عليك ، ولك ان تفكرى فيه . من الناس من لايقدر الاشياء حق قدرها الا بعد فقدها ، وقد يكون زوجك من هذا الضرب

ــ لم أ ...

ــ تهجرينه بعض الهجران ، فقد يفتقدك ويرتد اليه صوابه

ــ لقد فكرت فى هجرانه ، ولكن ليس على أساس فكرتك .. اما الآن ، وفى ضوء هذه النظرية ، فسانفذ ما فكرت فيه طويلا

⊂⊃

وانقضى عامان ، وكان قد حدث فى خلالهما ما كان فى الحسبان وما كان متوقعا ، فقد انغمس شاكر الى اذنيه فى مسراته وملاهيه ، وراح يتنقل من امرأة الى أخرى « تنقل الطير من ماء الى ماء » ، وكل واحدة تهدم من بناء ثروته بقدر ما يمكنها قدرتها على الاغراء والاستنزاف .

واستيقظ شاكر يوما من غمرته على أصوات الدائنين المطالبين بأموالهم ، وما انقضت أيام حتى غاب من ميدان التجارة ذلك الكوكب المتألق ، وتلك الحركة الدائمة ، وذلك النشاط العجيب والاقدام التجارى الفذ

وانزوى شاكر فى زاوية مهجورة كما ينزوى الكلب الجريح يلعق جراحه التى لن تندمل

ومرت به أيام وشهور قاسى فيها من ويلات الدهر ما لم يكن مدونا فى قاموسه ، فعرف كيف يكون الاحتقار والازدراء ، وعرف كيف تكون المهانة ، والذلة ، وعرف كيف يكون الجوع وكيف يكون وقع الوحدة فى النفوس . ولجأ الى أصدقائه وزملائه ، فأعانوه ببعض المال كان يتناوله فى حياء وخجل وقلبه يدمى ، ثم قبضوا أيديهم عنه ، وانقضت أعاصير وجوههم فى وجهه ، وأشاحوا وأعرضوا

والتقى يوما بواحدة ممن كان يغدق عليهن أمواله أيام ثرائه ، فحياها وحيته وسألته عن نفسه ، فلما روى لها ماحدث لمهم وجهها وقالت له : « معذرة فلن ادعوك هذا المساء » وخلفته وراءها يحدق النظر فى اثر السيارة التى استقلتها والتى اشتراها من أمواله

ووقف شاكر يفكر .. هل يمكن أن يكون كل من عرفهن من النساء على هذه الوتيرة ، ومن ذلك الضرب الوضيع ؟ الا يمكن أن تكون بينهن واحدة تحفظ الود ، وتذكر الجميل ولا تنكره ؟ انه ليذكر واحدة كانت طالما تقول : « وما قيمة المال ؟ هل يقدر الرجال بأموالهم ؟ كلا ياصاحبى انى احبك لأنى أقدرك ولأنك رجل تحب لا لأنك غنى »

وطرق بابها ، وكانت تعلم من أمره كل شىء . فتجهمت له ثم قالت له فى صوت جاف حين جلست أمامه : « نعم ؟ » فقال :

ــ معذرة اذا جئت أطرق بابك طلبا لمعونتك المادية أولا ورجاء أن تتوسطى لصديقك الحميم أن يجد لى عملا فى متجره

ــ يؤسفنى يا شاكر انى عاجزة عن اجابة هذا أو ذاك فانى لا املك مالا، واقسمت لصديقى ان لا اوجره فى شىء

ــ لقد كنت احسب انى ساجد عندك بعض العون

ــ آسفة ومضطرة اذا تعجلتك فى مغادرة الدار ، فانى على موعد مع بعض الاصدقاء ولا احب أن يروك هنا

وخرج دون ان يحييها ، وود لو شقت الأرض وابتلعته

لقد خسر كل شىء فى هذه الدنيا. خسر ماله وكرامته وشممه ، وخسر قبل هذا وذاك زوجه وولديه . واختلج الحنان فى قلبه ، وشعر برغبة جامحة أن يرى ولديه ولكن . . كيف تراه يذهب اليهما وهو لم يذهب اليهما الا مرة واحدة منذ افترقت منه زوجته ؟ ولقد انقضى هذا الامد الطويل دون ان يفكر فى منحهما شيئا من ثروته اعتمادا على ثروة امهما ؟ وهل تراه يستطيع ان يبدو امام هذه الزوجة التى طردها لغير علة وهو فى هذه الحالة الرثة المزرية ؟ وهل يستطيع ان يواجه هذه الزوجة اليوم ؟ انه ليؤثر التسول فى الطريق على ان يطرق بابها . ليزدره الناس جميعا وليقابل منهم جميعا بكل ضروب الاحتقار ، عدا زوجته وحدها . لقد غادرت دار الزوجية دون ان يحرك ساكنا ، بل دون ان يحس ان شيئا قد نقص من داره ، أو أن حدثا قد وقع فيها ، وما فكر ان يلقى نظرة عليها او على ولديه وهم يغادرون الدار . بل انه ليذكر انه تنفس الصعداء ، واحس ان كابوسا قد رفع من صدره ، فوقف على قدميه ولمطى وفرد ذراعيه ورفع وكأنما هو يستنشق هواء نقيا غير ملوث ، واحس انه سينعم منذ اليوم بنعمة الحرية

وها هو ذا قد قطع كل الطريق الذى اكره لنفسه حتى وصل الى قعر الهاوية ، فكيف يفكر أن يريها وجهه بعد ذلك المسلك المشوه الحقير الذى سلكه معها ؟ انه اليوم جثة عفنة تمشى بين الناس ، وقد آن لهذه الجثة أن تدفن فى الرغام وأن يهال عليها التراب ، وان تختفى من انظار الناس

■

وقصد شاكر الى غرفته الحقيرة التى يسكنها فى حى قذر من أحياء القاهرة القديمة ، وجلس على السرير الصغير ، وراح يجيل نظره فى الغرفة العارية من كل شىء الا هذا السرير الحقير ، ويفكر فى الوسيلة التى يقضى بها على حياته

وسمع فجأة طرقا على باب غرفته ، فعجب من يكون الطارق وهو مجهول فى هذا الحى ، فقام من مكانه متثاقلا ، وسار بخطوات وئيدة من فرط الجوع والضعف حتى وصل الى الباب وفتحه ، ثم اتسعت عيناه فى دهشة عظيمة وهو يرى قبالته سيدة انيقة الثياب تضع على وجهها خمارا فلم يستطع أن يرى وجهها ، فقال فى دهشة :

ــ نعم ؟

ولم تجبه السيدة ولكنها اكتفت برفع النقاب عن وجهها ، فكأنما مسه

تيار كهربائي ، وقال في صوت المشدوه : « مفيدة ! »

ولم تجبه مرة أخرى بل دخلت الغرفة وأغلقت الباب وراءها ، ثم قالت باسمة بسمة مشرقة :

ــ أليس لديك ما تحييني به ؟

ــ ولكن .. من أين عرفت المنزل؟

ــ ألا تسرك رؤيتي ؟

ــ طبعا .. طبعا .. ولكن كيف عرفت ..

ولم يستطع ان يكررها مرة أخرى، فخفض رأسه وجال بعينيه في أرض الحجرة العارية ، ولزم الصمت ، فتقدمت منه خطوة وقالت :

ــ أتسمح أن أجلس على السرير الى جانبك ؟

وهل يسعه إلا هــذا وليس في الحجرة مقعد واحد ؟

وتماسكت مفيدة جهدها ، وقالت كأنما هي تجيب على ما في نفسه :

ــ محمد ابنك يطلب ان يراك ، فجئت لرجوك ان تذهب معي اليه

ولم يجب شاكر بادىء الأمر ، ثم انفجر قائلا :

ــ لم جئت الي ؟ هل تريدين أن تثأري لنفسك بإذلالي

فوضعت يدها على فمه وقالت :

ــ لا تقل مثل هذا القول ياشاكر اعلم ان كنت لاتعلم أننا افتقدناك في كل يوم من هذه الأعوام الطويلة ، ولقد جئت اليك لأبلغك توسلاتي وتوسلات ولديك أن تعود الينا ..

وفغر فاه ، واتسعت حدقتا عينيه وهو ينظر اليها مذهولا مشبك الذهن .. تتوسل اليه ؟ يعود اليهم ؟ وقال في صوت خفيض :

ــ وبعد الذي حدث مني ؟ ومن أنا حتى تتوسلي الي ؟ أنا اليوم شبحا من الاشباح الضالة التي لا تهتدي الى طريق حتى ولا طريق الجحيم !

فأمسكت بيده ، وقالت :

ــ لا تنس ياشاكر انك كنت مغمض العينين لاتستطيع أن تتبين معالم الطريق السوي، ولا أن تبصر حب زوجتك لك ووفاءها واخلاصها ولا حاجة ولديك الى عطفك وحنانك واني لأحمد الله ان زالت هذه الغشاوة من فوق عينيك ، ولقد قيل قديما : « ان الذي يقدر لايتعب » فلنفرض انك مرضت وأنفقت كل ثروتك في استرداد صحتك ، وأنا اليوم أضع حياتي وقلبي وأموالي بين يديك في سبيل استرداد زوجي ووالد ولدي

ــ مفيدة ، هذا كثير ، اني جدير باحتقارك وازدرائك ..

ــ صه .. انك زوجي وسيدي و .. حبيب قلبي

ــ انت ملاك يامفيدة .. واني لأعجب كيف عميت كل هذا الدهر الطويل عن ادراك حقيقتك !

ــ واني لأسترخص فقدان ثروتك في سبيل زوال هذه الغشاوة من عينيك . واسمع ياشاكر .. انك بثروتي تستطيع أن تسترد مكانتك في عالم التجارة ، وأستطيع أنا أن أسترد الى قلبي الزوج الحبيب ، والى ولدي الوالد العطوف . وما قيمة المال اذا لم ينفق في سبيل مثل هذه السعادة الفردوسية ؟

« يرجع سلمان عبد ربه الى القرية وارث عشرين [illegible] خصبة كما كان من قبل ولا [illegible] رغم كما صار من بعد ، ولكن [illegible] يحصل الطفل »

رجع الى قواعده

بقلم الأستاذ محمود تيمور

فاستيقظ « سلمان عبد ربه » صبح يوم ، فالفى نفسه فجأة على غير انتظار صاحب عشرين فدانا خصبة ، ورب دار ريفية رحبة ، الى ما تحويه الدار من امتعة واثاث وما تعج به من دواجن وماشية ودواب

ليس الامر اضغاث احلام ليصحو منها الليل ، فتلك هى اصوات العويل والبكاء تتعالى ، ناعية للقرية وفاة الشيخ « عبد ربه » والد « سلمان »

لم يكن يقع فى الحسبان ان يحدث ذلك بين عشية وضحى ، فقد كان الاب شديد الاسر ، متين البنيان ، بالغ العتو ، من يراه لا يشك فى انه باق على ظهر الارض الى ارذل العمر ، فكان الموت يتهيب ان ينال منه المنال

بذلك كان يتحدث « سلمان » الى نفسه ، بل لقد كان يتوهم انه هالك لا محالة قبل ابيه .. ولكن شاء القدر ان يعكس الآية، او بالاحرى شاء ان يجعل الامر يسير وفق المألوف ، طوعا لسنة الطبيعة واحداث الحياة

أوى الاب الى فراشه كما تعود فادركه الموت بسكتة القلب ، وهو فى عنفوان قوته ، لا تغني عنه القوة شيئا ، فاخلى مكانه لابنه ، يخلفه عليه ، ويصيب من الحياة ما اصاب قبله ، اذ لم يكن له من البنين سواه

وهكذا الفى « سلمان » نفسه زعيم الدار ، وعميد الاسرة ، له الكلمة العليا على اهليه جميعا ، ولا سيما زوجه واولاده الصغار ، اولئك الذين كانوا لا يكادون يقيمون له وزنا فى حياة ابيه ، ولطالما عجلت زوجته الى ابيه تشكو اليه تكاسل زوجها وتراخيه ، وتنعى عليه انه يبدد ما يصل الى يده من نقود فى الرخيص من المتع والتافه من المتاع

وكان أكبر ماابتهج به «سلمان» من هذا الحدث الجديد أنه قد أصبح سيد نفسه، يتصرف حسبما يشاء ولا يعوقه عن رغباته شيء، ولا يبالي التوجيه من أحد

ما أجمل الحرية بعد القيد، وما أطيب مذاق الانطلاق بعد طول الأسار

ها هو ذا يستطيع أن ينام ملء جفنيه إلى الضحوة العالية، لايزعجه من نومه الهنيء صوت أبيه في زجر وتعنيف

ها هو ذا يستطيع ألا يذهب إلى الحقل، غير خائف أن يأمره أبوه بالتبكير إليه، والعمل فيه، كأنما هو أجير مهين

لا تثريب عليه اليوم أن يقارب من الأعمال ما يهفو إليه فؤاده، مما كان حراما عليه، وأن يتصرف عما تأباه نفسه، مما كان ملزما به

على أن أماني الحرية عنده تجمعت كلها في أمنية ما كان أعزها عليه، وإنها الآن قريبة منه دانية القطوف فلماذا لا يجني أطايبها وقد زالت كل عقبة في سبيله إليها؟!

من يقف الآن دونه إذا يرغب في امتلاك ذلك البيت الرفيع في المدينة فيقيم في إحدى شقتيه، ويدع الشقة الأخرى مؤجرة كما هي، تدر عليه الريع الطيب الموفور؟

ماباله لا يفعل، ليباعد بينه وبين العيش النكد في جوف الريف ليستأنف حياة الحضر، مستمتعا بما فيها من مباهج ومسرات؟

لقد كانت أحب متعة إليه في حياة أبيه أن يقصد إلى تلك المدينة الجميلة يقضي فيها بعض وقته، متعللا بألوان العلات، فإن أعيته الحيل اتخذ سبيله إليها هربا، ومتى حل بالمدينة جاس خلال الأسواق جياش النفس، تبهره النساء في زيهن الأنيق، وسيرهن الرشيق، حتى إذا كلت قدماه من السعي، أخذ مجلسه في المشرب يحتسي أقداح الشاي، ويجتذب أنفاس «النارجيلة» من أنبوبها المتطاول الملتوي كأنه أفعوان طويل بذنبه، وما هي إلا أن يقبل عليه ماسح الأحذية ليسلم إليه حذاءه العتيق الذي لا يحتذيه إلا في زوراته المدينة وبالها متعة يشعر بها «سلمان» وهو يشاهد ذلك الرجل المتهدم منحنيا عند قدميه، تكاد تمسهما شعرات لحيته!

وقد عرف «سلمان» في ذلك المشرب شابا أعجف العود، أقتم الوجه، شبيه فأر أجرب، كلاهما قريب الشبه من شبيهه، حتى ذلك الشارب الدقيق الطويل لا يختلف عن شارب الفأر في قليل أو كثير

وكانت صحبة «سلمان» ورفيقه مصداقا للمثل القائل: «إن الطيور على أشكالها تقع» فهما يتفاخران بأنهما يجيدان كل شيء، ولا يند عنهما شيء، وليس ثمة شيء يعرفانه أو يحسنان له صنعا

إذا جلس الفأر الأجرب إلى رفيقه ادعى أنه سمسار ملحوظ المكانة،

مشهود له بالكفاية ، ولكن الحظ لا يفتأ يعانده ، والنحس واقف له بكل مرصد ، فيبادله « سلمان » الحديث في أنس به ، واقبال عليه ، كلاهما يفضي الى رفيقه بذات نفسه ، حتى تمضي الساعة تلو الساعة ، وهما يتباريان في لعن الدهر ، والنقمة على هذه الدنيا التي لا تدين الا لاهل الغفلة والبلاهة ، تقسو على أصحاب الكفايات ، وتسخو على من عداهم بلا حساب !

والف « سلمان » مجلسه هذا في المشرب مع رفيقه ، ينعم به كلما قدم المدينة ، فلا تعدو عيناه منظر ذلك البيت الرفيع الذي يقوم تجاه المشرب ، ويظل يتأمل طبقاته الاربع مطيلا التأمل ، مستمعا الى حديث رفيقه في شأنه بعدد محاسنه ، ويبالغ فيما يدره من ريع على مالكه الذي يحيا في احدى شققه حياة الامير المترف ، ويتلقى في رأس كل شهر ريع الشقق الثلاث في غير كد ولا عنت

ويعود « سلمان » ليزاول عمله في مزرعة أبيه ، فكلما حزبه أمر في ذلك العمل الراتب المضني ، سنح لخاطره حديث رفيقه السمسار في شأن البيت الرفيع الذي يستمتع مالكه بريعه في غير حرث ولا ري ولا سوق للدواب ، الى غير ذلك من الوان التعب والمشاق . وهو فوق ذلك يجد في بيته السكن الطيب ، فان أدركته ملالة فيه نزل الى المشرب يستروح بمباهج الطريق

لقد مات الشيخ « عبد ربه مصطفى » وترك وراءه ابنه سلمان يحقق من احلامه ما يريد ، فما عتم « سلمان » أن قطع ما بينه وبين الريف من أسباب ، وبات يملك في المدينة ذلك البيت الرفيع !

لم يبذل جهدا في اجراء ذلك كله فقد وكل الامر الى همة رفيقه الفار البشري ، فاضطلع بالمهمة غير مقصر ولا وان . وبين يوم وليلة تألق نجم ذلك السمسار العظيم بتلك الصفقات الكبيرة التي قام بها لسلمان

وظهر اسمه في لوح عريض مسلى باب مكتب لائق ، ورن في حجرة المكتب « تليفون » لا يهدأ في صباح أو مساء ، وبين الفينة والفينة يتخايل في المكتب شبح خادم في قباء أبيض يزينه نطاق أحمر وهو يسأل السمسار العظيم : ماذا يطلب وبماذا يأمر !

ولقد رضي بائع البيت الرفيع أن ينزل عن مسكنه فيه للمالك الجديد ، لقاء ما أصاب من غنم كبير ! أما بقية السكان ، فقد لبثوا في شققهم لا يعرفون « سلمان » قدر ما يعرفون السمسار ، فهو الذي يتولى جباية الاجرة ، ومحاسبة السكان ، وهو الذي يدفع الى كل منهم سند التسلم ، عليه خاتم المالك الجديد

وبلغ « سلمان » ما تمنى ، فاتخذ له في المشرب مثابة مختارة يستقر فيها طول اليوم ، متفشيا في مجلسه وانبوب النارجيلة في يده يواتيه بالانفاس المعطرة ، وكلما مر بمسامع أحدثة استدعاه اليه ، وعد له قلعية

ليظفر مداسه بالطلاء مرات ومرات ، ومر فمامسحو الأحذية فكانوا يرقبون مقدمه ، ويتسابقون عليه ، ويتنافسون فيه ، وهو يسخر بهم ويضحك منهم ، وقد يداعبهم بالركل ويقلب في وجوههم صناديقهم الخشبية المحطمة ، ثم يشترى رضاهم عنه بثمن بخس دراهم معدودات

وكانت عينه أبدا في عرض الطريق تتصيد من يغدو ويروح ، فاذا عبرت عن كثب منه غادة من غيد المدن تتخطر كالظبي المراح ، افتر ثغره ، وتراقص شاربه ، وتقافزت بين جنبيه قرائب احاسيس ، ولمعت في خاطره افكار جريئة لم تكن تقع منه ببال .. فاذا غادر المشرب الى بيته ، طالعه وجه زوجه ، كشرها من اثيابه ، وابدى لها قطوبا وجهامة وصاح بها ينعتها بأنها من اثقل الناس ، وأنها ما برحت طفلة لا تحذق شيئا من فنون الحضر ، ولا تجارى روح العصر ..

وساعة وهو جالس جلسة النامر في مثابته المختارة من المشرب ، وقد دفع بقدمه في وجه ماسح الأحذية ، اذ ألفى سيدة تحوم حوله في محاذرة وحذر ، وما لبثت أن حيته ، فرد تحيتها في دهشة فقالت له على الفور :

ـ لى عندك يا سيدى رجاء .. فلا تخيب رجائى فيك

ـ ماذا ؟

ـ أنا « نفيسة » من سكان بيتك العامر .. ومسكني فيه الشقة العليا ، اشغلها منذ سنين طوال ، وقد توفى زوجى منذ اشهر ، ولم يكن لى عائل سواه ، فاضطربت بى الحال ، وأصبحت أنا واولادى في ضنك من العيش ، ولم تعد لى طاقة باداء الاجرة كما كنت افعل ، فهل يرضيك أن أطرد أنا واولادى في الطريق بلا مأوى ؟

ـ كيف ؟

ـ هذا لا يرضيك ، فأنت رجل كبير القلب ، نبيل النفس ، والناس جميعا يمتدحون فيك محاسن الأخلاق

ـ وماذا ترجين منى أن افعل ؟

ـ أن تأمر الجابى الذى يحصل لك الاجرة بأن يكون بنا رحيما ، فقد رغبت اليه في أن يمهلنا فأبى ..

ـ ولكن ..

وهم الرجل أن يواصل الكلام ، فقاطعته دموع المرأة تنهمر توقالت له في صوت تخنقه العبرات :

ــ ايرضيك ان يتشرد اولادي الصغار ؟ ارحم اسرة فجعها القدر في عائلها ، وانت اهل المكرمات

وازاحت المرأة خمارها لتمسح عينيها فاسفر وجهها ناصع البياض يزينه انف دقيق وفم قرمزي ، فجعل الرجل يرقبها بعين فرحة وهو ينقر المنضدة حياله باصابعه ثم قال :

ــ سننظر في هذه المسألة ... سننظر

فانطلق لسان المرأة يدعو للرجل بالخير ، ولملمت ملاءتها تزم جوانبها وهي تؤكد له انها لا ترجو الا ارجاء موعد الاداء ، حتى تنجاب عنها العسرة ، وتدبر امرها في القريب

فكر « سلمان » في شأن هذه السيدة ، واطمأنت نفسه بالضرورة ان يقصد شقتها ليتبين حقيقة الحال ، ويعالج الامر بما تقتضيه من حكمة ، وما هي الا ان صعد الى مسكن السيدة الايم ذات الاولاد الصغار ليستمع ويتوسع ، ولم تكفه زورة واحدة ، فجعل يتابع زوراته لتلك السيدة ، متأنقا في الملبس ، منخضبا بعض الزينة ، وجهه يلتمع ، وشاربه مرهفان ، ويداه تحملان الوانا من الحلوى والطرائف للاطفال ولغير الاطفال !

فاذا طرق الباب طرقاته التقاف ، عجل اليه الصغار يتهللون مرحبين له الارملة حسنة الهندام ، يفوح منها العطر ، وعينها تتودد اليه ، وكان في كل زورة يواعد نفسه ان يتحدث الى السيدة في موضوع الاجرة ، ليعالج المشكلة بنفسه ، ولكن لامر ما لم يجر بينهما في هذا الموضوع حديث

وعرض السمسار مرة اخرى على « سلمان » شأن تلك السيدة التي ابطأت في اداء الاجرة شهرا بعد شهر ، فصاح به « سلمان » يقول له :

ــ من علمتني يا صاح ؟ ابليس بي أن اترك هذه الاسرة تعاني الضيق والتشريد ؟ انها من اكرم الاسر ، وحرام ان اتخلى عنها .. حرام !

وعلى مر الايام اصبحت الهدايا التي يحملها الرجل الى تلك السيدة الايم هدايا عرس ..!

وذات عشية دعي المأذون الى تلك الشقة ليعقد الزواج !

وبنى « الشاطر حسن » بسيدة الحسن والجمال !

ولم يكن لهذا الحادث اثر الا في شيء واحد ، فاقتصر ان اجرة الشقة لم تعد تدخل في حوزة « سلمان » وان اجرة الشقتين الاخريين اصبحت في حوزة « الجمال الحيوي » لتلك السيدة الكريمة العنصر التي باتت تدعى « سلمان »

واستشعر الرجل زهو الانتصار لقد ضم الى مملكته رقعة جديدة يستمتع فيها بالامر والنهي ويحكم فيها بما يشاء ، او بما يتوهم انه ما يشاء !

وبلغت سمع الرجل يوما وهو في بيته أصوات استغاثة تعلو عليها أصوات تهديد ووعيد ، فاصغى اليها كل الاصغاء ، حتى تبين له أنها تنبعث من احدى شقق البيت فهرول اليها يقتحم بابها ، فالفى مستأجرها « عبد الجليل » يعارك زوجته وهى تحاول التملص من يديه فلا تستطيع ، فاندفع سلمان نحوهما يفرق بينهما ، وكان الناس قد تجمهروا بباب الشقة يستجلون الخبر ويتفرجون، فصاح بهم سلمان صيحة عارمة ردتهم على اعقابهم مسرعين ، واغلق دونهم باب الشقة على عجل ، وانفرد بالزوجين يتعرف أسباب النزاع ، ويصلح ذات البين فنزل الزوجان على حكمه ، وانتهيا الى مصالحة ووفاق ، وبقى الرجل معهما يحتسى القهوة ويقضى السهرة ويؤانسهما باشتات الاحاديث لم انصرف يشيعانه بالشكر والاكبار ، وأعطافه تهتز من طرب ومراح ، وشاربه يشقى بأصابعه تبحث عليه فتلا !

▭

كان «عبد الجليل» من موظفى الرقابة الزراعية ، عمله تجوال في منطقته المرسومة له ، يفحص ويفتش ، وهو في ريعان فتوته ، بيد أنه كان سريع الغضب ، ضائق الصدر ، لما يعانيه من ارهاق في العمل ، وضآلة فيما يصل الى يده من المال ، فلذا مادال مسكنه عاد اليه كئيبا مكدودا ينشد الراحة والسكينة والاطمئنان ولكن زوجه الشابة الطموح تخبأ له طوال يومها صنوفا من المطالب لا تلبث ان تتحول الى مناقشات وشكايات ، وما هى الا أن تنقلب الشكايات الى مشاجرات ومناكفات ... ومن ثم اقتضى الامر ان يتدخل بينهما مالك البيت « سلمان » !

وتوالت منازعات الزوجين ، فتوالت زورات الصديق . ومن عجب أنه كلما اشتدت الجفوة في تلك الأسرة استوثقت بتهاويين «سلمان» أواصر الود ، فكان يطيب له أن يقضى معهما السهرات الانيسة ، على اثر المشاحنات العنيفة ، تضحكه نوادر « عبد الجليل » ونكاته ، وتمتعه مجالسة الزوجة الشابة ، فيصدر عنهما منشرح الصدر نشوان

وفوجىء « عبد الجليل » بأمر وزارى صدر اليه بالنقل الى بلد قصى في الصعيد ، نشبت بينه وبين زوجه منازعة شعواء حول انفاذ هذا النقل والسكنى في المقر الجديد ، وفي هذه المنازعة تجمعت كل مساوىء الحياة الزوجية في تلك الأسرة المضطربة ...

ولم يجد «سلمان» بدا من اقحام نفسه كما تعود ، ونجح في فض الخلاف كما هو شأنه ، وتم على يديه الرضا واشاعة الامن والسلام كما كان يفعل ، اذ يفرض على الزوجين ما يفرض من أوامر واحكام ، بيد ان حكمه في هذه المرة كان هو قطع العلاقات .. كان هو الطلاق !

ونفذ الحكم على أهون سبيل .. وتخلى الزوج من تبعة الشقة وتبعة الزوجة في لحظة واحدة ، وغادر البيت والبلد جميعا ، وانطلق

وجده يحمل حقيبة اشيائه الى مقر عمله فى ذلك البلد القصى !

وابت نجدة « سلمان » الا ان يحتل مكان الزوج فى تلك الشقة التى ذهب عنها رجلها ، فقد عز عليه ان تحار الزوجة الشابة فى امرها ، وان تبقى لا عائل لها ، تتقاذف بها مكاره العيش ولعبة الحياة ..

وتسامع الناس بالامر ، فحمدوا « لسلمان » هذه النجدة الكريمة ، او لعلهم تظاهروا بانهم يتغنون بها وهم فى بطائن انفسهم يرون الوان الظن والتأويل

وما اسرع ان اضيفت هذه الشقة الثالثة بتكاليفها الى منطقة نفوذ « سلمان » فى ذلك البيت الرفيع .. فاصبحت هيمنته مشتملة على اسر ثلاث ، يتنقل بينها كما يتنقل الامير المسيطر فى ارجاء امارته الزهراء

ولم يبق خارجا من منطقة نفوذه فى البيت الا الشقة الرابعة ، وكان يسكنها رجل وغور علت به السن ، اسمه « عبد الرازق الحلاوى » ، يحيا فى الشقة مع قعيدته العجوز وابنته الفتاة الوسيمة ، وكان « عبد الرازق » مشهودا له بين الجيرة بالرزانة والحنكة ، ياخذ نفسه بالا يخطو خطوة حتى يهيىء لرجله موضعها قبل الاقدام ، وقد رأى بثاقب نظره أنه لابد له من المسارعة الى تزويج ابنته ، فهو يخشى عليها فتنة السوق وخدعة الشباب ،

ولم يتردد فى اختيار « سلمان » زوجا لها ، اذ راى فيه فوائد جمة لا يكاد يحصيها عدا ، فهو صاحب البيت ، وبهذا الزواج تصبح ابنته كانما ملكت ذلك المسكن الذى يعيش فيه ، وفوق ذلك فلن يسلبه ذلك الزوج ابنته ، ولن يقصيها عنه ، فلا فرقة بينها وبينه ، وكل ما يحدث أن تدخل الشقة باكثر تكاليفها فى حماية « سلمان » ورعايته ، وبذلك تهون النفقة على الاب الذى قعدت به السن عن موفور الكسب ، فهو لا يملك الا أن يعيش عيشة الكفاف .. على هذا النحو قضت حكمة الشيخ المسن الراجح العقل ان يكون زوج ابنته « سلمان » .. فكان !

وهكذا اتم الله على « سلمان عبد ربه » نعمته السابغة ، فاذا هو رب البيت الرفيع ، بكل ما فيه من جدران ، وكل ما يحتويه من سكان

يا لهذا الشعور الهنيء الذى يغمر جوانحه ..

ان الايام لتجرى به وفق هواه ، وان القدر الذى التوى عليه من قبل ليسلس له اليوم قياده فى كل شىء !

حقا يسرت له الاقدار ما كانت انظاره تمتد اليه ، ولكن امرا واحدا لا يدرى ماذا هو صانع فيه ، ولا كيف يسره له الاقدار .. ذلك هو الانفاق على ذلك الجيش الجرار الذى تنطوى عليه تلك المملكة الضخمة ، مملكة البيت الرفيع

لقد كان ريع البيت مصدر رزق له .. فاما اليوم فان البيت قد انقطع منه الريع ، واصبح يتطلب نفقات موصولة فى كل يوم ، بل فى كل ساعة

اقلقه هذا الخاطر بعض حين ، تشاور فيه رفيقه الفار الاجرب ،

تهون عليه الامر التهوين كله ، ورغب اليه في أن يترك له تلك المشكلة يعالجها بما يعهده فيه من حزم وحسن تدبير .. فكان « سلمان » كلما طلب مالا امده به صاحبه ، وبات الامر في غاية اليسر ، كل ما يتجشمه « سلمان عبد ربه » هو ان يضرب بخاتمه العظيم على بعض أوراق يقدمها له الرفيق الحبيم ، فاذا هو حاصل من النقود على كل ما يريد

.. وافاق « سلمان » يوما فرأى الملكة العريضة قد تقلص ظلها عنه .. اما البيت فقد بيع لاداء الديون التي تراكمت عليه ، واما الزوجات الثلاث الجدد فقد اراحه الطلاق منهن ، بعد ان اعجزه الانفاق عليهن

وتلفت الرجل يمنة ويسرة ، فلم يلف ازاءه الا تلك الزوجة الرفيقة القديمة ، ومن حولها صغارها يتصايحون

كان الفار البشرى بطل الوقعة غير منازع .. هو الذى اقترض المال ، وهو الذى رهن البيت ، وهو الذى تولى من بعد اعطاء كل ذى حق حقه متجردا من جهده في خدمة الصديق ورعاية شأنه ، والوفاء له ، واستنقاذه من براثن المخادعين والمستغلين ..

ورجع « سلمان عبد ربه » الى القرية ، لا وارث عشرين فدانا خصبة كما كان من قبل ، ولا مالك بيت ريع كما صار من بعد ، ولكن أجيرا يعمل في الحقل ما وسعه أن يعمل ، يحرث ويزرع ويروى ، ليحصد ما تنبت الارض بالكد الموصول

وكلما راج له قليل من النقود ، وكل الى زوجه واولاده أن ينوبوا عنه في عمل الحقل ، وانسلب الى المدينة برهة من نفسه ، فطوف خلال الاسواق يتسكع ، حتى اذا اعيا قصد الى المشرب ، فطفق يجتلب انفاس « النارجيلة » في تلذذ واستمراء ، ويمتد قلبيه ماسح الاحذية محنى الظهر يعمل في همة ومضاء

ويقبل عليه رفيقه الفار البشرى ذلك الذى اصبح هو الآخر رهين المشرب ، لا مكتب يحمل اسمه ، ولا « تليفون » يدق في طلبه ، ولا خادم يقوم على شأنه في قباء ابيض يزينه نطاق احمر

فاذا شرع الرفيقان في تناقل الحديث ، جعلا يتباريان في الانكار على الدهر ، فهو يغبن على اصحاب الكفايات ، ويغدق على من عداهم بلا حساب ، وكلاهما في اثناء الحديث ممدود البصر الى ذلك البيت الرفيع الذى يتجلى حيال المشرب بطبقاته الاربع ، كأنه عروس أخذت زخرفها ليلة الزفاف !

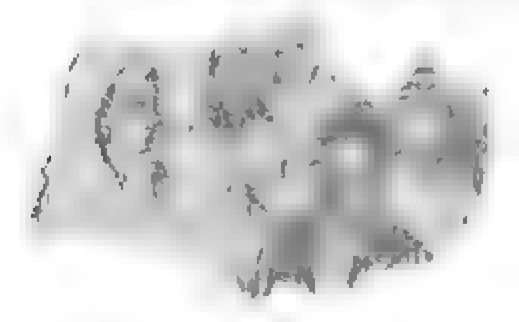

« اقسمت على قبرها أن أحفظ سرهما الذى كتمته وأن أبذل ما وسعنى لاخفائه »

الشيخ المنبوذ

بقلم برتراند راسل

فى عصرنا هذا ، عصر الحروب ونكباتها ينظر الكثيرون الى العصور الماضية نظرة التحسر اذ كان الأمن فيهما ثابتا لا يتزعزع ، وكانت الحياة فيها خالية من الهموم .. على أن هذه الميزة كان لها ثمن باهظ ! وكم حدثنى والدى ، الذى علت به السن وأنا بعد طفل صغير عن تلك الأيام اللعينة الماضية التى تنعم بمزاياها ، وانى لأذكر قصة من بعض ما روى كان لها أثر بالغ فى رضائى عن الحاضر الذى نعيش فيه ، برغم كل مساوئه :

حينما كنت طالبا فى جامعة « أوكس بريدج » ، كان من عادتى أن أرتاض بالمشى مسافات طويلة فى الريف المحيط بالمدينة الجميلة . وفى غضون هذه الرياضات كان يمر بى كهل من رجال الدين ومعه ابنته على صهوتى جواديهما . ولست أدرى على وجه التحديد ما الذى لفت اليهما لحظى ؟ فقد كانت على وجه الرجل امارات تدل على قلق دفين مكين . وكانت الفتاة تناهز التاسعة عشرة ، غير أنها تبدو أكبر من سنها ، لفرط تحفظها وصرامة نظراتها ، كأنما لم تعرف فى حياتها الابتسام والمرح !

وبعد أن تكرر مرورهما بى سألت عنهما صاحبا من زملائى ، فقال لى :

— انه رئيس كلية القديس الكلبى ، ولهذا يطلقون على الرجل لقب شيخ

الكلاب . كما يلقبه بعضهم بالشيخ المنبوذ !

فسألته : « لماذا ينبذونه وهو لا يبدو من أهل الاجرام ؟ »

فقال : « انها قصة قديمة يا صاحبي ، فالمستر براون ـ وهذا اسمه ـ كان في مقتبل عمره مدرسا بالكلية نفسها ، في الوقت الذي كان محرما على مدرسيها أن يتزوجوا ، الا أن ينتخب احدهم رئيسا للكلية ، وكان رئيسها في ذلك الوقت متقدما في السن ، ومن المتوقع خلو منصبه عما قريب ، والمرشحان لرياستها من بعده هما المستر براون هذا وزميل له يدعى المستر جونز ، ولكل منهما خطيبة تنتظر معه بصبر نافذ ان يتم انتخابه !

« واتفق الخصمان على تقليد مهذب ، بصوت بمقتضاه كل منهما لمصلحة خصمه عند الاقتراع السرى . واسفرت النتيجة عن فوز المستر براون بالاغلبية بصوت واحد . ولما استقصى أنصار المستر جونز أنباء الانتخاب ، اتضح من التحقيق أن المستر براون قد نكث بوعده لصوت لنفسه ، وبهذه الوسيلة الخادعة وصل الى كرسى الرياسة الذى لا يجوز عزل من يتولاه مدى الحياة !

« ولم تكن هناك وسيلة قانونية لابطال الانتخاب ، غير ان كلمة الجميع ـ وفى مقدمتهم أنصار المستر براون السابقون ـ اتفقت على مقاطعته والى بيته مقاطعة تامة ، فلا يخاطبونه الا فى حدود الضرورة القصوى التى تمليها مصلحة العمل فى الكلية . وبذلك اشتركت زوجته ايضا ، ثم ابنته حينما ولدت ، فى تحمل جانب من تلك العقوبة القاسية . ونشبت الفتاة لهذا السبب فى جو ثقيل من الوجوم والصمت والعزلة . ولم تتحمل امها تلك الحياة فذوى عودها شيئا فشيئا الى ان لزاحها الموت من ذلك العناء ! »

وكنت حديث السن فى تلك الايام فازعجتنى تلك القصة لما تنم عليه من القسوة ولا سيما على الفتاة ، واسلمتنى هذه المسألة الى تفكير متصل عميق ، حتى أوشكت أن اشك فى عدالة العقاب على اى اثم على الاطلاق !

وفى ذات يوم ، كنت امشى فى الريف المحيط بالمدينة على عادتى ، فوقعت عينى على جواد يركض بجنون ، ثم تبينت أنه جواد الفتاة ابنة رئيس الكلية المنبوذ ، وكانت قد خرجت لنزهتها اليومية وحدها ، فشاء سوء الطالع ان تلتقى فى بعض الطريق بموكب السيرك المتجول وفى مقدمته الموسيقى والأفيال الضخمة ، فلما رأى جوادها تلك الافيال على غير عهد بها اجفل والقى بها عن صهوته ثم جمح !

ولما بلغت مكانها ، وجدتها محتفظة برشدها ، ولكنها كانت تتألم ألما شديدا ، ولا قدرة لها على الحركة اذ انكسرت احدى ساقيها ! وتملكتنى الحيرة أول الامر ، فلم ادر كيف اسعفها ، ثم مر بنا رجل يتنزه فى عربة صغيرة « توكار » ، فرجوت منه ان يمر على مستشفى المدينة

ويطلب اليه ارسال عربة الاسعاف لنقل الفتاة الى هناك . ثم قضيت ساعة الى ان حضرت العربة ، بذلا اقصى ما وسعني الترفيه عنها واظهار العطف عليها

وانهمتها في سياق الحديث عرضا ، انني اعلم من هي ، ثم لم يمنعني ما يختلط به والدها من مقاطعة شاملة في المدينة ان اتوجه الى بيته لاسأل عن صحتها ، فعلمت من الخادم ان الكسر الذى منيت به ساقها خفيف ، وانها متى برئت منه ستعود سيرتها الاولى !

وتابعت السؤال عنها ، الى ان علمت انها قادرة على الاضطجاع فوق اريكة فاستأذنت في الدخول عليها للسلام . ولكنها ارسلت مع الخادم تعتذر من عدم استطاعتها مقابلتي !. فلم يسعني الا ابداء رغبتي في التعرف الى والدها لهذه المناسبة ، وكان ان استقبلني الرجل عذولا متحفظا ، فلم يحدثني عن اشجانه واتراحه ، لما هي منزلة منها ما كانت تتصف به من تهور واستهتار ، والتجئت الى بمجموع نفسها ، وسرعان ما عرفت منها القصة من وجهة نظر ابيها !

كان المستر براون في شبابه مرحا ، مقبلا على ملذات الحياة ، وكان الناس لخفة روحه يغضون الطرف عن مجونه ولهوه . ولما كان يحب خطيبته حبا جما فان عقله كاد يطير فرحا حينما سنحت الفرصة لانتخابه رئيسا للكلية ، ثم تزوجا عقب الانتخاب ، وقضيا عطلة صيف رائعة ، لايعكر سعادتهما معكر . ولم تكن زوجته « ميلدرد » قد رات « أوكس بريدج » من قبل ، ولكنه صورها لها تصويرا شاعريا جعلها تعلق الامال على ما ستجده فيها من سرور ومتاع ، واعتقدت انها ستكون اسعد الزوجات في تلك البيئة الجديدة ، وزاد في سعادتهما ان ظهرت على ميلدرد اعراض الحمل !

وما وصل العروسان الى « اوكس بريدج » ، حتى توجه الشيخ الى بهو الكلية ليحتل مكانه المرموق على راس مائدتها الكبرى . فادهشه كثيرا الا يرحب به احد ، ولا يساله احد كيف قضى اجازته الطويلة ، والا ينطق احد بتحية ترحيب للعروس !

ومال على الزميل الجالس من يمينه يساله عما هناك ، ولكن هذا تظاهر بانه منهمك في الحديث مع الزميل الجالس عن يمينه !. فمال الشيخ على الزميل الجالس من يساره لعله يجد عنده الجواب .. فكانت النتيجة واحدة !

وسكت الرجل مرغما طول فترة العشاء ، في حين كان الاساتذة يتحدثون ويتضاحكون وكانه غير موجود على راسهم !. وكبر الامر على نفسه ، لكنه تجلد ، ورأى من واجبه ان يتصدر توزيع كؤوس الشراب في قاعة الاستقبال عقب العشاء . فلما قدم القارورة لجاره كي يملأ كاسه ويعطيها الى العضو التالي ، تناولها هذا الجار غير ملتفت

اليه . ولما اتمت القارورة دورتها ووصلت الى الاستاذ الجالس من يساره ، قال هذا يخاطب الجالس عن يمينه متخطيا الرئيس :

ـ اليس من المستحسن ان تدور القارورة دورة أخرى ؟

وما كاد يعود الى زوجته ، ويشرع فى سرد ما حدث حتى أتته الخادم بخطاب مغلق وجدته فى صندوق الخطابات ، فلما فضه وجد فيه رسالة من مجهول يصفه فيها بالغش ونكث العهود ، ويسرد الأدلة التى كشف عنها التحقيق ضده ، ثم يقول فى ختام رسالته :

ـ ربما تقول : ان زوجتك لا يد لها فى جريرتك فلا وجه لاشراكها فى عقوبتك ولكنها قد احتلت بسبب غشك مكانا كان من حق فتاة اخرى هى خطيبة المستر جونز ، وبذلك تكون قد أفادت من جريمتك ، فلا مناص من اشراكها معك فى العقاب . والآن سنتركك لعذاب ضميرك الأثم

وكأنما فقد رشده بعد ان اتى على الخطاب ، فلم ينتبه فى الوقت المناسب ليمنع زوجته من قراءته ، حتى اذا فرغت من تلاوته قال لها :

ـ أتصدقين هذا الافتراء يا ميلدرد ؟

فقالت له : « كلا !. ما كنت لاصدق هذه المطاعن فيك ولو اجمع عليها كل أبالسة الجحيم متمثلين فى أساتذة هذه الكلية الشيطانية ! »

ـ شكرا لله على هذه الكلمات الطيبة . ولن احفل بعداوات الدنيا كلها ما وجدت فى صدرك الحنون حرارة المودة والاخلاص ، وساستمد من ثقتك الغالية المخلصة عونا على مقاومة احقادهم واظهار الحقيقة على الملا . وثقى باننى لن اخضع ، ولن استقيل ، فان معنى الاستقالة الاعتراف بالاثم . وان كان يحز فى صدرى ان تجدى البغضاء حيث كنت أتمنى أن تجدى السعادة والايناس . وكنت حريا أن اطلب اليك مفارقتى ، لولا اننى اعلم انك لن تستجيبى لمثل هذا الرجاء . ولئن كان المستقبل داميا ، فان الشجاعة والثبات ، متى ظللهما الحب ، كفيلان بتحقيق السعادة والانتصار !

وخيل للشيخ انه واجد وسيلة ما لاظهار براءته . فكتب الى الاساتذة جميعا خطابات شخصية يؤكد براءته ويطلب التحقيق ، فتجاهل اكثرهم خطابه . اما القليل منهم ، ومنهم منافسه القديم « جونز » الذى كان اقلهم حقدا عليه ، فاجابوه مبينين أن كل واحد منهم قد كشف عن حقيقة تصويته ، فاذا النتيجة المحققة انه لولا نكثه وعده وتصويته لنفسه ما فاز بمقعد الرياسة

واتجه الشيخ الى رجال القانون يستفتيهم ، فلم يجد منهم من يصدق روايته ! وبذلك قضى على الرجل وزوجته أن يعيشا فى عزلة تامة فى تلك المدينة . واذا ولادة ابنتهما ، تلك الولادة التى انتظراها لتكون شمعا يتم عليهما نور حياتهما وقد جاءت ثالثة الاثافى . لأن الفتاة

سوف تشب معرضة لتلك الوحشة القاسية ، حتى اذا ذهبت الى المدرسة لاطفها الاطفال بأمر آبائهم. ولذلك استقر رأى الزوجين على أن انجاب طفل آخر سوف يكون عملا اجراميا . ومعنى ذلك هو الاقلاع عن كل اتصال جسدى بين الزوجين الشابين ، ففى عمرهما لم يكن للكف عن النسل معنى غير ذلك . وبقى الحب قائما بينهما ، ولكنه كالشجرة التى جف منها ماء الحياة !

ولم تخفف السنوات حلكة ذلك الليل المحيط بهما . فشبت الفتاة لا تعرف الضحك ، ولا تعرف اللهو، فغدت وهى فى الحادية عشرة من عمرها رصينة كأنها بلغت الثمانين . وعهد بتعليمها الى مربيات اجنبيات جيء بهن خصيصا لذلك ، ولكنهن سرعان ما علمن بالامر من افواه الخدم او افواه المربيات فى الحديقة ، لكن يستمعين من مهمتهن ، فعلمت الام بتعليم ابنتها بنفسها !

ولم يكن بد من اطلاع الفتاة على الحقيقة ، وقد صارت بعد موت امها منبع الضوء والحرارة الوحيد لوالدها المنكود ، وشاركته تكاليف وحدته الاجتماعية ببسالة وثبات . ولما شبت عن الطوق تحمست لابراء ساحة والدها ، ولكنها لم تلبث أن تبينت عقم جهودها كما تبين والدها عقم جهوده من قبل !

وتجمعت عندى هذه القصة من فم كاترين فى فترة تقاهتها، فوجدت نفسى أصدقها ، ولكنى تحيرت ماذا يمكن أن أصنع لانقاذها ووالدها ، وقد انقضت على تلك الانشغالات عشرون سنة !

ولم تطل حيرتى ، لأن الاقدار فجرت نورا دافقا بدد فجأة ما كان يكتنف المأساة من ظلمات !

لم تكد « كاترين » يتم شفاؤها ، حتى توفى والدها ، ولم يقع ذلك من أحد موقع الدهشة لأن الحياة القاسية التى عاشها الرجل عدت كيانه. لكن الذى وقع من الناس موقع الدهشة حقا أن يموت بعد موته بأسبوع احد أساتذة الكلية ، وهو الدكتور جريتوركس ، أستاذ علم اللاهوت . وأن يموت ذلك الاستاذ التقى الترمت منتحرا بالسم ، وهو الذى عرف طيلة حياته بتمسكه بأهداب الفضيلة !

ويحسن أن نذكر فى هذا المقام أن ذلك الرجل كان أشد الاساتذة معارضة للعميد الراحل مستر براون، ولانه هو الذى اشار بالتحقيق وتولاه ، وهو الذى أصر على معاقبته ذلك العقاب القاسى هو وزوجته . ولما مات المستر براون نزل موته على قلب استاذ اللاهوت بردا وسلاما ، ولم يخف ما فى نفسه بل جعل عظة يوم الاحد التالى آية من انجيل « مرقس » تتحدث عن الدود الذى لا يموت ، والسعير الذى لا يخمد ، عذابا للهالكين فى جهنم . ولم يدع مجالا للشك وهو يعظ أن المقصود بهذا الكلام شيخ الكلية الراحل ، فوقع هذا من زملائه موقع الاشمئزاز لمجافاته للذوق السليم !

ولعل المستر جونز المرشح القديم للعمادة ومنافس المستر براون العنيد ، كان اشد الناس شعورا بما لعله استاذ اللاهوت من خروج عن العدل والذوق ، فذهب في ذلك المساء يطرق بابه ليعاتبه ، ولما لم يجد مجيبا ، فتح الباب ودخل ، ليجد زميله جالسا الى مكتبه وقد فارق الحياة ، وامامه خطاب موجه الى المحقق ، فبهت المستر جونز ولم يخطر له ان يطلع على ذلك الخطاب قبل تسليمه للمحقق وبذلك وصلت الى علم السلطات فضيحة مدوية . فقد جاء في اعتراف المنتحر :

ـ لقد انتهت رسالتي في الحياة ، وبقى ان ابين كنه هذه الرسالة . وكيف جعلت من نفسي وسيلة لمعاقبة الآثم والاثمين . لقد كنت وبراون رفيقي الصبا . ولكنه كان ظريفا مرحا سريع البادرة ، فكان اقرب مني الى قلوب الرفاق والى قلوب الفتيات . وكنا نتردد على رجل يبيع الطباق ، وللرجل ابنة مليحة صغيرة السن ضاحكة الثغر تقوم مقامه في بعض الاوقات . ولم تكن الفتاة تتحرج من مضاحكة الطلاب ، غير اني توسمت فيها وراء هذه الخفة روحا عالية وقلبا نقيا طيب المعدن ، فاحببتها حبا عميقا . ولما كنت اعلم ان الزواج مستحيل بالنسبة لظروفي وظروفها ، فقد أحجمت بحبي لها عن صلة تهوي بها الى مهاوي العار . اما براون فلم يكن يأبه لهذه الاعتبارات ، وسرعان ما توطدت بينهما علاقة آثمة ، وتعلقت الفتاة بظرفه وسخائه . وعندما علمت بغضبي واختصامي براون بسبب هذه العلاقة ، نجحت في قطع عهد على نفسي الا ابوح بسرها لاحد . واختفت الفتاة بعد شهور فلم اعلم ولم يعلم براون أين ذهبت . الى ان جاءني خطاب منها تدعوني فيه الى مقرها السحيق في لندن ، فاذا الفتاة حامل . واذا هي قد هربت قبل ان تنبئ براون بالحقيقة حتى لا يتكدر او يضطرب حبل مستقبله . واستحلفتني مرة اخرى ان اكتم عليها مساعدتها عقب؟ وذهبت بها الى مستشفى لتضع طفلها ، فانتقلها الموت ومولودها في حمى النفاس . فاقسمت على قبرها ان احفظ سرها من الناس كافة ، وان ابذل ما وسعني للانتقام من ذلك المجرم . ولما كان التنديد بالجرم الحقيقي يقتضي افشاء السر ، لم اجد مناصا من اصطناع جرم آخر عليه . ووجدت الفرصة سانحة عند الانتخاب . وكان معروفا انني من احد انصار جونز ، فاعطيت صوتي لبراون كي يعود ، فلما مضى ليتزوج وآثرت التحقيق في غيابه ، لزمت براون تهمة الغش ونكث العهد . لم اصررت ان يكون عقابه وزوجه ذلك العقاب الذي اودى بالزوجة حزنا وغما ، والوى عود الابنة ، وها هو منذ ايام قد نزل بالمجرم الى قبره قبل الاوان . وبذلك انتهت مهمتي ، والله يغفر لي ، لان حياتي اصبحت خاوية بعد ان كان يملؤها عدوي ، ولئن التقيت به في الجحيم لازيدنه من العذاب !

الابكم البليغ

للكاتب الأمريكي ستيفن كيلين

كان الفتى « انتوني » حديث الهجرة الى استراليا ، لم يمض عليه غير عام واحد منذ غادر مدينة جنوا - مسقط رأسه - ورحل الى مدينة كوستال حيث يقيم عمه السنيور « لوبجي » تاجر البقول والمشروبات الروحية

وقد حاول منذ وصوله جاهدا ان يحسن الحديث باللهجات الانجليزية التي يتحدث بها سكان وطنه الجديد المنحدرين مثله من اصل اوربي ، فكان يقضي في هذه الدراسة أوقات فراغه بالنهار واكثر امسياته .. ولما كان يخشى ان يسخر عملاء عمه من لغته الانجليزية المشوبة باللهجة الايطاليه ، فقد آثر ان يقوم على خدمتهم دون ان ينطق بكلمة حتى اصبح معروفا في المدينة الصغيرة باسم « الابكم ! »

ولما كان ذات ليلة مشغولا بدراسته ، اذ اقبل عليه عمه الكهل ، وراح يتحدث اليه عن وجوب التمتع بملذات الشباب قبل أن تضيع الفرصة فيندم ولات ساعة مندم . وختم الكهل حديثه قائلا :

- لقد عشت يا بني ثلاثين عاما هنا دون ان أهتم بنطق اللغة الانجليزية بلهجة اهلها .. حسب الانسان أن يحسن التفاهم مع غيره بصرف النظر عن اتقانه اللهجة .. فمهما تبذل من جهد ، فلن تستطيع يوما ان تتحدث الانجليزية كاهلها .. ان لغة آبائك واجدادك ستظل غالبة على لسانك !

فقال الشاب في استحياء : « لكنى أخشى ان لم اتقن لهجة القوم هنا ان يطلقوا علي لقب « الغشيم ! »

فضحك عمه وقال : « انهم يطلقون هذا اللقب علي منذ ثلاثين عاما .. ولكن هذا لم يحل دون نجاحي وامتلاء ادراجي بالنقود .. هلم يا بني .. امض الى النادي واستمتع كغيرك من شباب المدينة بالموسيقى ومراقصة الفتيات .. انعم يا بني بعشرة شبابك

قبل أن تعرفك مشكلات الحياة »

ونزل الشاب على نصيحة عمه الكهل ، ومضى الى النادى ، ووقف فى مدخل قاعة الرقص ، مترددا ، ينظر فى ذهول الى الفتيات الجميلات وقد جلس بعضهن على مقاعد مرتفعة فى جوانب القاعة ، وأخذ بعضهن فى مراقصة شبان فى مثل أعمارهن ، وكانت أنغام فرقة « الجاز » تدوى فى عنف ، وترسل الدماء حارة فى العروق ، وكان الجو مفعما برائحة التبغ والشراب والعطور

ولمحه بعض الشبان ، فقال الشاب « روبرت » لصاحبته « اليزابيث روجز » :

ـ انظرى ! . ان صاحبنا الأبكم ابن أخى السنيور « لويجى » يريد أن يشترك معنا فى الرقص ، ولكنه يخشى السخرية به !

فقالت له . « أرجو ألا تعرض به ! . انه شاب لطيف ! »

فقال لها « روبرت » متهكما : « اننى لم أتبادل معه الحديث بتة ولم أقصد التعريض به . . ولكنى أتحدث عنه فقط . . أم تريدين أن أكون (أبكم) مثله ؟ »

فقالت الفتاة : « أريد منك أن تكون لطيفا معه ! »

وكانت الفرقة الموسيقية قد توقفت من العزف فتركت (اليزابيث) صاحبها ومضت الى « أنتونى » الذى أوشك أن يغادر مدخل القاعة فى طريقه الى الخارج ، ووضعت يدها على ذراعه وقالت له بصوت رقيق : « مستر أنتونى ؟! »

ورأى الشاب أمامه فتاة ممشوقة القوام ، ذهبية الشعر ، خضراء العينين ، باسمة الوجه ، فقال لها مترددا : «نعم ! » . فهتفت الفتاة :

ـ الآن فأنت تستطيع الكلام . !

ـ وأنت تعرفين اسمى . !

ـ أجل ! . كل من فى المدينة يعرف اسمك . . فأنت مشهور هنا

ـ أما أنا فاسمى «اليزابيث روجر»

ـ ولكنهم يسموننى « ليزى » . . اسم رهيب . أليس كذلك ؟ !

ـ بل هو اسم حبيب . ويسعدنى أن أناديك به !

ــ هكذا انتم ايها الشبان ! . . تحرفون اسماءنا وتنطقون بها !

ــ هل ترقصين ! . اقصد . . هل ترقصين معى ؟

ــ هذا شرف كبير !

وخفق قلب الشاب وهو يخاصرها ويدور معها فى حلبة الرقص على نغمات موسيقى « الفالس » . وخامره شعور بالغبطة والزهو وهو يراقصها فى سهولة ويسر ، وشعر بانه استرد ثقته بنفسه وهو يتنفس هواء القاعة الدافىء المفعم برائحة التبغ والشراب والعطور !

وقالت له بعد ان طال صمته : « انك بارع فى الرقص . . ابرع كثيرا من الشبان الآخرين ! »

ــ ان مجاملاتك هذه تسعدنى !

ــ انت ايطالى الاصل ؟ !

وكاد خجله يعاوده، فهذا السؤال دليل على انها ادركت من لهجته حقيقة اصله ! . لكنه لم يسعه الا ان يعترف قائلا : « نعم ! . ولكنى ايضا استرالى جديد ! »

فابتسمت « اليزابيث » وقالت له : « انا أيضا استرالية جديدة ، لانى حديثة العهد بالهجرة الى هنا . . انى من انجلترا ! »

وازدادت ثقة انتونى بنفسه ، فقال لها : « هل يمكن أن اراك مرة اخرى ؟ ! »

ــ ممكن جدا . .

ــ متى . . ؟

ــ غدا . . الاحد . . سأذهب الى الشاطىء للسباحة مع الصديق « روبرت » . . هـل تحب ان تصحبنا ؟

ــ هذا شرف كبير لى !

وعاد انتونى الى مسكنه القائم فى احد الشوارع الضيقة الملتوية ، وقضى اكثر الليل مسهدا ، خافق القلب ، يفكر فى هذه الفاتنة الحسناء ذات الشعر الذهبى والقوام المشوق والحديث البارع الجذاب !

ولكن روبرت كان صامتا مقطب الوجه ، وهو يصحب اليزابيث الى مسكنها فى سيارته ، ولذلك قالت له معاتبة : « من هو « الابكم » الآن ؟ »

ــ يبدو ان هذا الشاب اعجبك !

ــ نعم . . انه جدير بالاعجاب . . مهذب . . وعليه سمات الرجولة المبكرة . . لقد دعوته لمصاحبتنا الى نزهة الغد !

وكاد « روبرت » أن يعترض ، ولكنه رأى ان ليس له اى حق فى الاعتراض ، فهو ليس اكثر من صديق لاليزابيث ، ولم يخطبها رسميا بعد ، بل لا يعرف هل هى تحبه ، ولا هل يحمل لها هذا الحب الذى ينتهى بالزواج !

وفى اليوم التالى ، مضى الشابان والفتاة فى سيارة « روبرت » الى الشاطىء ، وكان الطقس باردا ، والهواء يهب فى عنف وقد بدا الشاطىء خاليا من الرواد ، وبدت الامواج صاخبة مهتاجة ففرك روبرت يديه وقال فى تحد :

ــ لن يستطيع السباحة فى مثل هذا البحر الا كل جسور . ان حب المغامرة يسرى فى دمى !

ونظرت (اليزابيث) الى (انتوني) كأنما تريد أن تدفعه الى قبول التحدي ، ولكنه هز رأسه وقال :

ــ انني لا احسن السباحة ، وليس من المعقول أن أقامر بالنزول الى الماء في مثل هذا الجو العاصف

وابتسمت الفتاة وقد راقتها بساطته وصراحته ، ولما كانت تحسن السباحة كروبرت ، فقد خلعت ملابسها الخارجية ، وقفزت الى الماء بثوب السباحة ، وانطلقت تصارع الامواج وهي تلوح بيدها للشابين في سرور وغبطة ، ومالبث (روبرت) أن انطلق وراءها ..ولكن موجة عالية حملته والقت به في موضع بعيد عنها ، وما هي غير لحظات حتى صاحت الفتاة تطلب النجدة قائلة انها وقعت في منطقة شديدة الخطر .. وراحت تطفو وتغطس وتلوح بيديها ، وبدا (روبرت) في مكانه مترددا ، لم انطلق نحوها برهة ... لكنه توقف وقد ادرك خطر المكان الذي تشرف فيه اليزابيث على الغرق ، ثم انطلق في طريقه الى الشاطىء ناجيا بنفسه !

وكان « انتوني » في خلال هذا كله قد القى بنفسه الى الامواج الهائجة ، وراح يصارعها في يأس حتى اقترب من الموضع الذي اوشكت (اليزابيث) ان تغرق فيه ! .. ولكنه لم يستطع الوصول اليها ، وانما غلبته الامواج على أمره ، فراح يطفو ويغطس ويلوح بذراعيه في طلب النجدة ، ورأى على الشاطىء (روبرت) وقد وقف بين لفيف من الرجال يلقون بحبال اطواق النجاة الى المشرفين على الغرق .. ولم يدر (انتوني) من امره شيئا ، وانما احس كأن صدره يوشك ان ينفجر وانه يريد ان يستريح وان يهبط الى القاع .. وفجأة احس بذراعين قويتين تمسكانه ، وتطفوان معه الى سطح الماء ، وسمع صوتا رقيقا يقول له :

ــ تجلد .. لقد امسكت بمنطقة النجاة !

ولما افاق (انتوني) وجد نفسه في سرير بالمستشفى ، ووجد (اليزابيث) جالسة بجانبه ، ترنو اليه في لهفة وحب !.

وقالت له بعد أن اطمأنت الى نجاته :

ــ معذرة يا انتوني. كانت تجربة حمقاء .. مغامرة قاسية اردت بها ان اختبر رجولة كل منكما .. انت وروبرت ، وقد تبين لي ان مواطني (روبرت) شاب جبان تعوزه الرجولة الحقة .. اما انت ..

فهز (انتوني) رأسه وقال لها : « انني لا أكاد افهم شيئا ! »

ــ اريد ان اقول : انني لم اكن مشرفة على الغرق ، وانما اصطنعت هذه المغامرة .. وقد تبين لي انك الشاب جدير ب .. ب ..

وبسط انتوني ذراعيه ، واحتضنها قائلا :

ــ جدير بقبلة من خطيبته !

في ذات يوم من صيف سنة ١٨٣٦ ، كانت احدى سفن المكسيك راسية بالقرب من الشاطىء الصخرى شديد الانحدار لجزيرة « سانت نيقولا » ، وكان ربانها الكابتن « جورج نيدلر » مكلفا من الحكومة بنقل القليلين الباقين في الجزيرة من الهنود الحمر الى كاليفورنيا ، فلما زخرت السفينة بركابها وهمت بالابحار ، فوجىء ربانها باقتراب احدى السيدات منه وهى تصيح به في جزع : « انتظر قليلا !.. ان ولدى ما زال في الجزيرة ، ولا بد من عودتي لاحضاره حتى لا اتركه وحده ! » ثم القت بنفسها في اليم ، وراحت تشق طريقها بين الامواج الصاخبة حتى بلغت الشاطىء .

وانتظر الربان بسفينته اربع ساعات بالقرب من ذلك الشاطىء الصخرى ، بذل خلالها هو واعوانه جهودا مضنية للحيلولة دون اصطدامها بالصخور ، واخيرا يئسوا من عودة تلك الهندية وولدها ، فلم يجدوا بدا من الابحار من غيرهما حتى لا تتعرض السفينة ومن فيها لخطر محقق ، على أن تعود سفينة اخرى لنقلهما بعد اسابيع .

وحدث لامر ما ، ان تجاهلت السلطات المختصة امر تلك الهندية المسكينة وولدها ، فمضت ثماني عشرة سنة لم تذهب خلالها سفينة الى الجزيرة ، وظن الجميع انها خلت تماما من السكان . الى ان اتصلت بالمسئولين احدى فرق الصيد ، وابلغتهم انها شاهدت بالجزيرة آثارا حديثة لاقدام بشرية .

وشد ما كانت دهشتهم حين شاهدوا مخلوقا غريبا يقترب منهم في حذر شديد ، وكان يمشى على رجليه ، وجسمه ورأسه يغطيهما ريش انواع مختلفة من الطير . ثم كانت دهشتهم اشد حينما تمكنوا من القبض عليه ، فاذا هو تلك الأم الهندية نفسها ، وقد ظلت تقتات على أوراق الشجر ، وتحتال لاتقاء خطر الوحوش الضارية وجماعات الصيادين ، بعد أن يئست من العثور على ولدها المفقود .

ونقلت الى جزيرة « سانتا باربارا » حيث اطلق عليها اسم « جوانا ماريا » وعرفت لدى الكثيرين باسم « السيدة روبنسن كروزو » !

اما ملابسها المصنوعة من ريش الطير ، فنقلت الى متحف الفاتيكان حيث حفظت هناك !

[عن مجلة « كورونت »]

بقلم الاستاذ صالح جودت

حادث قديم ... قديم جدا ... ولكنه ترك وراءه في جسدي اثرا ، وفي نفسي آثرين !

• كان ذلك في ثورة الثورة المصرية سنة ١٩١٩ ، وكنت طفلا في السابعة ، تلميذا بمدرسة «الحرير» بمصر الجديدة ...

وحدث ذات يوم ان كنت عائدا من المدرسة الى البيت ساعة العصر ، فمرت بي عربة ضخمة تجرها الجياد الاسترالية ، وتحمل جمعا من الجنود الانجليز السكارى ، وقد اخذتهم النشوة فجعلوا يتصايحون ، وهم ينهشون بطيخة ضخمة ، فلما رأوني ، جعلوا يقذفونني بقشر البطيخ في قسوة لا ترحم ضعف طفل في السابعة

وبكيت ... فلم تردهم دموعي الا اصرارا على العبث ، فواصلوا صنيعهم حتى اخذني الحنق عليهم ، فتحول ضعفي الى قوة ، واستسلامي الى رغبة في الانتقام .. فتناولت بعض ما كانوا يقذفونني به ورددته الى واحد منهم في قفاه ، فضحكوا منه جميعا ، اما هو ـ اعني المضروب ـ فاخرج مسدسه واطلق علي رصاصة لا يزال رسمها في ساقي حتى اليوم

اول انتقام ...

وتجري السنون مسرعة ، فاذا نحن في سنة ١٩٣٦ ـ اي بعد اكثر من ربع قرن من ذلك الحادث ـ وتوشك مصر ان توقع معاهدة صدقي ـ بيفن ، وانا محرر للاخبار بالاذاعة المصرية ، وفيها نص الدفاع المشترك ، ونص آخر مريب بشأن مصير السودان

كانت الاذاعة يومئذ في ايدي الانجليز .. مديرها العام انجليزي ، ومدير ادارتها انجليزي ، وسكرتيرها العام انجليزي ، وكبير مهندسيها انجليزي ، والاغلبية في مجلس ادارتها للانجليز ، وتديرها شركة ماركوني الانجليزية ... باسم الحكومة المصريه !

ولست اذيع سرا اذا قلت أن التعليقات السياسية كانت لا تذاع الا بعد ان تمر برقيب السفارة البريطانية ... وكان هناك لون من الأحاديث يصل الى الاذاعة « مع تحيات قسم النشر بالسفارة البريطانية » !

وكان الناس مشغلين (بفتح الغين الاولى) في امر هذه المعاهدة

وحدث يومئذ ان قرأت في بعض الصحف نقدا وطنيا صادقا لها ،

فلما انتهيت من اعداد نشرة اخبار الظهيرة ، دسست هذا النقد وسط النشرة ، وارسلتها الى المذيع فى الاستوديو قبل الموعد بلحظات ، بحيث لا يتسع له الوقت لمراجعتها قبل اذاعتها خشية ان يتصل بالمدير الانجليزى فلا يذاع النقد

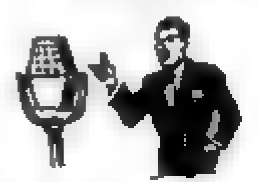

واذيعت النشرة بما فيها ، وهاجت السفارة البريطانية ، وهاج معها مدير الاذاعة الانجليزى الذى استدعانى ، فاذا هو فى ثورة من الغضب يسألنى ان اترجم له هذا النقد ، وكانت سماعة التليفون فى يده ، وجعل ينقل ترجمتى بامانة الى محدثه فى السفارة البريطانية

ثم وضع السماعة ، وكان بينى وبينه موقف صارم ، انتهى بقوله : I will fire you ، اى « سارفتك »

وخرجت اجمع اوراقى الخاصة ، لولا ان الوعى استيقظ يومئذ فى البلد كله ، وكان الوزراء هم الذين جمعوا اوراقهم الخاصة ، اثر استقالات الوزارة ، واسدلت ستارة النسيان على مصاحبة صدقى — بيفن ، واضطر المدير الانجليزى الى التراجع فى وعيده !

ويومئذ احسست باننى رددت الرصاصة القديمة الى الانجليز ..

كيف استولينا على المحطة !

ومرة اخرى جمعت اوراقى الخاصة ، حين اقترب يوم ١٣ نوفمبر ... عيد الجهاد الوطنى ، واجتمعت بزميلين لى من رجال الاذاعة ، واعددنا برنامجا وطنيا من الاحاديث والبرامج الخاصة والاناشيد القومية والموسيقى الحماسية لذلك اليوم . وعرضنا البرنامج على زملائنا جميعا فاقروه ، ودخلنا نحن الثلاثة الى المدير الانجليزى ، وحدثناه فى الامر ، فارغى وازبد ، واصر على ان يسير البرنامج فى يوم عيد الجهاد سيره العادى بغير تعديل

ولما راى اصرارنا على غير ذلك ، ومصارحتنا له بأن جميع زملائنا متضامنون معنا فيما نزمع ، واننا لن نتراجع عن الاحتفال بالمناسبة الوطنية ، قال ثائرا :

— اهذا تهديد ؟ اذن اعلموا اننى مستعد لتشغيل المحطة وحدى ... والاستغناء عنكم جميعا !

ونقلنا هذا الحديث الى الوزير المختص بالاذاعة يومئذ ، فكان له موقف وطنى مجيد ، ارغم فيه المدير الانجليزى على اذاعة البرنامج الوطنى الذى اعددناه ، ولكن الاهم من ذلك ، ان هذا الحادث الذى جمعنا فيه اوراقنا الخاصة كان هو السبب المباشر فى هذه الصحوة الوطنية التى ادت الى انهاء عقد شركة ماركونى ، واستيلاء الحكومة على الاذاعة ، وطرد الانجليز منها !

سننسف الاذاعة

على ان الاذاعة لم تخلص من كل

آلاتها بعد أن انتقلت ادارتها الى يد الدولة ، فقد استغلتها العهود الحزبية استغلالا سيئا ، واعتبرت ميزانيتها ضربا من المصروفات السرية يوزع منها على المحاسيب والأنصار من الموظفين الذين اقحموا على الاذاعة بغير دراية ولا مؤهلات، ومن سقط المحدثين ومطربي الدرجة الثالثة فما دونها

ولما كنت مراقبا للبرامج الثقافية لقد أردت أن أجنب الثقافة الاذاعية ويلات الحزبية بقدر الامكان ، فاستصدرت قرارا من المجلس الأعلى للاذاعة ، بألا يزيد نصيب أى متحدث على حديث واحد فى الشهر . وفى يوم من الايام ، جاء متحدث ببطاقة من رئيس الوزراء يوصى فيها بأن يظفر « حاملها » بأربعة أحاديث فى الشهر ، أى أربعين جنيها ... لأن « حاملها » هذا هو حامل عصا رئيس الوزراء !

ورفضت ... وواجهت الامر بكثير من الصرامة ، وذهب المتحدث

يقول لرئيس الوزراء أن فلانا يرفض تنفيذ أوامرك ، فقال : « ارفتوه »

كان ذلك يوم ٢٥ يناير ... وفى صبيحة يوم ٢٦ أعد الخطاب ... ومطله من التوقيع نشوب حريق القاهرة ، وفى اليوم التالى استقالت الوزارة ، ومزق الخطاب ، ولم أجمع أوراقى الخاصة !

ولا أستطيع ما حييت أن أنسى يوم احتراق القاهرة ...

انهالت تليفونات التهديد على الاذاعة ، وكنا نتلقى كل ربع ساعة محادثة تليفونية تقول : اخلوا من الاذاعة ... سننسفها بعد لحظات !

اما فتيات الاذاعة ، فقد أخذن يبكين ويولولن ، ومنهن من أسقط فى يدها ، أو أغمى عليها .. اما الرجال ، فأقول الحق انهم تماسكوا وكانوا أبطالا ، وهرع كل صاحب سيارة منا يحمل الزميلات الى بيوتهن وسط النيران ، وعدنا نحن الرجال نواصل عملنا الى آخر الليل، قائلين : العمر واحد ... وقضينا الليل حتى مطلع صباح ٢٧ يناير فى مكاتبنا والدموع تسيل من عيوننا من أثر دخان الحريق !

نهاية ساخرة !

اذا كان الكلام من فضة ، فالسكوت من ذهب ... هذا مثل معروف ، وصادق الى أبعد حد ، والاذاعيون يعرفونه حق المعرفة ، ويؤمنون به كل الايمان ، ومع ذلك فهم مضطرون الى مخالفته بحكم المهنة ...

قد يلقى اى موظف فى الدولة كلمة ، فلا يسمعها الا الاقربون حوله ، فان كانت الكلمة شاردة كان حسابها يسيرا ...

اما رجل الاذاعة ، فانه حين يتكلم ، تسمعه الملايين ، وحين

يشطبه في الكلمة تحاسبه الملايين حساب الملكين !

والذي يحدث الآن ان التمثيليات لا تذاع الا مسجلة ، حتى يطمئن مخرجها الى سلامتها

وفي أول العهد بالاذاعة ، لم تكن نعرف آلات التسجيل ، فكنا نذيع التمثيليات « حية » أي نرسلها الى الهواء رأسا بغير تسجيل

وحدث ذات مرة أن كنت اخرج تمثيلية اخذتها من « يوليوس قيصر » لشكسبير ، وكانت فيها مشاهد للشعب المحتشد عقب مصرع قيصر في صياح وهتاف وضجيج . فلما انتهت التمثيلية ، قال لي الاستاذ سيد بدير :

— مبروك

فقلت له :

— مبروك ايه يا شيخ ... داحنا قلبنا دماغ المستمعين !

ونسينا ان الميكروفون كان مفتوحا ، وسمع المستمعون كلامنا ، واعتبروه « نهاية » مسخرة التمثيلية !

في عربة بطاطة ..

وذات مرة ، ذهبت الى منطقة دهشور لتسجيل برنامج عن كشف اثري خطير اهتدى اليه الاثري المعروف الدكتور احمد فخري

وانتهى العمل لعرض علينا الدكتور فخري أن نترك سيارة الاذاعة تعود ادراجها ، لنتحدث قليلا عن الآثار ، ثم نعود بسيارة خاصة بمصلحة الآثار

وعادت سيارة الاذاعة الى القاهرة ، أما نحن فقضينا سويعات في حديث علمي لطيف ، حتى اذا كان الغروب ، جاءت سيارة مصلحة الآثار ، وكانت دليلا على أن الفراعنة كانوا أول من اخترع السيارات ، فاننا لم نشك لحظة في أن السيارة

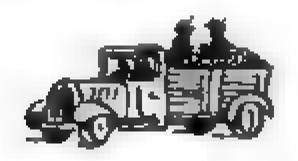

الربة حقا ، ولا بد أن تكون بعض رجال الآثار قد عثر عليها في قبور الفراعنة !

وركبناها ... وسارت الآلة امتار بالضبط ، ثم توقفت . وقضى سائقها ساعة أو ساعتين في محاولة اصلاحها ، ثم اعلن انها توقفت ... الى الأبد ، وأصبحت في ذمة التاريخ !

وكان الليل قد أوغل ، ونامت الحياة في الصحراء ، وقضي علينا ان نقطع ١٥ كيلومترا على أقدامنا ، بين ذئاب الصحراء ، ثم في مسارب الطمي والسماد بين الحقول ، حتى وصلنا الى الطريق الزراعي ، حيث علمنا ان خط الاوتوبيس قد توقف منذ الغروب ، ولن يستأنف سيره الا في الصباح ...

وقبيل منتصف الليل ، ادركتنا العناية بسيارة « لوري » محملة بالبطاطة ، وقبل سائقها الكريم ان يحملنا الى القاهرة

وركبت بعثة الاذاعة فوق احمال البطاطة ... ووصلنا الى القاهرة !

بقلم السيدة أمينة السعيد

سار « رجائي » الى البيت ، وهو لاه عن كل ما يحدث في الطريق ، وكان الوقت ظهرا، والشمس تضرب الارض باشعتها النارية ، فينعكس على وجوه المشاة غيظ يشبه الهيب

وكان « رجائي » يكره الصيف بطبعه ، ويمقت من صميم قلبه أن تضطره الظروف في هذا الفصل البغيض ، الى العودة الى بيته مشيا على الاقدام، ولكنه كان في تلك الاونة مشغولا بافكار صاخبة عن الشمس الحارقة ، والارض الساخنة، والهواء الذي يلفح الوجوه بسياط من نار

وكان قد غادر بيته في الصباح بعد خلاف شديد مع زوجته ، ولم تكن اول مرة يختلفان فيها . فمنذ ان تزوجها ، وهما في خصام مستمر بينهما دائما بلا سبب ، وينتهي بلا نتيجة . وكان يعزي النفس في البداية بانه التفاعل الطبيعي لاندماج حياتين معا ، ولن يلبث التفاعل ان يسفر عن هدوء تصلح به الامور . ومضت عشر سنوات ، وهما على عهدهما القديم ، لا يتفقان الا على الاختلاف ، حتى بات يفكر في فصم عرى العلاقة النكدة من بدايتها . ومع ان هذه الفكرة راودته مرارا في خلال السنتين الاخيرتين ، غير أنه ابقاها في نفسه ، ولم يرغب في اعلانها لسبب لا يدريه لم قام الخلاف المعهود في صباح ذلك اليوم ، واحتدم دون سبب او معنى ، فاذا بلسانه يفلت من عقاله ، ويفضح الفكرة التي كانت تطوف بذهنه ، فيقول لها في اندفاع . « والله ما بقى لنا عيش معا ، فاهدى العدة للفراق ! »

وكان « رجائي » يعرف في نفسه سرعة الانفعال ، ويذكر الفاظا كثيرة جارحة وجهها الى زوجته في اشتداد غضباته الثائرة ، ولكنها كانت اول مرة يشير فيها الى الطلاق ، فكان

لعبارته ورنين في اذنه .. ويبدو أن زوجته لم تكن تتوقع منه هذه الاشارة الجارحة ، اذ ما كادت تسمعها ، حتى هرب الدم من وجهها وبات لونه في صفرة الاموات .. ولم تجبه بكلمة واحدة ، انما تراخت في جلستها على المقعد الطويل المريح ، واسندت راسها على ظهره في تخاذل ملحوظ ، وراحت تنظر اليه صامتة وفي عينيها أبلغ معاني الدهشة والعتاب والالم . كانت كمن أصيب بضربة مفاجئة على راسه ، فهمس اليها نقطة الخير في نفسه ، واشتد به الندم على ما بدر منه ، ولولا كبرياؤه المزمنة ، ما تردد عن استرضائها بالاعتذار

وخرج من البيت وفي قلبه وجيعة لا يجد لها داعيا ، وعندما جلس الى مكتبه يطالع الاوراق المتراكمة ، اختلطت السطور أمام عينيه اختلاطا اعجزه عن العمل ، فازاح الاوراق جانبا .. وجعل يسأل نفسه متحيرا : « لماذا حدث كل هذا ، وأين المسئول عن هذا الشقاء المستمر ؟! »

□

عادت به الذاكرة الى سنوات كثيرة مضت ، عندما كان صبيا صغيرا تحيط به أسباب التدليل ، التي ينالها الابن الوحيد في معظم العائلات المصرية .. وكانت جارته الصغيرة بثينة في مثل ظروفه .. كانت البنت الوحيدة لموظف حكومي من الطبقة المتوسطة ، فتآخى الصغيران ، وارتبطا بصداقة وثيقة نالت رضا كبار الاسرتين واستحسانهم . وقيل في حضرته مرارا : « ان رجائي لبثينة ، وبثينة لرجائي .. » ومعناه الامل في زواج الاثنين عندما يكبران ، ولكنه لم يعر تلك الاقوال اهتماما ، اذ كان أصغر سنا من أن يفهم معنى الزواج ، وكانت بثينة طفلة جميلة مسلية تبعد بصحبتها الملل عن نفسه

□

وكان الاهل جادين في نواياهم ، ولم يتبدل رأيهم على مضي السنوات ، فما كاد « رجائي » ينجح في البكالوريا حتى قرأت الفاتحة ، دون اهتمام كبير باستطلاع رأي الشاب الذي كان يود من صميم قلبه أن يدرس الحقوق ، ثم يكافح في الحياة العملية سنوات ، قبل أن يثقل كاهله بالزواج .. وكانت بثينة في ذلك الحين ، قد نمت وازدهرت وتفتحت زهرة شبابها ، فأصبحت قبلة العيون بشعرها البني العزيز ، وبشرتها البيضاء الصافية ، وعينيها الخضراوين في أشواله من الزرقة الداكنة .. ولكن جمالها لم يكن يغريه بالمبالغة في التفكير فيها ، لسبب واحد بسيط ، هو انه اعتاد رؤية ذلك الجمال في مختلف مراحله ، وصاحبه في الطفولة والصبا والشباب مما أضعف وقعه في نفسه .. لم يكن يكرهها ، ولم يكن مبهورا بحبها انما كان ينظر اليها كشيء تعود ان يراه دائما في حياته ، ولا يستبعد أن يبقى في حياته الى الابد

وتنهد « رجائي » وهو يذكر هذه الحقبة من عمره ، ويذكر معها كيف

خاض معركة الدراسة العالية مجدا وقضى فيها سنوات اربع ، لا يكاد يحس بوجود بثينة الا خلال العطلات الصيفية ، عندما تسافر الاسرتان الى مصيف راس البر ، فيقرب الشاطىء الرملي الواسع بينهما .. وتخرج « رجائي » في كلية الحقوق موفقا ، وعين في قلم قضايا احدى الوزارات ، وتحسن بمضى الوقت راتبه ومركزه فحان الوقت لزواجه من الفتاة التي انتظرته صابرة ، وليس في ذهنها صورة رجل سواه وكان — والحق يقال — للقرأ على هذه الزيجة التي فرضت عليه منذ طفولته ولم يقرر أمرها بمحض ارادته واختياره ، ولكن طريق الانسحاب كان موصدا في ظهره ، بعد ان مات اهلها ، واصبح بحكم الاعتبارات الادبية ، ملزما بالزواج منها

■

واستقبل حياته الجديدة ، وفي نفسه ثورة مكبوتة لا يعرف لهما سرا ، فكان يتسقط الاسباب للعراك ، واذا لم يجدها ، خلق اسبابا من عندياته يعكر بها صفو الوئام .. واصبح البيت في نظره مهملا ، والاثاث قبيح التنسيق ، واذا فتحت النوافذ اغضبه الهواء ، واذا اغلقت اشتكى الضيق . وكانت المعارك تبدأ من ناحية واحدة على غير اساس ، وتنتهي في عنف بلا نتيجة . فتبكي بثينة بدمع هتون ، وعندما يرى الدموع تنهمر على خديها الاسيلين ، تهدأ ثورته فجأة ، ويغريه الندم بترضيتها ، ولكن كبرياءه العميقة كانت دائما تمنعه ، فيتركها لاحزانها راجيا ان يدفعها ضعفها الى الاعتذار له بدل ان يعتذر لها !

ورأى الآن — وهو يعيد النظر في امور حياته الزوجية — ان الاحزان لم تشغل بثينة عن العناية بواجباتها المنزلية ، فكانت تؤديها على اكمل ما تستطيع ، وتبذل جهودا متجددة في ارضاء زوجها العنيد .. ومع ذلك لم توفق الى بلوغ غايتها اذ كان زوجها في ثورة دائمة على الاوضاع ، ينتقد اليوم ما اراد امس ، ويغضب غدا لتحقيق ما طلبه اليوم . وكانت بثينة تأمل ان تتحسن الاحوال بطفل صغير يدخل بوجوده روحا جديدا على البيت ، ولكن « رجائي » أبى ان يمنحها هذا الحق الطبيعي ، وتحايل بمختلف الوسائل الطبية على منع النسل ، بحجة صغر راتبه وعدم استقرار حياته .. والحت عليه بثينة في السنوات الاولى من الزواج ، ولما اقتنعت بأن لا امل في الالحاح ، تركت الموضوع جانبا ، ولم تعد تشير اليه تصريحا او تلميحا لا في حضرة زوجها ، ولا في حضرة غيره من الناس

وتململ « رجائي » في مقعده ، وعادت يده تعبث بالاوراق المكدسة على مكتبه في قلق ، وذلك لانه بدأ يشعر بصفاء غير معهود في ذهنه ، فتكشفت له امور حياته على حقائقها وقادته ذكرياته الى نقطة تحول هامة في حياته الزوجية .. وكان ذلك منذ خمس سنوات عندما انتابت بثينة اوجاع بالليل والنهار ..

وصور له ذهنه الثائر أنها خديعة تلجأ اليها زوجته لاستدرار عطفه ، وعز عليه أن يقع فى الفخ ، فيبدى اهتماما بأمرها . ولذلك أغمض عينيه عن آلامها ، واختار أن ينقل سريره الى غرفة أخرى ، محتجا بإزعاجها له واقلاقها .. وتلقت بثينة تصرفه بعزة وكبرياء وانقطعت عن الاشارة الى آلامها ، ولكنه لاحظ عليها خمولا مضطردا ، أصبحت معه تقضى معظم أوقاتها مستلقية على المقعد المريح الطويل ، وليست بها رغبة فى العمل أو الحركة .. قال لها ذات يوم على سبيل المشاكسة : « ألم اطلب اليك أن تغيرى نظام البيو وتضعى المقعدين مكان الاريكة ؟ »

قالت : « سأفعل ذلك فى الاسبوع القادم ، عندما تتحسن صحتى قليلا »

قال : « صحتك على ما يرام ، وليس بك غير الكسل »

قالت متألمة : « أعفنى من هذا الكلام .. وكفانى ما بى »

قال : « وماذا بك بالله عليك ؟ »

وترددت قليلا ، ثم قالت : « انى مريضة بالقلب ، وقد نصحنى الطبيب بالاخلاد الى الراحة »

قال ساخرا : « انه طبيب غبى . ورأيى أن تتحركى من هذا المقعد ، يتحرك قلبك وتتحسن صحتك ! »

واغرورقت عيناها بالدموع ، ولكنها لم تجبه .. انما اختارت أن تنظر اليه فى وجوم صامت ، ثم تدير وجهها الى الناحية الاخرى ، راغبة عن مواصلة الحديث .. واخذته بها الشفقة فى تلك اللحظة ، ثم كره أن يظهر لها ضعفا ، فقال فى غضب مفتعل يرجو به أن يحل عقدة لسانها : « انى انادى فى واد خرب والحق على أن نصحتك لوجه الله »

وانصرف من الغرفة متباطئا ، وامله أن تناديه .. ولكنها تركته يذهب دون رد أو تعليق ، وظل الصمت مطبقا الا عن وقع أقدامه على الارض

وتململ « رجائى » فى مقعده مرة أخرى ، وامتدت يده الى رباط عنقه تحركه ، كأنه يعانى ضيقا فى الانفاس .. لقد اثارت ذكرى ذلك اليوم شجونه ، وساقته الى مزيد من الصور ، التى لم يرها فى ضوئها الصحيح من قبل . وكانت الصور كلها لزوجته ، وهى تقضى الشهور تلو الشهور على مقعدها ، ولا من كلمة يتبادلانها ، الا فى المشاحنات وذلك لانه اعتبر سلوكها فى المناقشة الاخيرة ، ابلغ دليل على استهانتها به ، أوزهدها فى عطفه وصحبته ، فاختار أن يبادلها اهمالا باهمال ، حتى تعود الى عقلها ، وتعرف أن الله حق !

■

وفجأة تفرت افكار « رجائى » الى ما حدث فى صباح ذلك اليوم ، وحاول أن يبحث عن أسباب الخلاف ، فلم يجدها ، ولم يجد منها شيئا يدعو الى الخلاف .. وكل ما تذكره أنه ــ لامر ما ــ راح يتكلم ويتكلم فى غضب وثورة ، فتجيبه

بثينة بزهد هادىء ، أقلت معه زمام لسانه ، فأشار الى الطلاق .. ثم كيف كان وقع اشارته عليها ، وكيف نظرت اليه في مزيج من الدهشة والعتاب والالم ، وقد اصفر وجهها بشكل مخيف . وأصابته نظرتها في صميمه ، واحترقت قلبه بسهم نارى ، وعندئذ أحس كان الغشاوة ارتفعت من عينيه ، فرأى الحياة كما لم يرها من قبل .. وتمثل له جسمها النحيل الى درجة الهزال ، ووجهها الباهت الا من هالات سوداء احاطت بعينيها بشكل يدعو الى القلق .. كانت ولا شك مريضة ، بل مريضة جدا ، ولكن ترى اى داء تعانيه ؟! انها ذكرت القلب ذات يوم ولكنه كان ذكرا عابرا لم يهتم به أو يعره التفاتا ، تمشيا مع شيطان المشاكسة ، الذى وقف بينهما منذ بداية الزواج الى الآن

احتفل « رجائى » في مجلسه ، وراح يسأل نفسه عن أسباب وجود هذا الشيطان . هل يكره زوجته ؟ هل يحب غيرها ؟! هل يشعر بانه فقد السعادة بزواجها ؟! وهل كان يهنأ مع امرأة سواها ؟! .. لا . انه لا يكرهها ، ولا يحب غيرها ، ولن تسعده غير بثينة الهادئة الخاضعة المتفانية .. بل هو يحبها في الواقع وما السر في جبروته الا شعوره الباطن بأنها فرضت عليه ، وكان اختيارها من صنع أهله ، لا من صنعه هو .. اما هي فقد احتملته طويلا ، وسكتت عن ذله واهاناته ، وعاشت حياتها معه أسيرة لمزاجه الثائر ، ونزواته الحمقاء .. كانت دائما طوع أمره ، ولو شاء ان يعطف عليها بكلمة واحدة ، ما ترددت لحظة من بذل روحها في سبيله ، فلماذا عليها وأشقاها ؟؟

وأوجعه قلبه بين جنبيه ، وتهاوى شيطان كبريائه من عليائه ، وأحس لاول مرة انه انسان ، فعليه أن يتصرف تصرف الانسان . واستقر به الرأى على اصلاح ذات البين ، وتعويض زوجته المسكينة عن أخطائه الجسيمة ، وتذكر انها كانت دائما تتمنى ساعة ذهبية تحلى معصمها ، ولكنه تغاضى عن تلبية رغبتها بدافع من حماقته السابقة ، فكم يكون جميلا اذا عاد اليها اليوم بالساعة المنشودة ؟!

ونهض « رجائى » الى رئيسه يستأذن في الانصراف مبكرا ، ثم ذهب الى حانوت يعرفه في شارع فؤاد ، واشترى ساعة دفع في ثمنها اكثر مما كان يرجو ، تكفيرا عن ذنوبه الماضية ... وجرفته موجة الخير فقرر ان يسافر ببثينة الى راس البر ، ليقضيا فيها عطلة سعيدة مرحة ، مثلما كان يحدث في ايام الطفولة البهيجة . وعندما يعودان في بداية الموسم ، يعرضها على أحسن الأطباء ، ويعنى بعلاجها اذا كانت في حاجة الى علاج ، ثم يمنحها الطفل الذى كانت تتمناه ..

▬

ودخل « رجائى » بيته في خطى مرحة ، وسار الى غرفة زوجته باسما ، فوجد كل ما في الغرفة ماثلا لعينيه : النوافذ المغلقة تلافيا للحر ،

والظلام الهادىء يخيم على الجدران والأثاث ، ثم جسد زوجته النحيل ممددا على المقعد فى استرخاء .. قال يختم الحديث : « لم أشعر اليوم برغبة فى العمل ، فعن لى أن أعود الى البيت مبكرا »

وانتظر أن تعلق على حديثه بكلمة، ولكنها لم تفعل ، فعرف أنها مازالت غاضبة . قال يسترضيها : « الحقيقة أن خلاف الصباح شغلنى عن العمل، فجعلت أفكر فيما يدعونا الى تعكير صفونا بأمور لا تستحق الذكر . والعجيب أننا نختلف دائما لاشىء ، وتنتهى بنا المواقف دون نتيجة ، ولست أنكر مسئوليتى الجسيمة ، ولكن مافات قد مات ولنا الساعة التى نعيش فيها »

ولم يتلق منها كلمة مشجعة ، فشعر بضيق شديد ، وقال فى ثورة مكبوتة : « أننا لا نستفيد كثيرا من العناد ، ولست ألومك على غضبك، ولكن ثقى أننى لم أقصد كلمة مما قلت .. انه الصيف كما تعلمين . وحرارة الجو تغرى بالمشاكسة ، فما رأيك فى أن نسافر الى رأس البر ؟ نمرح على شاطئها كما كنا نفعل أيام الصبا ؟! »

وأبى عليها عنادها أن تعير ما قاله اهتماما فتحرك شيطان كبريائه من جديد ، وحفزه الى سحب كلماته الطيبة ، ثم عز عليه أن يذهب مشروع الصلح هباء فقال فى ألم شديد : « لعلك لا ترغبين فى مبادلتى الحديث، فخذى هذه الساعة الذهبية الجميلة ، عسى أن تكون خير رسول بيننا »

وسحب الساعة من جيبه ، وأخرجها من علبتها الصغيرة ، ثم انحنى على يد زوجته ووضعها بنفسه حول معصمها .. وترك اليد فاذا بها تسقط على مسند المقعد مثل قطعة من الخشب !

هتف بزوجته خائفا : « بثينة .. بثينة .. ماذا بك ؟ »

ولم تجبه ، ولم تتحرك فى مكانها وعندما انحنى على صدرها يتحسس أنفاسها . لم يجد للحياة أثرا فى الجسم النحيل .. كانت بثينة قد ماتت ، وكان من الواضح أنها لفظت أنفاسها قبل أن يخرج مشروع الصلح الى الوجود !

عندما يغضب الحكيم

اعتاد أحد الصحفيين أن يتردد على مكتب أحد كبار رجال الأعمال . وحدث أن سأله يوما : « هل لى أن أعرف السر فى أنك لا تغضب ولا تنفعل مطلقا ؟ » . فقال رجل الأعمال :

« اننى رجل تحضرنى النكتة ، وتحضرنى النكتة حينما يثورون وينفعلون يصبحون مثارا للضحك والسخرية ! »

من أسرار الجمال في هوليود

كوني جميلة دائماً

بقلم ماكس فاكتور الابن

إن الخطأ الأكبر الذي تقع فيه بعض النساء هو عدم الاستمرار في شؤون التجميل، مما يترتب عليه ألا يدوم لهن المظهر الجذاب

وهذا يصح بالنسبة للزوجات والأمهات أن عليهن تجنب الإهمال في المظهر، لا لسبب إلا أنهن لا يكثرن من مغادرة المنزل كما كن يفعلن من قبل، وهو يصح بالنسبة للسيدات العاملات أن عليهن خلال النهار أن يجددن لجمالهن بضع لحظات يعدن خلالها إلى زينتهن «التواليت» بهاءها ورونقها. كما أنه يصح بالنسبة للفتيات العلم أن لجمالهن رونقاً يجب أن يدوم

وتستطيع كل السيدات أن يتجنبن الأثر السيء الذي يمكن أن يتركه في النفوس المظهر الخالي من النظام، وألا يحاولن الاحتجاج بأنهن فوجئن بالزيارة أو الحفل

هناك شيء مشترك تحرص عليه كل نجوم هوليوود الفاتنات، ولعل أحسنهن النجمة الساحرة «جوان ليزلي». وذلك هو الحرص على الظهور أمام أعين الجمهور بالمظهر الجذاب الذي اعتاد رواد السينما أن يروه على الشاشة

وإنه لأمر عجيب للآمال أن تلتقي بممثلة أعجبت بها على الشاشة، فإذا بك تجدها وقد تهمل شعرها في فوضى، أو ربما ماكياجها باهتاً، أو كانت بلا ماكياج على الإطلاق.. لأن هذا الإهمال يفقد النجمة سحرها ويقضي على شهرتها ومجدها

والواقع أن أغلب نجوم السينما يؤمن بأهمية المظهر الجذاب، ولذلك لا تغادر نجمة منهن دارها أو الأستوديو قبل أن تستكمل زينتها. وقد حرصت نجوم السينما على التدرب على عمل الماكياج بأنفسهن. وهو أمر لا يحتاج إلى مجهود كبير، كما أنه بفضل المستحضرات الحديثة في متناول يدك كما هو في متناول أيديهن. والفارق الوحيد بينك وبينهن أنهن يحرصن على استعمال هذه المستحضرات

كوني جميلة دائماً، ولا تحاولي على الإطلاق أن تهملي في شؤون جمالك وإلا قضيت على شهرتك في عالم الفاتنات!

ممثلة السينما الحسناء جوان ليزلي

هيركول بين الحسام والهيام

بقلم الدكتور زكي المحاسني

هيركول إله القوة عند اليونان ، اشترك في حروب أسطورية كثيرة حتى أطاحت الرتب . وتسمت تماثيله على تخوم الدنيا . ثم أحب « أومفال » ملكة ليديا . وهي ساحرة في آسيا الصغرى حتى أذله الحب ، فأمسى عبداً لها ذليلا ، وأعطاها جلد الأسد الذي كان يلبسه ، ولبس هو رداءها النسائي ، وكان يستطيب الركوع تحت قدميها ويغزل لها الصوف . وقد صور هذه القصة الفنان « لوموايان » أحد المصورين الفرنسيين في القرن الثامن عشر (١٧٠٤ — ١٧٧٨ م) في لوحة بديعة يجلس فيها هيركول سكران بخمرة الحب ، وقد استولت أومفال على هراوته ولبست جلد الأسد ، وأمسكت شمعة ساطعة . وألقى الجبار على عاتقه رداءها النسائي بها وقف كيوبيد إله الحب مسدداً سهمه إليه

وفي مقابل الصفحة صورة هذه اللوحة ، ووصفها صورة شعرية لهذه الأسطورة وضعها الدكتور زكي المحاسني بالسفارة السورية بالقاهرة

لا تُديري عليه كأسَ السُّلافِ ... فهو في الحرب مِزْوَدُ الآلافِ

يُسْكِرُ الشُّهْدُ وحْدَهُ فاركبي ... وأخو النشوتين ذو إسرافِ

ولدتْهُ بنتُ الكواكبِ كالنَّجمِ ... ليَسقيَ عِداهُ كأسَ الزُّعافِ

أرضعتْهُ دمَ التآويرِ حتى ... دبَّ فيه القتلُ في الأعطافِ

وأبوه « أمفتريونُ » الذي عوّ ... دَهُ في الصراع قتلَ الجُزافِ

ربّةَ الحب لا تداني سعيراً ... حرّقَ الأعينَ بالإنصافِ

أنتِ إنْ تحتسي القلوبَ غدت تحبـ ... ـرى ، وضاقت في حلقها المستلافِ

فاتركي المنونَ « هِرَكولَ » يُسْتطـ ... ـعا على الظالمين ذاتَ السوالفِ

تَرِدُ « هِرَكولُ » في سباقِ النهاوِ ... لِ ، فهزّ القلوبَ تحتَ الشغافِ

«هرقل» نشوان بخمرة الحب
للفنان الفرنسي «لوموان»

هيكلٌ ينطوى به فى البطولا ت، وراءَ النجومِ عبْرَ الشنافِ

وفنونٌ للحرب صالَ بها الوحش هل، فصارت أشلاؤه كالخرافِ

فرسٌ ظبيةً بأرضِ «ديانا» لبستْ عسجداً على الأظلافِ

ومشى للجلادِ فارتعش «الأو لمبُ» واهتزّ للبلاءِ الموالى

كان يردعُ الوحشَ بجذله «ديوما ذ» يحشرُ من زندِهِ المتطالفِ(١)

ومضى يشركُ الطواغيتَ بالوحـ ل، ويهوى بالمنجلِ النشّافِ

(١) «ديوماد»: ملك تراس، كان يسقى خيوله من دماء البشر

هدّ «جيريونَ» ذا الجسوم وأخذَ الـ ... أشْن بين الخصوم والأحلاف (1)

من رأى الوحشَ حين مدّ حشوا ... يتردّى في حمأةِ الإسفافِ

أيّها الصوتُ من جبالِ القفقـ ... ـاسِ ما ضجّتْ في متونِ التّياقِ

هل «بروميثُ» بالقيودِ يُنادي ... وحشاهُ يلوبُ للإسعافِ (2)

ينقرُ النسرُ كلّ صبحٍ ومُسى ... كبداً أنضجتْ جزاءَ خلافِ

هبْ «هرَكولُ» متيداً بالليالي ... أزهرتْ والنجومُ كالأنوافِ

كلُّ مستهترٍ أتاهُ الجبروتُ إلا ... متهمٌ «كوبيدُ» ما ترى ليُساقِ

ضرّجتهُ «أمفالُ» ورداً وروّقتـ ... ـه غراماً من سحرِها الرّقاقِ (3)

يا فؤادَ الجبارِ لا تُخفِ حبّاً ... خلفَ الحبِّ أنّهُ غيرُ خافِ

كلُّ حسناءَ في بساتينِ «ليديا» ... قد تمنّتْ لو أنّها للتطافـ

سار في العاشقينَ مبغَ البطولا ... ـتِ ، وعشقُ الشبوحِ للأتلافِ

ما أراهُ أجدلُهُ حرزُ نصيحٍ ... وصبايا بالطيبِ والعراقـ

أين منكَ الطعانُ يومَ الحماسا ... ـتِ ، وخفقُ البنودِ والأسيافِ

ونشيدُ الفرسانِ باسمكَ يسمو ... وفخارُ الأمصارِ والأضيافِ

هلكَ الحبُّ إن يكن يُهلكُ الصـ ... ـلَ ، وردى مروءةَ الأشرافِ

فتهى بأرجوانٍ خضراً «بمرزكو» ... ـلَ» وحطّيهِ بالزّرى للتنافِ

صار هيْنوناً مثلَ الحثالةِ يُزري ... وتراهُ المرزاةُ كالأطيافِ

---

(1) «جيريون» جبار كان يسكن جنوبي اسبانيا ، ذو أجساد ثلاثة ، قتله هركول واختطف ماشيته لترعاها في البلاد.

(2) «بروميثي» خالقه «جوبيتر» وأودعه سر خلق الانسان ، ولكن نهاه عن خلقه فلما هبط الأرض جعل يساوره السر ويلحمه بالتكوين فأبدع الانسان . عندئذ حلت عليه نقمة الآله الأعظم ، فأمر به أن يشد بأصفاد الحديد الى قنة من قنن جبل القوقاز ووكل به نسرا ينقر له كبده كل صباح ويمسه حتى أشرف على الموت ؛ ولكن هركول أنقذه فكسر حديده وقتل النسر الذي وكل بعذابه.

(3) «ليديا» منطقة في آسيا الصغرى كانت عليها ملكة جنية تسمى «أومفال» سخرت البطل هركول أسيرا لها حتى أذله الحب وضرجه بالهوان فلبس حريرا مرذولا وجيدا متهوكا ؛ وقد يرى للجمال أن البطل «ليلوكيت» كان مصيره كمصير هركول وكان يتعرى بذلك

وقد جرت هذه السيرة الرهيبة على ألسنة كثير من أدباء العصر الهيليني وشعرائه ، ومن غريب ما جرى للجبار الأعظم في ذلك حبه أن أعطى «أومفال» جلد الأسد الذي كان يلبسه ولبس هو بدله فستانها ليديا وكان يستطيب الجلوس عند قدمي معبودته الملكية ليغزل لها الصوف

الذئبة

بقلم السيدة وداد سكاكيني

سألتني يا صديقتي عن رفيقتنا القديمة « سوسن » ما خبرها الذي انقطع عنك منذ خرجنا من المدرسة ولفتنا الحياة بخيرها وشرها

أيكون الجواب في رسالة ؟ ما اری ذلك كافيا أو شافيا ، فان سيرة « سوسن » أكثر من حديث وأطول من قصة ، وفي حوادث الدنيا صور من حياتها وملامح من طبعها أكاد أراها في مطالع الايام وزحمة الفجائع والصدمات ، فالانسان ابدا هو الانسان .. فاذا تجدد أو تحول لاحت فيه لمحات وبدت عليه صفات، لكنه يبقى هو في طويته كما كان ولو اغترب وتوحد او تفرد بازياء الجديد والوان الاخلاق

كذلك رفيقة الطفولة والمدرسة « سوسن » . انها اليوم كما عرفناها من قبل ، أفلم تكن تشغب وتلعب وتحاول أن تنتزعنا من كتبنا ودفاترنا لتدخلنا في لهوها وأماليها !

اتذكرينها يا صديقتي حين جادلتنا طويلا واستهزأت بنا لاننا قلنا لها انك ما زلت صغيرة مثلنا لا تفهمين المجتمع ولم تتمرسي بالحياة فلا تتعجلي الكلام على الزواج . ولئن دار مثل هذا الكلام في هواجسنا وكتمناه حياء بيننا وبين انفسنا ، فكأننا كنا بنوتنا نزيد لها فكرا وتكرا وما بنا الا التخوف من تسرعها الى قطف الثمرة قبل الاوان

كنا نغريها على المصادقة لكي تتسلح بالعلم والمعرفة ، فكانت تعرفين انها قليلة المال والاهل ، مات أبواها ولم يتركا لها ارثا ثمينا ، وما كانت تتحمس او تعبأ بالمستقبل ، بل انها مراهقة تركت مستقبلها واخذت تتحرق شوقا الى اليوم الذي سعت اليه بلجاجة واصرار !

وهل كان حقا يا صديقتي انقطاع

اخبارها منك منذ افترقنا وكأننا لم نجتمع ! أمن سنة الدهر أن يجمع الشمل ثم يفرق الاحباب والاصحاب الذاكرين آخر مكان ضمنا للوداع؟ فمنه تنسرح خواطرى وينساب خيالى نحوك فى الغربة التى لم تقطعك عن الوطن ، ولعلك تقرئينها كلمات ، فى كل واحدة منها ذكرى ولهفتى ، ولكم احسن الى الانسانية من ابتدع اول رسالة فى الخليقة !

على انك قد لا تعلمين ما تداخلنى من طلبك حتى وقعت فى حيرة من هذا الامر ، كيف أبيح لنفسى الكلام على رفيقة كانت عزيزة لدينا بما قد يسيئها ويؤذيها ، فان كان من حقك وحدك أن تطالعى مصيرها بعد ان عرفت نشأتها فلا ضير ولا غضاضة ولكن ماذا افعل بقلمى الذى ارادنى على ان ارسل اليك الاجابة مكشوفة تقرئينها ويقرؤها معك من يشاء ، فما اشق هذا المركب الذى كتب على ركوبه !

لقد هاجت بنفسى ذكرة ، فكرة فلسفية حفزتنى للكلام على «سوسن» وهى أن أخبارنا وخواطرنا ليست ملكا لنا ، وانما هى للناس جميعا ؛

ولعلك يا صديقتى تذكرين أنى أحرق القليل من هذه الفلسفة اذ غيرت اسم الرفيقة القديمة ، غير انى لم ابدل فى الحوادث شيئا وكأننا اناس نزلوا من مركب فى البحر الى البر ، جمعتهم السفينة وفرقتهم الارض وبيد كل منا حقيبة عمرها ، ولم يكن فى حقيبة « سوسن » كتاب واحد ، ما أحسبك تسالين ماذا كان فيها اذن ، فانت تعرفين مثلى حقيبتها التى كانت ممتلئة باقلام الشفاه الحمر والقوارير الملونة لصبغ الاظافر ومبارد صغيرة لتقليمها وملقط لترجيج الحواجب ، وعلبة او علبتان من مسحوق وردى كانت تدلك به خدها

ان كل وسيلة لزينة المرأة المتبرجة كانت ترقد فى تلك الحقيبة ثم لا تلبث ان تهتاج لتؤدى كل واحدة ما يطلب منها بين يدى رفيقتنا التى كانت تتقن لمس تلك الادوات برفق وبراعة وكأنها تناغيها ، ولسنا ـ انت وانا ـ وكل من عرفتها من صديقاتنا لنتجنى عليها فى ذلك فقد خلقت مفتونة حتى بنفسها ، على ان ما اعجب له اكثر من كل شىء هو سؤالك عنها بعد فراق طويل ، هل رأيتها فى المنام او ذكرها عندك ذاكر بشىء حتى خطرت ببالك والححت فى أن أبعث حديثها بنفسى وخاطرى ؟

لقد اعطاك الله الزوج المخلص والاولاد الذين احببت الحياة من اجلهم فما شانك وشانها وما يهمك منها ؟ ان فى اغوار نفسك بقايا من اثر المدرسة حين كنت تختصمين مع « سوسن » وتكون هى المفترية والمعتدية ، وكم كنت تغضبين من حدتك وشكايتك كلما لقينا لها المسطرة والمحمرة ، افلا سامحتنى فاسدلت سترا على مطلوبك ؟.. هيهات ، ما أحسبك راكنة للصد والصمت . فالنفس اذا قلقت لا تطمئن

الا بالنفاذ الى الاعماق مثل من ينظر في بئر ويتاملها فلا يقتنع بفكرة عمقها حتى يرمي الى القعر حجرا ويسمع باذنيه صوته على الصفحة السحيقة

اذن فاسمعي من اعماق الايام ما صار اليه امر « سوسن »

▭

بعد موت ابيها وامها وجدت في عمتها الحنان والاشفاق وفي بيتها النعمة والعافية ، وكانت هذه العمة قد ورثت عن زوجها مالا انفقت منه الكثير على تربية وحيدتها وتعليمها ، ثم لما تقدم لخطبتها كتب فضلت قريبها المحامي الموفق « عبد المعين » وكان حفيا بهما بعد وفاة الاب منبسط الصيت ، فعاشت « سوسن » في رعاية هؤلاء عيشة لم تحلم بمثلها في بيت والديها ؛ وكانت العمة لم تزايل ثياب الحداد حزنا على اخيها فحدبت على ابنته واستروحت فيها ريحه ، وازداد اشفاقها وحنانها حين رأتها قد عافت زينتها وفتر لهوها وانسها . ثم ماذا حدث بعد شهور ؟

لا تدهشي يا صديقتي ، فان « سوسن » ما لبثت ان ارتدت الى شأنها الاول فاخذت تتقرب الى الرجل الذي كان يتلطف لها ويخفف حتها ، وعلى مر الايام تفهمت نفسه وعرفت نقاط الضعف فيها

كان « عبد المعين » اذا جلس للعب في الورق هو وزوجته اتخذت العمة مقعدا قريبا تعاين منه التواظر والمباسم وتستشف ما وراء الوجوه وما تقول الاعين ، وكان عبد المعين ينظر الى سوسن اكثر مما ينظر الى الورق بين يديه حتى تجاوب القلبان . كل هذا وزوجته لا تلحظ ولا تدري، وقد نجد لها عذرا فان سذاجتها غلبت ثقافتها وحالت بينها وبين الحقيقة

اما العمة فهي التي كانت تشهد تحويل القضاء وترصد الكارثة . انظري يا صديقتي الى المأزق الذي وقعت فيه والورطة التي لا مفر منها

انها لا تستطيع طرد سوسن لانها آوتها وتعهدت رعايتها ولا تعرف سواها ، ولو انها اقصتها عن بيتها فالى اين تذهب وقد تعثر نصيبها ولم تمارس حرفة ترتزق منها ، فمن غير العمة يخرجها من الخطر الداهم ؟

لقد رصبت آخر الامر بالواقع ـ كما يقولون ـ وتمنت لو تضرب راسها بالحائط فتشقه لتخلص من المصيبة

قالت لزوج ابنتها . تزوج الاثنتين وانا راضية وستر لرمي ، فابى ونفر واليوم تعيش سوسن مع عبد المعين في منزل بعيد عن بيت عمتها الذي تشبه الكمد والخذلان ، وران عليه القهر والكآبة فلما تأوهت المطلقة ولامت نفسها سارعت اليها امها تمسح دمعها وتحمدلها من تلك الامرأية التي آوت اليها لا بشعرة حنت عليها واحبتها فاكلت بعد ذلك شأنها

فاصفحي عني يا صديقتي واستغفري لنفسك لانك كتب التب ولا يد لي فيما اراد القلم ..

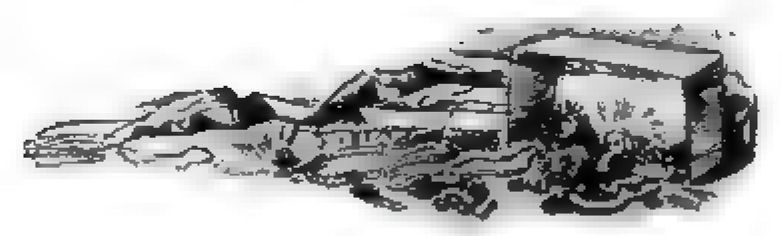

العقد المزيف

بقلم جي دي موباسان

أسبغت عليها الأقدار كل ما يهوى الرجل في المرأة : الشباب الغض ، والجمال الساحر ، وفتنة العيون، ورشاقة القد . وشاء القدر كذلك أن تنحدر من أسرة فقيرة وأب معدم تركها بغير مدوطة ، وبلا ثياب أو حلي تستطيع الظهور بها في المجتمعات ، والتعرف الى أفراد الطبقة الراقية ، والأمل في زواج يضمن لها السعادة والراحة والطمأنينة ، وصبابة ما أغدقت عليها الطبيعة من سمة الحسن والجمال . فاضطرت الى تقبل يد شاب أقصى ما يقال في مركزه الاجتماعي انه موظف صغير في وزارة المعارف العمومية الفرنسية

وكانت رغم فقرها ، تنظر الى فتيات باريس في أزيائهن الخلابة نظرة الند للند ، لأن فتنة المرأة وجاذبيتها لا تقاس — في نظرها — بالسلالة التي تنتسب اليها ، ولا الأسرة التي ولدت فيها ، وانما بالقدر الذي أسبغت عليها الطبيعة به من سحر وجمال . ولم تكن الارستقراطية ، في اعتقادها ، بالثروة والجاه ، فيما يختص بالمرأة بل بسعة الحيلة ، وطلاوة الحديث ، والجمال النادر ، وكان هذا التفكير سببا في شقائها . كان يخيل اليها أنها خلقت للحياة المترفة والأثاث الفاخر والجواهر الثمينة ، لا لذلك المنزل الوضيع والمجمر الرثة ، والأثاث الباهت المتآكل

وكانت كلما حدثها زوجها أو داعبها على عادة الزوجين في بدء عهد الزوجية ، تحلق في سماء الخيال ، فترتسم في ذهنها صورة بيت أنيق، فرشت أرضه بالبسط الحريرية والطنافس الثمينة ، واسدلت على نوافذه الأستار الشرقية ، وتدلت من سقفه الثريات البلورية ، وانتشرت في أركانه تماثيل من البرونز تحمل المشاعل المتلألئة أضواؤها، وجلس على أرائكه صفوة القوم من رجال ونساء ، يتجاذبون أطراف الحديث حول أقداح الشراب

ولم يكن في وسع زوجها ، وهو من صغار الموظفين أن يبتاع لها فستانا يليق بفتنتها المياسة، وعقدا من الماس تحلى بها ذلك الجيد العاجي الذي أبدع الخلاق في صنعه . ولم يكن في وسعه أن يشتري لها كؤوس

البلور ، والأطباق الصينية الفاخرة والأدوات الفضية

□

وكانت لها صديقة غنية من زميلاتها في عهد تلمذتها في مدرسة الراهبات ولكنها كانت تقدم رجلا وتؤخر أخرى ، كلما وطدت العزم على زيارتها ، اذ أنها كانت تعود من بيتها حزينة وتقضي اليوم كله باكية يائسة، لما رأته عندها من ترف وعز

وحدث يوما أن عاد زوجها الى المنزل يحمل مظروفا أنيقا على خلاف العادة ، وما كاد يجلس أمامها حتى أخرج منه بطاقة وعلى وجهه ابتسامة عريضة ، وقدمها اليها لتقرأ ما جاء فيها :

« يتشرف وزير المعارف العمومية ومدام جورج رمبونو بدعوة مسيو ومدام لوازيل لحفلة ساهرة تقام في منزلهما مساء ١٨ يناير الجاري »

وبدلا من أن يشرح صدرها لهذه الدعوة من أحد وزراء الدولة كما كان ينتظر زوجها ، ألقت بها على الأرض وأخذت تجهش في البكاء وهي تقول : «ماذا تظنني أعمل بهذه الدعوة ؟ » فأجابها والحزن يملأ جوانحه : « كنت أظن أنك تتقبلينها بالفرح والابتهاج »

ـ أتستطيع أن تقول لي أين الفستان الذي أرتديه في هذه الحفلة؟

فسكت هنيهة وأجابها : «ما عيب الفستان الذي ترتدينه حين تصحبيني الى دار التمثيل ؟ »

على أنها استرسلت في البكاء ، فلم يسعه الا أن يبكي لبكائها بعد أن حاول أن يكفكف دموعها عبثا ، ولما هدأت العاصفة قليلا أوضحت له أن الفستان الذي يشير اليه لا يصلح بتاتا لمثل هذه الوليمة الساهرة ، ونصحت اليه أن يهدي الدعوة أحد أصدقائه ، وبعد صمت طويل انهمرت في خلاله الدموع من الجانبين دار بينهما الحديث التالي :

ـ كم يساوي فستان يصلح لهذه الحفلة وسواها ، يا عزيزتي ماتيلدا؟

ـ لست أدري ، على أنني أظن أن اربعمائة فرنك تكفي لشرائه

فاصفر وجهه قليلا وقال مترددا

ـ هذا كل ما ملكت يداي ، وقد ادخرته أملا أن أشتري به بندقية للاشتراك في ناد من أندية الصيد، ويسرني أن أعطيك هذا المبلغ

واشترت مدام لوازيل ما أرادت، وقبل موعد الحفلة بيوم دخل الزوج فرآها عابسة حزينة ، فسألها مندهشا «ماذا جرى؟» فأجابت: « لست ادري كيف استطيع الذهاب الى بيت الوزير بغير حلية أو حجر واحد من الماس أزين به نفسي ، وخير لي عدم الذهاب »

ـ ما قولك في شراء زهور طبيعية تحلين بها صدرك ؟

ـ كلا .. لست أريد أن أبدو حقيرة المنظر في حفلة كهذه تتلألأ فيها الجواهر

ـ اذا اتصلي بصديقتك الحميمة مدام فوريستر واستعيري منها بعض جواهرها

وهنا فقط اشرقت أساريرها وصاحت متهللة : « أجل ، لم تخطر

ببالى هذه الفكرة .. لقد أصبت يا عزيزى »

وبعد قليل طرقت باب صديقتها فاستقبلتها على الرحب والسعة .ولما ابدت لها رغبتها . أحضرت لها صندوق جواهرها ووضعت أمامها بعض الأساور ، وعقدا من الذهب وصليبا من الذهب المرصع بالماس ولكنها ترددت فى اختيار شئ منها وسألت صديقتها : « أليس عندك شئ آخر ؟ »

وفى الحال أحضرت لها صندوقا آخر مكسوا بالحرير الأسود ، وأخرجت منه عقدا من الماس ، فخفق لمرآه قلب متيلدا وتهلل وجهها ، فسألت صديقتها : « أتسمحين لى باستعارته ؟» . وما كادت صديقتها تجيب بنعم ، حتى طوقتها بذراعيها وأخذت تقبلها

□

وجاء موعد الحفلة ، فما إن رأى المدعوون بطلة هذه القصة حتى اشرأبت لها الأعناق واتجهت إليها الأنظار ، وتساءل الرجال عن اسمها وطلبوا إلى زوجها تقديمهم اليها ، وتنافس الوزراء على طلب يدها للرقص معها حتى الهزيع الأخير من الليل . وكانت ترقص بحماسة ، ورغبة ملحة فى التعرف بهذه الطبقة الرفيعة من رجال باريس ، حتى ثملت بجمالها وإعجاب الناس بها ، وما لاقته من تكريم ومداعبة وتبجيل

وفى الساعة الرابعة صباحا بحثت عن زوجها ، فاذا هو فى ردهة من ردهات القصر مع زمرة من الرجال ممن فالهوشبه نائم ممن لا يحسنون الرقص ، فتركوا زوجاتهم يأخذن أكبر قسط من الحرية

وانطلقت متيلدا وزوجها خارج الباب متحاشية أن يراها أحد بمعطفها الحقير الذى لا يتفق وجمالها وعقدها الثمين ، فضلا عن الفراء الثمينة التى ازدانت بها سائر المدعوات ، ولما كان البرد شديدا ، فقد منعها زوجها من السير بعيدا ونصح اليها أن تنتظر حتى تمر بهما عربة تقلهما الى المنزل ، وفى بضع دقائق عثرا على عربة قديمة متجهة نحو نهر السين، ولم تمض دقائق أخرى حتى كان كل منهما يسرع فى خلع ملابسه فى حجرة النوم . وقد كان الزوج المسكين متعبا فاستلقى على سريره، استعدادا للنوم حتى يبكر الى عمله فى الموعد الذى لم يكن باقيا عليه سوى ساعات قلائل

وكان القدر لم يشأ أن تنتهى السهرة بخير ، فقد هب الرجل مذعورا على صياح ماتيلدا : « العقد .. العقد .. أين العقد ؟ » وأسرعا كلاهما يبحثان عنه فى طيات فستان السهرة بلا جدوى ..

ــ أمتأكدة أنك لم تفقديه أثناء الحفل ؟

ــ كلا .. إنى واثقة من أنى خرجت من هناك وهو لا يزال فى مكانه

ـ اذن فقد سقط منك في العربة، أتذكرين رقمها ؟

ـ كلا ..

ـ ليس من المعقول ان يكون قد سقط في الشارع لأنه ثقيل، وكان لابد ان يسمع لوقوعه صوت ..

ونظر كل منهما الى الآخر ، والرأس تدور ، والأطراف ترتجف والهواجس تتزاحم ..

ـ سأرتدي ملابسي وأتتبع الطريق الذي سلكته العربة، لعل أعثر عليه

▭

أما ماتيلدا فلم يسعفها الجهد الى ترتدي ملابس النوم، فاكتفت بتغطية جسمها بمعطف والاستلقاء على كرسي طويل . ولم يغمض لها جفن ، أو هدأ لها بال حتى عاد زوجها في الساعة السابعة صباحا . وما كادت تسمع وقع قدميه ، حتى هرعت الى الباب ، ولفحت فمها لسؤاله .. ولكنها سرعان ما وقفت صامتة مبهورة ، ووقف هو أمامها شاحبا منزعجا ، وفهم كل منهما صاحبه .

بيد أن لوازيل لم يقطع الأمل ، فقد خرج بعد تناول قدح من القهوة توا الى مركز الشرطة ، ثم مر على احدى صحف المساء واعلن عن مكافأة مالية لمن يجد العقد . وانتظرت ماتيلدا زوجها على أحر من الجمر ، وهي حائرة زائغة العينين . ولما عاد في ساعة متأخرة من المساء أدركت من اصفرار وجهه ان التحفة الثمينة لن تعود . أما لوازيل فقد أشار عليها أن تكتب رسالة الى صديقتها صاحبة العقد ، تقول فيها ان المشبك قد التوى ويحتاج الى اصلاح ، وترجوها أن تمهلها أسبوعا حتى يتم .. وكان قصده من ذلك ان يتدبرا في خلال هذه المدة في الاستدانة وشراء عقد مماثل واعادته الى صاحبته . وفعلا اخذ الصندوق الذي كان العقد فيه ، وتنقلا من حانوت الى حانوت ، حتى عثرا على الجواهري .. وبعد ساعات أخرج لهما عقدا التمست ماتيلدا أنه مطابق تماما للعقد الذي فقد

وكان الاسبوع التالي مريعا قضيا فيه الساعات الطوال في اقتراض ٣٤ الف فرنك من أكثر من مائة صديق وقريب وبعيد ، حتى كللهما الحياء والخجل والشعور بالعار والفضيحة ، فضلا عن مرارة الدين وخشية العجز عن التسديد، والخوف مما يضمر لهما المستقبل من بؤس وشقاء

وفي صبيحة اليوم الاول من الاسبوع الثاني حملت ماتيلدا العقد الى صديقتها ، ولكنها رأت من واجبها ان تقص على مسامعها القصة كاملة قبل تسليمها اياه ، مبدية لها اشد الاعتذار والخجل . وهنا صمتت صديقتها بعد سماع القصة ، ثم صاحت بأعلى صوتها : « أتقولين ٣٤ الف فرنك ؟ يا الله ! ان العقد الذي أعرته اياك لم يكن من الماس ، بل من الزجاج .. وقيمته تسعة فرنكات ! ! »

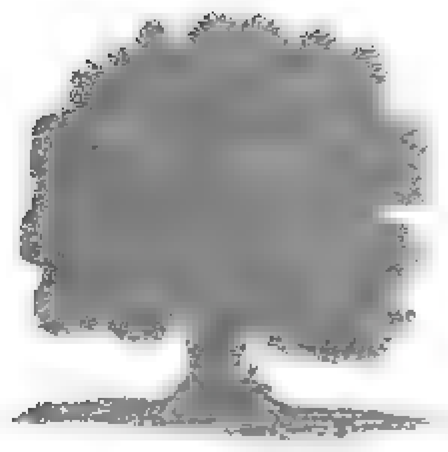

الشجرة القاتلة!

للروائية الأمريكية ميريام آلين ديفورد

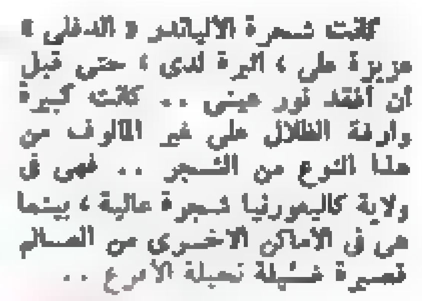

كانت شجرة « الايلانثس » « الدفلى » عزيزة على ، اثيرة لدى ، حتى قبل ان افقد نور عينى .. كانت كبيرة وارفة الظلال على غير المألوف من هذا النوع من الشجر .. فهى فى ولاية كاليفورنيا شجرة عالية ، بينما هى فى الأماكن الاخرى من العالم قصيرة ضئيلة نحيلة الأفرع ..

زرعتها امى فى حديقة البيت فى اليوم الاول من زواجها بابى .. ونمت الشجرة وارتفعت حتى بلغت اغصانها نافذة حجرتى وانا صبى فى العاشرة من عمرى ، وكان اسعد الأوقات عندى ، هو الوقت الذى كنت اجلس فيه على قاعدة النافذة والمس بيدى اغصان الشجرة الاثيرة واشم اريجها ، وان كان كثير من الناس يعتقدون انها غير ذات اريج ..

واعتقد ان هذه الشجرة كانت الينبوع الذى سكب فى اعماق نفسى حب الشعر والادب والتحليق فى عالم النور والخيال .. فقد كنت اجلس تحتها الساعات الطوال وانا مستغرق فى القراءة او التفكير بينما كان اخى الاكبر جلبرت يشغل نفسه بهواياته العنيفة فى صيد الثعالب والكلاب الضالة وقتلها ..

وبلغنا ــ جلبرت وانا ــ مرحلة التعليم الجامعى ، ولما كان جلبرت شغوفا بدراسة العلوم الكيميائية ، فقد اصر ابى على ان اشترك معه فى هذه الدراسة ، ووافقت على رغبته لانى تعودت الطاعة والاستسلام لرغبات والدى معا ..

وفى السنة النهائية ، خفق قلبى لاول مرة بحب زميلتنا فى الدراسة مارى ماكدونالد .. ولم اكن واثقا تماما من شعورها نحوى ، فقد كانت تعاملنا ــ اخى وانا ــ على قدم المساواة .. ولكنى كنت اطمع فى انها ستؤثرنى بحبها فى نهاية الشوط ، فقد كان الناس يعتقدون اننى اجمل من اخى ، واكثر هدوءا ، واوسع افقا ، واطيب قلبا .. ولكن ابوى ــ لفرط ايثارهما لجلبرت على ــ كانا يعتقدان انه اجمل وافضل منى برغم مزاجه المتهب ، وسرعته فى الغضب

لم وقعت الكارثة التي غيرت مجرى حياتي ، وحطمت كل آمالي ...

كنت واقفا بجوار جلبرت في المعمل .. وكان هو يجري اختبار شيء ما في انبوبة اختبار على موقد بنزن، وفجأة اشتعلت المادة الموجودة في الانبوبة .. ولم اذكر شيئا الا هذا الالم الرهيب الذي انشب اظفاره في وجهي وعيني ..

وغادرت المستشفى فاقد البصر

وكان طبيعيا ان ابعد عن ذهني اي تفكير في الزواج من ماري .. فما كنت ارضى لها الحياة بجانب شاب ضرير لم يعد يصلح لشيء ..

وكان طبيعيا ايضا ان يتزوج جلبرت منها ...

ويبدو ان اخي قد كره العلوم الكيميائية بعد الكارثة، فابى مواصلة دراسته فيها ، واتجه الى دراسة العلوم الاقتصادية . وسافر مع زوجته الى لوس انجليس حيث اشتغل بالاعمال المالية والتعامل في الاسهم والسندات

ولبثت في الضواحي التي ـ بعد وفاة ابي ـ راضيا من الحياة بنصيبي المتواضع ، فكنت اجلس تحت شجرتي الاثيرة الحبيبة، والمس جذعها باناملي ، واطلق العنان لخيالي : واملي ـ على امي ـ بين الحين والاخر بعض القصائد والمقطوعات الادبية التي كانت ـ لدهشتي ـ تلقى كل ترحيب من الناشرين ...

واذكر اني اعتنقت جذع شجرتي وبكيت حين سمعت ـ اول مرة ـ نبأ زواج ماري من جلبرت ... لا حسدا لهما ، وانما اسفا لمصابي ووحدتي ... وكنت اشغل اوقات فراغي احيانا بالاشغال اليدوية الخفيفة : فاشذب الخشب واحفره واصنع منه بعض الادوات المنزلية الصغيرة ؛ وكانت امي تجاملني باستعمال هذه الادوات رغم استطاعتها الحصول عليها من الخارج احسن صنعا وارخص ثمنا ...

وازدادت احزاني حين علمت ان ابنة جلبرت وماري ـ البالغة من العمر ثلاثة اعوام ـ ماتت بعد ان وقعت من شرفة المنزل .. ولقد سمعت ان اباها اراد ان يؤدبها لسبب ما ، لعله كذبة صغيرة ، فانطلق وراءها غاضبا مهتاجا ، فانطلقت الطفلة المسكينة مفزعة . وتسلقت سياج الشرفة لتنجو من يديه ، فسقطت جثة هامدة ...

يا للمسكينة .. اما كانت تعرف ان اباها طيب القلب رغم مراجه الدموي ، وانه لم يكن يقصد الاضرار بها رغم غضبه واهتياجه .. !!

▭

ولم ينجب جلبرت ابنة اخرى بعد ذلك ...

ومرضت امي بسبب هذه الكوارث بهبوط القلب ، واصبحت حياتها معلقة في خيط واه .. ولهذا كنت احرص دائما على توفير جو من الهدوء والراحة لها ؛ فكنت ابعد عن طريقها حتى لا تراني كثيرا وتملأ الحسرة قلبها علي .. واذا تحدثت اليها اصطنعت البشر والسعادة والرضى

واقبل جلبرت ذات يوم .. وبعد ان صافحني وتحدث الي برهة ، انفرد بامي في غرفتها ، وكنت جالسا في الحديقة بالقرب من نافذتها ، فتبينت من حديثه معها انه في مازق حرج ، وانه تصرف في مجموعة كبيرة من الاسهم والسندات كانت مودعة عنده ، وانه اذا لم يدفع ثمنها لاصحابها سيلقى به في اعماق السجن ، وانه — من ثم — يريد ان تباع العقارات باي ثمن لينقذ نفسه من المصير الرهيب ..

ولما سمعت امي تعارضه وتعنف في ملامته ، رايت ان امضي اليها ، وان اضم صوتي الى صوت اخي حتى نتجنب فضيحة رهيبة بين جيراننا ..

وقبل ان ابلغ غرفة امي ، سمعت صيحة خافتة ، ثم علمت ان امي اصيبت فجاة بنوبة قلبية ، فسقطت على الارض ، واصطدمت راسها بحافة المقعد ، ولم تلبث ان فاضت روحها الى بارئها ...

وانا اميل الى تصديق هذه الحقيقة ، ولا اميل الى مزاعم الطاهية العجوز الثرثارة حين قالت لي ان اخي اهوى بقبضة يده على امي فقتلها . ولا اميل ايضا الى تاكيدها بان امي كانت تحتفظ بوصية لابي يقسم فيها المزرعة والعقارات بيني وبين اخي ، وان جلبرت اخفى هذه الوصية ...

ولكن الاكد لنفسي انهذه الطاهية ثرثارة عجوز ، قبلت ان اتنازل عن نصف نصيبي في العقارات — دون المزرعة — لانقذ اخي من مازقه الرهيب ...

▭

وباع اخي العقارات كلها ، وسدد الديون ، وجاء مع ماري الى المزرعة ليشرف عليها ، ويتولى امرها .. وقد حاول — بعد بضعة اسابيع — ان يغريني بالاقامة في مصحة للعجزة على ان يدفع جميع نفقات الاقامة . ولاول مرة في حياتي عارضت رغبته عارضتها لاني لم استطع ان اتصور كيف اعيش بعيدا عن شجرتي الاثيرة الحبيبة .. كيف احرم من ظلالها ، ونجواها ، ولمسات اغصانها ، وهمسات اوراقها !!

وغضب اخي لمعارضتي رغبته ، ولكنه وافق اخيرا على اقامتي في الدار بشرط ان ابقى سجين غرفتي سحابة النهار ، ثم اسعى في الليل الى شجرتي حيث اجلس اليها ، واسعد بها ...

وقبلت هذا الشرط مسرورا .. لقد كان الليل والنهار — منذ فاقد البصر مثلي — سواء — ولكني تالمت حين ادركت الغرض الحقيقي المستتر تحت هذا الشرط ..

لقد كان اخي يغار مني على زوجته ماري ..

وازدادت آلامي حين ادركت من صوت ماري انها محزونة بائسة في حياتها مع جلبرت .. لقد كنت اسمع مشاداتهما المتوالية ، وكنت اسمع نحيبها في سكون الليل ، وكنت افزع من صوت جلبرت ومزاجه

الدموى حين يشتد فى خصوماتهما

وحدث ذات ليلة أن سمعت باب غرفتى يفتح فجأة ، ثم يغلق من الداخل بالمفتاح ، ثم اذا مارى تقول فى اضطراب وفزع :

ـ هارى .. هارى .. انقذنى بربك .. ان جلبرت قد فقد عقله من فرط الغيرة ، انه يريد ان يقتلنى كما قتل ....

وامسكت فجأة عن الحديث حين سمعت صوت جلبرت وهو يقول :

ـ اذا لم تخرج مارى حالا ، فسوف احطم شجرتك يا هارى ..

وتهالكت فى مقعدى ، وبكيت ..

وما كانت أول ضربات المعول فى جذع شجرتى تصل الى ، حتى وثبت واقفا ، وقلت لمارى :

ـ سلمينى المفتاح .. وسوف اغلق عليك باب الغرفة من الخارج

ولكنى لم اسمع لها صوتا ..

فتحسست الباب بيدى ، فوجدته مفتوحا ، فانطلقت الى الحديقة ، وهرعت الى الشجرة حتى سمعت الكلمات العنيفة المتبادلة بين مارى وجلبرت .. واصابتنى ضربة المعول على رأسى ، فسقطت مغشيا على . ولما افقت فى المستشفى ، علمت من الممرضين ان اخى قال ان اصابتى حدثت قضاء وقدرا ، وذلك لانى اندفعت الى الشجرة بينما كان يهوى بالمعول عليها ، فأصابنى عن غير قصد ..

واكدت انا اقوال اخى .. نعم ..

فلا شك ان هذا هو ما حدث،فليس من المعقول ان يعمد اخى الى قتلى أنا الضرير البائس ..

═

وغادرت المستشفى مشوقا الى شجرتى .. وبلاه .. لقد حطمها اخى وألقى بها الى مخزن الوقود ، وهكذا حرمنى من المتعة الوحيدة فى الحياة ...

وجلست ذات ليلة فى موضع الشجرة المفقودة ، مطرق الراس ، ابكى وانتحب واعجب لهذه العيون التى تذرف الدمع الغزير دون ان تبصر .. وفجأة شعرت بيد رقيقة على كتفى ، فانتفضت مرتعدا ، ثم سمعت صوت مارى وهى تهمس لى :

ـ هارى .. هارى .. يجب ان نرحل .. ان جلبرت لن يستريح حتى يقتلك او يرغمك على الحياة سجينا مع هذه الدار .. انه الآن مشغول فى المزرعة ..

فاومأت برأسى وقلت :

ـ سوف امضى .. ولماذا ابقى بعد أن فقدت شجرتى .. الشيء الوحيد الذى كان باقيا لى فى الحياة؟!

فسرت فى صوتها رنة عتاب وهى تقول :

ـ الا تعلم يا هارى انى .. انى كنت اتمنى لو .. ان اتزوجك انت رغم فقد بصرك !. ولكن ..

فامسكت بيدها وربت عليها برفق وقلت :

ـ لاتاسفي على ما فات .. فلن يصيبنا الا ما كتب الله لنا ..

وفجاة شعرت بشفتيها على جبيني الملتهب ..

وقلت لاخي قبل رحيلي الى المصحة باسبوع :

ـ كل ما ارجوه يا اخي جلبرت ان تاذن لي بقطعة من خشب شجرتي الايلانثر لاصنع منها عصا اتوكأ عليها وابصر بها طريقي ..

فارسل جلبرت ضحكة رهيبة وقال :

ـ حسنا ، لك ما تريد ..

▭

وبعد ان فرغت من صنع عصاي، وجدت ان لدي بقايا كثيرة من خشب شجرتي ، فاخذت اشذبها واصنع منها اعوادا مدببة رفيعة لاعد قصصا يصلح لتربية عصفور مغرد . وفجاة عرفت الطاهية الروفالت مضطربة :

ـ ادركني يا سيد جاري .. ان اخاك مصر على تناول لحم الشواء الساخن في وجبة الغداء اليوم .. وفي هذا الجو الحار .. اننا جميعا لن نشترك معه في هذه الوجبة .. فسوف نكتفي بالخبز والجبن واللحم البارد .. هكذا اقترحت مسز جلبرت .. وانت ؟

فقلت باسما :

ـ اي شيء يرضيني هذا الشواء الساخن في هذا الجو الحار ..

ـ ولكنني في مازق حرج ... فاني لا اذكر اين وضعت اسياخ الشواء .. الا تصلح هذه الاعواد التي معك بدلا من الاسياخ !!

فبسطت يدي اليها بجميع الاعواد وقلت :

ـ بل تصلح كل الصلاحية ...

▭

ومات اخي جلبرت بعد ان تناول الطعام بنصف ساعة . وقال الطبيب الذي فحصه انه مات من التخمة .. اما انا .. فقد عرفت اخيرا كيف مات ..

فقد كانت ماري ، التي تزوجت مني لترعاني ، جالسة معي تحت شجرة الايلانثر جديدة كنت قد غرستها مكان الشجرة الاولى ، تقرا لي في كتاب عن خصائص النباتات وكانت طفلتنا جوليت تلعب في مرح وسرور .. وفجاة ترات ماري هذه العبارة .

« وشجرة الايلانثر التي تسمى في بعض المناطق بالدفل او الدفلى ، وفي مناطق اخرى باسم سم الحمار، من الاشجار السامة »

ولم اسمع كلمة منها بعد ذلك .. فقد شعرت فجاة كان شيئا عصر قلبي باناملة وان صوتا يهمس لي :

« لقد مات جلبرت مسموما من اللحم المشوي باسياخ مصنوعة من شجرة الايلانثر .. لقد شاءت عدالة السماء ان يجعلني اداة قصاص الرجل الذي عاش مجرما ومات مسموما .. »

يصادف الطبيب في حياته العملية بين المرضى حالات هامة أو نادرة تستحق التسجيل ، وقد طلبنا الى الطبيب الكبير الدكتور كامل يعقوب ان يوافي قراء الهلال ببعض هذه الحالات فكتب لنا من مذكراته هذا المقال واعدا بحالات أخرى

في اللحظة الأخيرة

بقلم الدكتور كامل يعقوب

كان قد أناف على الستين من العمر عندما أصابه أول عرض من أعراض المرض . فشعر بألم يسير في القسم القطني الأيسر من الظهر ، واعتقد أنه ناشئ من برد طارئ ، ثم لم يلبث أن صحا من نومه ذات صباح ليتبول فاذا به يجد بوله كله دما أحمر قانيا . ولما كان مقيما بإحدى قرى الوجه البحري ، لم يسعه الا استشارة طبيب في عاصمة المديرية . وقام الطبيب بفحص البول فلم يجد فيه شائبة من الدم والصديد أو غيرهما . ثم شرع في فحص جسم الرجل فلم يجد به أية حالة مرضية تفسر حدوث البول الدموي المرضي ، فاعتقد انها حالة طارئة نتيجة بلهارسيا قديمة أو حصاة صغيرة في حوض الكلية

ومضى المريض بعد هذا الحادث عاما وبعض عام دون ان يشعر بأي ألم او عرض يتصل بالجهاز البولي . ثم اخذ يتعرض لألوان من الضعف والهزال وفقد الشهية للطعام ، وراح يتعاطى شتى الأدوية المقوية دون أن تتقدم صحته . ولم يلبث طويلا حتى أصابته أعراض بولية مقلقة ، فكان الدم يظهر بغزارة في البول حينا ، وينقطع حينا آخر ، وصار يشعر بألم ممض عند مجرى الحالب الأيسر تارة ، ويحس بعسر شديد عند التبول تارة أخرى . ثم استقر رأيه أخيرا على السفر الى القاهرة ليعرض نفسه على أحد أطبائها

ورآه الطبيب فاسترعى نظره وجود ورم كبير الحجم في القسم الراقي الأيسر من البطن ، يمتد من حافة الأضلاع اليسارية الى أسفل السرة ، كما هو موضح في الرسم التالي

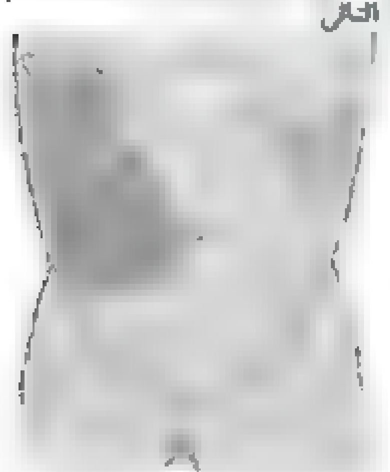

وكان هذا الورم صلبا يؤلم المريض عند الضغط عليه ، ويشبه الى حد ما الطحال المتضخم الذى كثيرا ما يشاهد بين المرضى من أهل القرى . ولكن وجود الاعراض البولية عند المريض جعل نظر الطبيب يتجه الى امكان وجود هذا الورم فى الكلية اليسرى لا فى الطحال . وعلى هذا اعطى المريض كاسين من الزجاج ليبول فيهما ، فتبين وجود الدم بغزارة وبنسبة متماثلة فى كلتا الكاسين . كما كان البول محتويا على خيوط طويلة من الدم المتجمد يستدل من شكلها على انها تكونت فى الحالب . واستنتج الطبيب انها هى التى كانت تسد الحالب حينا فتحدث الالم ، وتسد مجرى البول حينا آخر فتحدث تعسر البول . كما انه استدل من وجود الدم فى كلتا الكاسين على ان الكلية نفسها مصدر البول الدموى .. اذ لو كان الدم مقصورا على الكاس الاولى وحدها لكان معناه حدوثه فى مجرى البول الامامى ، ولو كان مقصورا على الكاس الثانية وحدها لكان معناه حدوثه فى المثانة . اما وجود الدم فى الكاسين فمعناه انه ينشأ مع البول عند منبعه اى فى الكلية ذاتها . وخشى الطبيب ان يكون ورم الكلية من النوع الخبيث فطلب من المريض عمل صور بالاشعة للجهاز البولى لكى يتمكن من تشخيص الحالة بطريقة لا تحتمل الشك

وجاء تقرير الاشعة فى اليوم التالى ، وفيه ما يلى :

الكلية اليمنى : طبيعية من حيث الشكل والحجم والوضع . وهى تؤدى وظيفتها اداء حسنا ، اذ انها تمكنت من افراز مادة

الكلية المريضة بعد استئصالها

الهيبوسلكتان فى فترة قصيرة لا تزيد على خمس دقائق

الكلية اليسرى : متضخمة جدا ، وقاصرة عن اداء وظيفتها . فلم تفرز مادة الهيبوسلكتان الا فى جزء صغير جدا فى القسم الطرفى العلوى . ويلاحظ فى هذه الكلية المتضخمة ورم كبير يحتوى على عدة اجزاء متكلسة

النتيجة : هذا الفحص يدل على وجود ورم سرطانى فى الكلية اليسرى من نوع الهيبرنفروما Hypernephroma .

ولم يكن هناك وسيلة لانقاذ حياة المريض سوى اجراء جراحة عاجلة لاستئصال الكلية المريضة . واضطلع بهذه الجراحة الدقيقة الخطيرة الاستاذ مختار جراح المجارى البولية .. وكانت شاقة عسيرة جدا ولكنها تكللت بالنجاح . وذهب الطبيب بعد ايام لزيارة المريض فى المستشفى

فوجده على احسن حال ، وأخذ يجس بيده انحاء بطنه دون أن يجد أي أثر للورم الكبير الذي كان يحتل الجزء اليسارى منها ، ثم علم منه أن أعراض البول الدموى والعسر البولى قد زالت عنه ، وشاهد الكلية المنتزعة من جسم المريض موضوعة فى اناء من الزجاج ، فالتقط لها الصورة الفوتوغرافية المنشورة مع هذا المقال

ويرى القارىء فى هذه الصورة أن الورم السرطانى قد أحال الكلية الى كتلة من الأنسجة المتليفة المتكتلة ، ولم يبق سليما منها سوى ذلك الجزء الصغير الموجود فى أعلاها حيث تظهر فيه بعض آثار صبغة اليوروسلكتان

ثم تحدث الطبيب مع الاستاذ الجراح فيما يتعلق بشأن مستقبل المريض ، فقال له وهو يبتسم ابتسامة الرضى : من حسن الحظ ان الجراحة تمت « فى اللحظة الاخيرة » فقد شاهدت قطعة من الورم السرطانى قد انفصلت منه وأوشكت ان تدخل فى الوريد الكلوى ، ولو انها تركت لتسبح فى تيار الدم لكانت سببا فى انتشار المرض فى جزء آخر من اجزاء الجسم فى وقت قريب او بعيد !

أما بعد فهذه حالة سرطان بالكلية اليسرى ، والغريب فى الامر ان هذا النوع من السرطان قد يظل وقتا طويلا دون ان يعلن عن وجوده بطريقة لافتة للأنظار . والواقع ان العرض الوحيد الذى ظهر فى بداية المرض هو البول الدموى الذى حدث مرة واحدة وكان بمثابة الانذار الاول ولكن هذا البول الدموى كما هو معروف قلما يثير الاهتمام فيما يختص بالمرضى من اهل الريف ؛ وذلك لان الغالبية العظمى منهم يشكون من وجود البول الدموى نتيجة الاصابة بمرض البلهارسيا . ومهما يكن من امر فالدرس الذى نتلقاه من هذه الحالة هو وجوب الاهتمام بتشخيص جميع حالات البول الدموى ، ولو كان طارئا ، تشخيصا تاما ، وبخاصة عند المتقدمين فى السن ، وذلك خشية ان يكون ناشئا عن اصابة سرطانية تظل مجهولة حتى يستفحل امرها ويتعذر شفاؤها

●●●●●●●

الصحة والمرض كما يراهما غاندى

● تطهير الروح خير وسيلة للظفر بالصحة ، ولا سبيل للمحافظة عليها الا بالمحافظة على طهارة الروح

● قوام حياة الانسان ثلاثة اشياء : الهواء ، والماء ، والغذاء وعندى ان استنشاق الهواء الفاسد لا يقل ضررا عن شرب الماء العكر ، او تناول الطعام القذر !

نتيجة مسابقة الهلال

قصة المفاجأة السعيدة

نظمت «الهلال» مسابقة بين قرائها في «القصة القصيرة». واشترطت أن تكون موضوعة ، لا مترجمة ولا مقتبسة ، وألا يزيد حجمها على ثلاث صفحات . وأن تنطوي على مفاجأة سعيدة . .

وقد وصل إلينا ٢٥٦ قصة من مختلف البلاد العربية ، بينها ٧٤ قصة بأقلام طائفة من الجنس اللطيف ، قامت بفحصها لجنة مؤلفة من حضرات الأساتذة . الدكتور أمير بقطر ، الدكتور محمد عطيه ، السيدة أمينة السعيد ، الأستاذ صالح جودت . ففاز حضرات الآتية أسماؤهم بالجوائز الآتية .

الجائزة الأولى : ٢٠ جنيها مصريا — السيد « فهر بلزو » حلب — سوريا

الجائزة الثانية : ٢٠ جنيها مصريا — الآنسة بثينة علي — كلية التجارة — جامعة ابراهيم

الجائزة الثالثة : ١٠ جنيهات — الأستاذ عز الدين فراج — المدرس بجامعة القاهرة

حياة ثائر

بقلم الأديب عمر بلزو

هذا ظلم .. هذا طغيان !

وكيف لا يكون ظلما او طغيانا أن يقتحموا بيته ويأخذوه من احضان زوجه ليلقوه هنا بموطن الجريمة ومنبت الشرور ؟ !

اى قوانين تقرهم على هذا ؟! .. بل اى حق يسمح لهم بذلك ؟

اهذه هي الحرية التى نتمتعها ؟ . اهذا هو الاستقلال الذى نستحق به !!

ويح هذه الحرية المزعومة ! ..
وويح هذا الاستقلال الموهوم ! ..
وويح هذه الارض الطيبه المسكينة
وويح هذا الشعب الفقير البائس
وويح اولئك السادة الحكام اللئام ؛

كان عدنان ثائرا ملتهبا ، حانقا ناقما .. وكيف لا يثور ويلتهب ، ويحقد وينقم .. وقد مضى على « رميه » هنا فى هذه « الزنزانة » الصغيرة الضيقة الناعشر يوما دون أن يأبهوا له .. بل دون أن يشعروا بوجوده !

كيف لا يثور ويلتهب ، وقد قاسى الكثير من ظلم الطاغية وعلوانه !!

بلْ كيف لا يثور .. وهو يرى شعبه الفقير البائس المسكين كالمريض الجاهلْ ، المعدم الهالك ، يستبد به الطاغية الاثيم وأعوانه السفلة اللئام ؟

بل كيف لا يثور عدنان .. الاديب الحر الصادق .. الشاب الحريه المخلص .. وقد نذر قلبه لوطنه وروحه لامته ، ونفسه لبلاده !!

وتململ فى مكانه ، وعبر عن ثورته الحبيسة بزفرة قوية ملتهبة !

ترى ايأتى يوم يستطيع ان ينتقم لبه من الحوية اللئام ، اعداء البلاد واعوان الاستعمار ؟ ..

ان احلك ساعات الليل هى التى تسبق نور الفجر ، وبلاده لم تقاس الذل والهوان ، والظلم والطغيان ، والفساد والاستبداد ، اكثر مما هى عليه الآن

متى يشرق نور الفجر ؟ .. ومتى يأتى ذلك اليوم ؟

وفتح الباب الكبير ودخل السجان ومعه اربعة من الضباط ، اعوان الطاغية مدججين بالسلاح مستعدين ؟ . قام .. ليأخذوا عدنان .. المجرم الخائن ، والعدو الثائر !

وسار معهم بخطى ثابتة هادئة ، حتى وصلوا الى غرفة على بابها جنديان .. وهناك امروه بالوقوف فوقف ، ثم أمروه بالدخول فدخل

ورأى الغرفة تعج بأكثر من خمسين ضابطا وقد جلس ستة منهم خلف منصة صغيرة بينما وقف الآخرون متراصين .. !

واحد يسائل نفسه عما ارادوا باحضاره الى هذه الغرفة المزدحمة بمن فيها .. ثم وقعت عيناه ــ عفوا ــ على المنصة الصغيرة فرأى فوقها كومة من الصحف والمجلات التى يحرر فيها .. فعرف السبب وابتسم !.. ولكنه ــ رغم ذلك ــ سأل احدهم : « ماذا هناك ؟ » .

واجاب الضابط المسئول بكلمة واحدة : محاكمة !

محاكمة!!.. تريما هي جريمته؟ .. اليس من المضحك أن يقدم للمحاكمة وهو لا يعرف السبب الذى يحاكم من اجله !

وقد ضحك عدنان في هذه اللحظة ولكنه ضحك كالبكاء!! وهل هناك ما يدعو الى البكاء والالم كهذا الذى يحدث له في دولة الزعم ان لها دستورا ينفذ ، وحرية تقدس ؟!

وقطع عليه تفكيره في فترة الصمت الرهيبة التى سادت الغرفة صوت ضابط ضخم ــ ممتليء الجسم شحما والنفس غرورا ــ اذ قال وهو يحدجه بنظرة من نار :

ــ نظرا الى جرائمك المتعددة ، وخياناتك المتكررة ، ضد البلاد ورئيسها المعظم قررت السلطة محاكمتك !

وساد الهدوء الغرفة مرة ثانية ، وتساءل عدنان عن جرائمه المتعددة وخياناته المتكررة ، فرأى العيون تلتهم تلك الحزمة من الصحف والمجلات الملقاة على منصة الرئيس الحافلة بمقالات كتبها في حوادث مختلفة يعارض بها سياسة الرئيس المعظم المذكور ، ويفضح ــ بصراحة ــ مساوئه ومخازيه

وعاد الضابط الضخم يزعج الحاضرين بصوته الخشن الثقيل .

ــ باسم شعبنا الأبى ، وباسم حكومتنا الرشيدة ، وباسم رئيسنا المقدس ، نحكم على عدنان كامل ، المتهم بخيانة بلاده ، وبالسخرية من فخامة رئيسنا المبجل ، وبالدعوة الى الشغب والفتنة والتحريض على الثورة ، واعتناق المبادىء الهدامة حكمنا عليه حكما نهائيا بالاعدام !

وانتهت المهزلة التى سموها محاكمة .. وعاد عدنان الزنزانة من جديد !

ان الموت ــ والله ــ لافضل من حياة كهذه ذليلة قاسية !

انه سيستريح ــ آنذاك ــ من المتاعب ؟ ويتخلص من الشقاء !

حقا .. ما الذ الموت وما اسعده !

وعاد به خياله الى ماضيه الحافل بالجهاد والالم والشقاء !..

فتذكر انه فصل ذات مرة من دراسته لانه كان ــ على حد قولهم ــ ثائرا مشاغبا !.. وتذكر انه سرح من سلك المدرسين لانه كان ــ كما زعموا ــ جرثومة هدامة وعنصرا خطرا .. يجب بتره وللمصير لا تسرى فقط !

وتذكر انه اعتقل ــ حتى الآن ــ ستا وثلاثين مرة ، وفي كل مرة كان

السبب هو الشعب والثورة

أليس لهؤلاء القاتلين نهاية ؟ .. أما لهذا الليل من آخر ؟!... وهل قدر على هذه البلاد المسكينة أن تحيا في ظلام حالك الى الأبد !

وفتح الباب ، وعلم أن نهايته حانت.. وأن جلاديه جاءوا ليسوقوه الى المشنقة !.. فمشى معهم هادئا وهو يتمتم متضرعا الى الله أن يلهمه الشجاعة حتى النهاية!.. وأن يتقبل تضحيته وجهاده .. وينقذ البلاد من ذلك الطاغية الأثيم ، ويهيء لها من أمرها رشدا ..

ومضى بينهم ، رافع الرأس ثابت الخطى ، وقد أشرق وجهه بابتسامة ساخرة !.. ولكن شيئا واحدا أزعجه وآلمه ، ذلك أن الضباط الثمانية المحيطين به راحوا يضحكون بصوت مرتفع !

يا لهم من قساة لئام !..أيضحكهم هكذا إزهاق روح بريئة ؟ !

واخذه العجب ، اذ أخذوه الى الغرفة المشئومة نفسها ، تلك التي سمع فيها الحكم باعدامه ! وتساءل نفسه : ترى ماذا يريدون ؟

ورأى أشخاصا جددا .. غير أشخاص الأمس .. قاموا جميعا عندما دخل .. في وجوههم قوة وعزيمة .. وعلى شفاههم ابتسامة

واستعصى عليه الفهم ، فوقف ساكتا ساكتا ، يدير عينيه في وجوههم ، وكله حيرة وذهول !

محال أن يكون وقوفهم هذا اجلالا له وهو عدوهم الثائر!.. انهم الآن يبتسمون شماتة به ، وسرورا بالموت الذي يسوقونه اليه !

واشتدت حيرته .. وكاد يزايله سكونه ، حينما مد أحدهم يده اليه وأخذ يصافحه بحرارة !

ما هذه المعميات والألغاز ؟!... أكل ذلك لأنه سيموت ؟!

ولم يتمالك نفسه ازاء هذا كله فصاح بهم وكأنه ليث يزأر :

ـ اقتلوني .. اعدموني .. اقتلوني من وجوهكم البشعة

وابتسم الضابط الذي صافحه مرة أخرى ، وقال له :

ـ لا يا عدنان .. لقد زالت تلك الوجوه البشعة الكريهة الى الأبد.. وانمحى عهد الظلم والطغيان .. اذ انتهى ـ منذ ساعات ـ حكم الديكتاتور الأثيم !

ولم يصدق ما سمعته أذناه !.. ولم يدر أهو في يقظة أم في منام ؟!

وأخيرا.. وقفت جلية الأمر! لقد ثار على الأوضاع الفاسدة نفر من الضباط الأحرار ذوي النفوس الكريمة مهدوا ومن ورائهم الجيش كله لانقاذ الوطن المعذب من ذلك الرئيس الطاغية ، وأعوانه المفسدين وألقوا القبض عليه وعليهم أجمعين

وهم الآن يدعونه الى تسلم دفة الحكم ليسير بالبلاد نحو شاطىء الحرية والسلام !..

من كان يصدق أن يحدث هذا ؟!

لقد صدق هو نفسه أخيرا ...

ولكن بقي شيء واحد لا يزال ـ حتى الآن ـ يؤلمه ويشقيه ..

متى يقدر الخلاص مثله لبقية الملايين من العرب المساكين المضطهدين؟!

قاتلة قتلها الحب

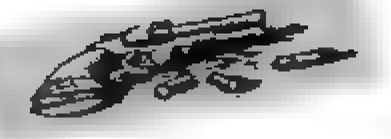

كان الظلام حالكا ، والبرد قارسا والرياح تعوى وتعصف .. وهناك فى حقل منعزل كان رجل فى الخامسة والثلاثين من عمره ، طويل القامة ، ممتلىء الجسم ، يضع على عينيه نظارة بلوراتين ملعبتين ، يسير فى خطوات مضطربة امام امرأة فى مقتبل الشباب رائعة الجمال ، ممشوقة القوام ، ترتدى ثوبا محكما يبرز فتنتها ، وفى يدها مسدس صغير !

واوقفت المرأة الرجل فجأة ، ثم امرته وهى تصوب نحوه فوهة مسدسها ، ان يخلع ملابسه !.. فلم يجد بدا من الاذعان لامرها ، ثم قالت له والشرر يتطاير من عينيها : « تستطيع الآن ان تجثو على الارض كى تصلى اذا شئت ، استعدادا للانتقال الى العالم الآخر » . وما كاد الرجل يجثو امامها وهو يرتجف حتى اطلقت عليه رصاصة من مسدسها ، هشمت رأسه وسقط جثة هامدة ، فتركته مجندلا هكذا وعادت من حيث اتت ، حاملة معها ملابسه التى ارغمته على خلعها قبل ان تقتله !

وقد لقيت هذه المرأة القاتلة جزاءها ، اذ قبض عليها وقدمت للمحاكمة امام محكمة الجنايات فى ولاية « لويزيانا » الامريكية حيث ارتكبت جريمتها ، فقضت المحكمة باعدامها ، وقالت فى حيثيات حكمها « ان هذه المرأة اخطر سفاحة عرفها تاريخ الاجرام الحديث ولذلك لم تجد المحكمة ما يدعو الى الرأفة بها فكانت اول امرأة حكمت باعدامها »!

وهكذا انتهت حياة تلك السفاحة الخطيرة ، ولعل اعجب ما فى حياتها ان سلسلة الجرائم والمغامرات التى اقتحمت عليها ، فى جرأة منقطعة النظير ، ودون اى تفكير فى تأنيب الضمير ، انما كانت لانها احبت !.

وهذه هى قصة حبها العجيب :

ولدت « انى بيارس » فى سنة ١٩١٦ ببلدة صغيرة فى ولاية لويزيانا ، وكان نموها السريع مثار دهشة ذويها وجيرانها ، وما بلغت الرابعة عشرة من عمرها حتى بدت غادة مكتملة الانوثة رائعة الجمال ، ثم فوجىء اهل البلدة بفرارها لغير سبب معروف ، وعرفوا بعد حين انها استقرت فى احدى المدن بولاية اخرى حيث احترفت الرقص ، واشتهرت باسم مستعار اختارته لنفسها ، وهو « تونى جو »

وسارت حياتها كما تسير حياة الراقصات . وادمنت تعاطى المخدرات الى ان تعرف اليها فى سنة ١٩٣٦ ، شاب يدعى « كلود . ا . هنرى » من محترفى الملاكمة السابقين . فاحبته واحبها ، واستطاع ان يجعلها تقلع

من المخدرات ، ثم اتفقا على الزواج برغم ان الشاب كان متهما بقتل أحد رجال البوليس ، وقد أفرج عنه بكفالة مالية !

وعاد الحبيبان الى ولاية « ويوبا » حيث تم عقد قرانهما ، وقد سجلت « تونى » اسمها الحقيقى فى وثيقة الزواج

ولم يكد ينتهى شهر العسل ، حتى قدم الزوج للمحاكمة ، فتقررت ادانته وحكم عليه بالسجن عشرين سنة !

وعجز الحراس عن منع الزوجة المتيمة ، وهى تندفع نحو زوجها عقب صدور ذلك الحكم ، قائلة له : « لا تقلق ! سأعيدك الى عما قريبا »

ومنذ تلك اللحظة ، اخذت « تونى جبر » تدبر لزوجها سبيل الفرار من سجنه ، ولم تكن تملك المال اللازم لاستئناف الحكم . وما ان عرفت السجن الذى سيق اليه حتى انتقلت الى اقرب مدينة منه واقامت بها ، وهناك تعرفت الى نزيل سابق بهذا السجن ، اكد لها امكان فرار زوجها الحبيب ، ولن هذا لا يكلفها سوى مبلغ من المال لاستئجار سيارة وبعض الاعوان المسلحين !

وفى ١٢ فبراير سنة ١٩٤٠ ، تلقى بوليس مدينة « بومونت » من صاحب متجر الاسلحة بها ، ان لصوصا اقتحموا متجره وسرقوا ستة عشر مسدسا وكمية كبيرة من الذخيرة . وكانت « تونى » قد بدأت تنفيذ خطتها !

وفى الصباح التالى ، اقنعا السجين السابق بانه لعتزم سرقة مصرف صغير فى مكان منعزل ، وطلب منها ان تساعده فى مهمته للحصول على المال اللازم لتنفيذ مهمتها . فلم يسعها الا القبول . واتفقا على اللقاء ليلا فى موضع معين على طريق تدامى فى ضواحى المدينة حيث اوقفا سيارة قادمة ، واقنعا سائقها بحملهما معه فيها اشفاقا عليهما من المطر والبرد والظلام ، وفيما هو فى طريقه بسيارته الى محطة السكة الحديدية التى زعما انهما يقصدانها اخرجت « تونى » مسدسها وصوبته نحوه ، بينما قام زميلها باحتلال مكانه لعجلة القيادة تحت ذلك التهديد ، ثم قاد السيارة الى حقل بعيد منعزل ، وهناك اوقفاها ، وانزل السائق المسكين منها ، فساقته « تونى » امامها الى داخل الحقل ، وامرته بان يخلع ملابسه كلها ، وان يركع ليصلى ، ثم قتلته برصاصة من مسدسها ، وانطلقت مع زميلها بالسيارة بعد ان استوليا على ملابس ضحيتهما وما معها !

ويبدو ان ذلك الزميل اوجس خيفة من جراة « تونى » واقدامها على القتل بمثل تلك السهولة ، من عدم استطاعته اتمام المهمة التى اتفقا عليها ، واقترح تأجيل تنفيذها الى ليلة اخرى ريثما تهدأ اعصابه وايا ما كان موقفه ، فقد كانت النتيجة ان فاجأته « تونى » بضربة قوية على ام راسه بقبضة مسدسها فافقدته وعيه ، ثم تركته فى السيارة وانطلقت وحدها عبر الحقول حتى

بلغت اقرب محطة للسكك الحديدية وعادت بالقطار الى المدينة التي كانت تقيم بها وكأن لم يحدث شيء !

لم تمض على ذلك ٣ ايام ، حتى قبض على « تونى » وصاحبها السجين السابق ، وقدما للمحاكمة فبذلت كل ما في وسعها لالقاء التهمة عليه ، والتنصل من جريمة قتل سائق السيارة ، ولكن المحكمة بعد مناقشات استمرت نحو سبع ساعات ـ حكمت باعدامها

وقبل ان يحين موعد تنفيذ الحكم طلبت « تونى » احد المحققين ، واعترفت له بأن زميلها واسمه « ليون بركس » بريء من جريمة قتل السائق ولم يكن يعرف انها ستقتله ، وعلى هذا تقرر تأجيل اعدامه ، بينما حدد موعد لتنفيذ اعدامها بعد ايام !

لم يمض على ذلك يومان حتى كان « كلود .ا. هنرى » زوجها السجين قد تمكن من الفرار من سجنه ، وسرعان ما علم بما آل اليه امرها ، فجن جنونها ، واعتزم العمل على انقاذها بأى ثمن من ذلك المصير الاليم الرهيب !

وكان اول ما فعله للوصول الى هذا الهدف ، ان استولى على احدى السيارات التى صادفها في طريقه ، بعد ان اهوى على رأس سائقها بقطعة من الحديد ، ثم توجه بالسيارة الى المدينة التى يقع فيها السجن الذى تنتظر فيه تنفيذ الحكم ، ونزل بفندق هناك متنكرا باسم مستعار !

على ان البوليس سرعان ما اهتدى الى مخبئه ، فقبض عليه واعيد الى السجن ، واعترف في التحقيق بأنه هرب ليحاول انقاذ حياة زوجته لانها بذلت اقصى ما يمكن ان تبذله امرأة في سبيل انقاذه من السجن !

وسمعت « تونى » بما كان من امر زوجها ، فطلبت الى المسئولين ان يسمحوا لها قبل تنفيذ اعدامها بأن تتصل به ولو بواسطة التليفون ولم يجد هؤلاء ما يمنع تحقيق رغبتها الاخيرة هذه فسمحوا لها في اليوم السابق لتنفيذ الحكم بالتحدث معه تليفونيا

وقد قالت له في حديثها التليفوني معه : « انني اشعر بأشد الاسف والاسى يا حبيبى ، لان محاولتك الفرار من اجلى سببت لك متاعب جديدة ، ولكنى في الوقت نفسه سعيدة كل السعادة بمحاولتك ان تصنع شيئا من اجلى ، وان كانت هذه المحاولة لم تكلل بالنجاح ، وكل ما ارجوه منك الآن ان تتذرع بالصبر الجميل الى ان يفرج عنك وتتمتع بحياة طليقة سعيدة لا تنسى فيها ذكرى زوجتك الوفية .. والى اللقاء في العالم الآخر ايها الحبيب ! »

وبقيت « تونى » محتفظة برباطة جأشها وشجاعتها حتى ساعة التنفيذ وكانت تبتسم لمصورى الصحف وهى تهبط السلم في طريقها الى غرفة الاعدام ، وبعد ان جلست على الكرسى الكهربائى بدقيقتين ، اعلن طبيب السجن انها فارقت الحياة !

ولم يفد اعترافها الاخير ببراءة شريكها في قتل السائق ، فاعدم ايضا في مارس سنة ١٩٤٣

[عن مجلة « كورونت »]

« كتاب الهلال » يقدم
أهل الكهف
تأليف توفيق الحكيم
قصة الفتية الذين آمنوا
بربهم ، فزادهم هدى ،
وجعلهم من عجائب آياته ،
إذ أووا إلى الكهف فرارا
بدينهم من طغيان ملكهم
أوكتبى الجبار ، فلبثوا فيه
ثلثمائة من أكثر من الالفين
سنة ، ثم استيقظوا فإذا هم
في زمان آخر ودولة أخرى
يصدر في ٥ أغسطس
كتاب الهلال
أهل الكهف
توفيق الحكيم
« روايات الهلال » تقدم
العاشقة العذراء ليزا
تأليف إيفان تورجنيف
قصة الحب الأول الصادق
الذى تعرض طريقه
العقبات ، وتحف به الآلام
والتضحيات ، فلا تزيده الا
قوة وثباتا ، بينما تتقلب
من حوله قلوب شتى ،
لا تنشد الا المتعة الزائلة ،
ولا تعرف من الحب الا حب
الذات
يصدر في ١٥ أغسطس
روايات الهلال

في قصة السينما
ذكريات لا تنسى

بقلم الأستاذ السيد حسن جمعة

من الجحور الى القصور !

نحن الآن في فبراير ١٩١١ ، وأفلام السينما تعرض في أماكن أشبه بالجحور وهذه الأفلام نفسها من رداءة التصوير بحيث تتأذى العين من اهتزاز صورها بصفة دائمة ، ولكننا لا نستبعد ذلك اليوم الذي يشاهد فيه مواطنونا أفلام السينما في دور أشبه بالقصور تقوم شامخة في حي « برودواي » الشهير .. ويومئذ تختفي هذه الجحور التي تتردد عليها جمهور السينما لمشاهدة أفلامها في مقابل « النكلة اليتيمة » المحددة أجرا للدخول ، ولكن هذا الأجر سوف يرتفع حينئذ الى « دولار » كامل ، يدفعه المتفرج من طيب خاطر ، لأنه سيجلس على مقعد وثير ، في دار فخمة يشاهد أفلاما بلغت أكبر حد من الأجادة في تصويرها واخراجها وتمثيلها

رسائل احتجاج

وما صدر أول عدد من مجلة « موشن بكتشر » حتى انهالت على محررها رسائل الاحتجاج من رؤساء الجمعيات الدينية التي كانت ترى في السينما خطرا على الآداب

هذه ذكريات سجلتها أول مجلة سينمائية في العالم ، هي مجلة (الصور المتحركة) « موشن بكتشر » الامريكية التي ظهرت سنة ١٩١١ وكان مؤسسها « ستوارت بلاكتون » من أوائل من اشتغلوا بالانتاج السينمائي. وفيما يلي مشاهد سينمائية سجلها في العدد الأول من مجلته

العامة ، وبلغت هذه الاحتجاجات ذروتها ، حين نشر المحرر مقالا اقترح فيه استخدام السينما في الكنائس لعرض أفلام تؤخذ حوادثها من القصص الديني ، وأكد أن هذه الأفلام أقوى أثرا في نفوس المشاهدين من كل ما يلقيه الوعاظ

أصدقاء السينما

وكما كان للسينما أعداؤها عند أول نشوئها ، كان لها أيضا أصدقاء ومحبون . وقد توالت رسائلهم الى المجلة أيضا ، متضمنة ما يشعرون به من ايمان وثقة بمستقبل هذا الفن الناشيء !

ولكن المجلة لا تكتفي بأن للسينما محبين وأصدقاء يناصرونها .. فهي تريد لهذه الصناعة الجديدة أن ترتقي .. ولهذا كتب المحرر في عدد من أعدادها الأولى يقول : « فليضع المشتغلون بهذه الصناعة نصب

ميونهم أن جمهور السينما ينمو يوما بعد يوم ، وأن طبقات جديدة من الناس تنضم الى زمرة محبيها ، وهذه الطبقات الجديدة لن تروق لها الافلام التي تقوم حوادثها على القتل والطلاق والجريمة . اننا امام وعي سينمائي جديد ، فلابد لنا من مجاراته في كل ما تقدم للناس من افلام ! »

ومن هنا نرى ان ما كانت تدعو اليه اول مجلة سينمائية في العالم ، هو نفس ما تدعو اليه الآن الصحافة السينمائية المصرية الآن !

والرقابة ايضا

ومن بين المسائل التي عالجتها مجلة « موشن بكتشر » في اعدادها الاولى ، مسألة الرقابة على الافلام ، لقد طالبت بتشديد الرقابة على صناعة السينما بسبب الحملات المتوالية عليها من المحافظين المتزمتين فكتبت في ذلك تقول : « يجب ان تكون الرقابة دونا السينمائيين لاعاملا من عوامل التعبير ! .. واذا كان لابد من قيام رقابة على هذه الصناعة فليكن القائمون بها من المشتغلين بالسينما انفسهم .. لمن يتهم من هم اشد حرصا على الآداب العامة من غيرهم ، وفهمهم لصناعتهم يساعد على قيام رقابة نزيهة حازمة

اول مسابقة الشهرة

ومن الابتكارات الاولى لمجلة « موشن بكتشر » ، قيامها بتنظيم اول مسابقة للشهرة . فقد طرحت المجلة على قرائها استفتاء طلبت اليهم فيه ان يذكروا لها اسماء النجوم العشرة الاوائل الذين يرشحونهم للمجدوالشهرة . وتلقت آلاف الردود من المشتركين في هذه المسابقة الاولى من نوعها ، وكان بين الفائزين والفائزات في هذه المسابقة ممثلون ناشئون وممثلات ناشئات اصبحوا فيما بعد من اعلام هذا الفن .. وواحد فقط منهم لا يزال يلمع على الشاشة واصبح تاريخه هو تاريخ السينما نفسها . وذلكهو شارلي شابلن الذى فاز في تلك المسابقة بلقب « الكوميدي الاول »

وواحدة ايضا لا يزال لاسمها رنينه وشهرته ، وان كانت قد اعتزلت الظهور على الشاشة منذ سنوات ، مكتفية بالعمل في ميدان الانتاج السينمائي ، وتلك هي «ماري بيكفورد» التي لم يحب جمهور السينما ممثلة كما احبها حتى انها اصبحت تعرف باسم « معشوقة العالم » .. وقد فازت في تلك المسابقة ، بلقب « البطلة الاولى »

اما الثمانية الباقون الذين فازوا في هذه المسابقة ، فقد توارى بعضهم عن الانظار منذ زمن بعيد ، ومات بعضهم الآخر بعد ان انتهى في اخرياتايامه علىالقيام بادوار ثانوية ومن هؤلاء نذكر « انطونيو مورينو » و « نورما تالمدج » ، و « مابل نورماند » و « انيتا ستوارت »

فن منبوذ

ونعودالى ذلك الوقت الذيسبق تألق اصحاب تلك الاسماء القديمة .. لقد كانت السينما في ذلكالوقت فنا منبوذا لا يجرؤ احد من الممثلين على اعلان اسمه بين العاملين فيه

ولهذا كانت الافلام تظهر دون ان تحمل اسماء ابطالها كما هى الحال الآن !.. ولعل « ماري بيكفورد » اول ممثلة قبلت اظهار اسمها على الشاشة في اول فيلم ظهرت فيه . وكانت « ماري » يومئذ فتاة صغيرة تشق طريقها في المسرح بصعوبة .. فلما يئست من النجاح فيه ، اتجهت الى السينما متجاهلة تلك النظرة المزرية التي كانممثلو المسرح ينظرون بها الى المشتغلين بالسينما ، وقبلت

« انيتا ستوارت » من اشهر ممثلات السينما في عهدها

ان يعلن منها كنطلة سينمائية !

ومن ذلك الوقت بدأت جماهير السينما تتعلق بالاسماء ، وتطالب بمعرفة اسم كل ممثل تعجب به

اول مكتشف للمواهب

ويقول « ستوارت بلاكتون » مؤسس مجلة « موشن بكتشر » ، وكان في الوقت نفسه مدير شركة سينمائية عرفت باسم شركة « فيتا جراف » .. يقول في ذكرياته من ايام السينما الاولى في امريكا :

ــ كان لدينا ممثل يدعى « بيل شو » تخصص في أدوار رؤساء البوليس في افلام رعاة البقر . وكان هذا الممثل يؤدي في أوقات فراغه من التمثيل أعمالا اخرى كالنقش والكنس وحمل الامتعة من مكان الى آخر . وبين حين وآخر كنت ابعث به الى « برودواي » بنيويورك للبحث عن أصحاب المواهب بين المشتغلين بالمسرح ، وكان يجد صعوبة كبيرة في مهمته ، لان اصحاب المسارح كانوا يهددون ممثليهم بطرد اذا اشتغلوا بالسينما .. !

التصوير بضوء الشمس

ويتابع « ستوارت بلاكتون » ذكرياته فيقول :

« كان استوديو فيتاجراف اكبر الاستوديوهات السينمائية في هوليوود ، وكان يضم ثلاثة « بلاتوهات » لتصوير المناظر السينمائية فيها ، وهذه البلاتوهات مغطاة بالزجاج ، حتى ينفذ ضوء الشمس منها الى الداخل .. اذ كان اعتمادنا وقتذاك في التصوير على الشمس . وما اكثر ما كان عملنا يتعطل لهذا السبب اذا حدث أن احتجبت الشمس وراء السحب .. وهكذا كنا دائما تحت رحمة الشمس حتى الهمنا الله لنا أن نتخلص من « دلالها » ، فبدأنا نستعمل الاضواء الكهربائية في التصوير .. وكان ذلك في عام ١٩١٥

« وقد مضى نحو اربعين عاما بعد هذه الخطوة الجريئة التي خطوناها في صناعتنا .. وفي خلال هذه المدة حدثت تطورات عظيمة في صناعة السينما انتقلت بها من الصمت الى النطق ، ومن اللونين الابيض والاسود الى الالوان الطبيعية ، ومن الصورة المسطحة الى الصورة المجسمة ، ومن الشاشة الصغيرة الى الشاشة البانورامية وشاشة السينما سكوب

معشوقة العالم « ماري بيكفورد » في احد ادوارها التاريخية

توسكا

تقديم وتلخيص : دكتور محمود أحمد الحفنى

تعد موسيقى بوتشينى أكثر الموسيقات ذيوعاً بين شعوب العالم المتمدين فى الوقت الحاضر بصفة عامة . فهى تمتاز بكثرة الألوان فى ألحانها وسهولتها سهولة مكنت حبيبتها إلى الجماهير .. كما اشتهرت هذه الموسيقى بتصوير العواطف وصدق التعبير عنها تعبيراً واضحاً ، سيما عاطفة الحب التى فاضت بها موسيقاه

ولد جياكومو بوتشينى فى مدينة لوكا بإيطاليا فى ٢٢ من ديسمبر سنة ١٨٥٨ منحدراً من أسرة

فى مدينة روما الخالدة ذات المناظر السحرية والمعابد المعددة التى سجلت عليها عبقريات الفنانين آثاراً لا تمحى تقوم كنيسة القديس أندريا ديللا فالى . وفى هذا المنظر تطالعنا صورة قد بدت فوق منصتها غير كاملة التصوير ، ولا نكاد نشهد الكنيسة حتى يبدو أمامنا رجل يسرع الخطى وهو يلهث فى لهفة واضطراب ، مبهور الأنفاس ، وقد تسلل إلى المذبح مرتاداً حذراً ، كأنما يخشى أن يكون به أحد . فما كاد نظره يقع على منصة الفنان حتى اختبأ فى جوارها ، وراح يفكر بضع لحظات ، ثم أبرز من خلال ملابسه مفتاحاً وتسرب إلى الباب الصغير للمعبد الجانبى ففتحه واستقر داخله . ولم يكن هذا المتلصص الهارب سوى « سيزار أنجيلوتى » السجين السياسى الذى فر من حصن القديس أنجيلو فى روما ، وقد استطاع أن يحصل بفضل شقيقته « الماركيزة أتافانتى » على هذا المفتاح

لم يكد يوارى « أنجيلوتى » عن النظارة حتى ظهر « كافارادوسى » المصور وأخذ يستكمل بريشته معالم تلك الصورة ويتم محاسنها . إنها لفتاة يزعم أنها تدعى « مجدالين » وبينما الفنان مستغرق فى دقائق التصوير سابح فى عالمه الفنى ، تقدم خادم الكنيسة العجوز بسلة من الفاكهة وألقى بها قريباً من المصور ليكون له منها غذاء رطب . بيد أن ذلك الخادم ما كادت نظراته تواجه

اشتهر أجيالها بالنبوغ فى هذا الفن وقيامها بخدمة الموسيقى فى إيطاليا مدى قرن ونصف قرن. تلقى أول غذائه الفنى من دروس الموسيقى بين أسرته وفى مدينته الصغيرة . ثم ما لبث أن تجلت قدرته فى التأليف للموسيقى . وعين عازفاً بالأرغن فى إحدى الكنائس ولما يجاوز السابعة عشرة من عمره . حتى إذا سطع نجمه وذاع صيت موهبته أرسلته ملكة إيطاليا فى بعثة إلى المعهد الموسيقى بميلانو لإتمام دراساته على أساتذة ذلك المعهد الذين يعدون من أكبر أعلام الموسيقى فى إيطاليا. وتوالى نجاحه فى مؤلفاته الموسيقية حتى قال عنه فردى بحق إنه يعتبر أكبر عبقرية فى إيطاليا فى تلحين مسرحيات الدرام فى عصره

ولقد قام بوتشينى بتلحين أوبرا توسكا على أثر ذلك النجاح العظيم الذى أحرزه فى سابقتيها مانون ليسكو والبوهيمية ، وذلك بعد أن أعد أشعارها وأغانيها كل من الشاعرين جوسيبى جياكوزا ولويجى إليكا . أما هذه الأوبرا فهى مقتبسة من مسرحية فيكتوريان ساردو

وكان أول عرض لتوسكا بمسرح الأوبرا بروما فى ١٤ من يناير سنة ١٩٠٠ . والمفروض أن حوادثها قد وقعت فى نفس هذه المدينة قبل ذلك بقرن من الزمن تقريباً . وعرضت بعد ذلك بشهر واحد فى بونيس إيرس بأمريكا ثم فى لندن . وتوالى عرضها فى كبريات دور الأوبرا العالمية مما سجل لها روعة الفن ولصاحبها سمات التفرد

تلك الصورة التى أوشكت ملامحها تشف عن صاحبتها بين الألوان التى ما برح المصور يحاول تنسيقها حتى تراجع كمن به مس من الفزع لهول ما رأى ، فإن صورة «مجدالين» هذه تتحدث فى كل معانيها وملامحها عن اللادى «أتافانتى» التى كثيرا ما يراها تتردد على الكنيسة للصلاة . ولم يجد بدا من مكاشفة الفنان بما جال فى خاطره . وقد صدق ظنه فقد أخبره المصور أن المنظر المؤثر لتلك السيدة ذات العينين الزرقاوين والشعر الذهبى وهى تؤدى صلواتها فى معبد أسرتها كان مصدر إيحاء وإلهام له فى القيام بتصويرها

ثم دار بينهما حديث هامس خافت انصرف على أثره الخادم واستأنف «كافارادوسى» عمله الفنى فى استكمال الصورة . ولم يلبث إلا يسيرا حتى فاجأته حركة من خلفه استرعت انتباهه ، فالتفت وإذا هو صديقه «أنجيلوتى» قادم من معبد «أتافانتى» وقد كان حتى الآن يحسبه سجينا سياسيا ، فملك عليه السرور مجامع قلبه ، وحيا صديقه فى حرارة بالغة ثم أمنه على نفسه ، بعد أن علم أنه هارب من سجنه ، ووعده المساعدة على النجاة

وكان المصور خاف على صاحبه السوء والنكبة المفاجئة فأسرع إلى إغلاق الباب الخارجى لتتاح له فرصة الانفراد بصديقه للتفكر معا فى وسيلة

كافارادوسي المصور سيكمل معالم الصورة ويتم معالمها

النجاة ، وأثناء ذلك سمعا صوت سيدة تنادي خلف الابواب المغلقة ، فادرك « كافارادوسي » أن صاحبة الصوت يجب أن تكون خطيبته « فلوريا توسكا » تلك الفتاة الحسناء التي مهرت في الغناء وبرعت في التمثيل وقد تعودت زيارته يوميا في هذا المكان . وكاد يسقط في يده لما انتابه من الذعر والخوف من انكشاف أمر صاحبه فانه لا يعلم عما قد يكون من رأيها في صديقه اذا هي عرفت جلية أمره . وقبل أن يفتح المصور الباب لخطيبته اشار الى السجين الهارب بالعودة الى الاختفاء مرة أخرى في المعبد الجانبي وزوده بسلة الفاكهة

ولعلم ما استغرقه هذا الاجراء من وقت ، دخلت توسكا غاضبة محنقة تحتج على خطيبها وتلومه على تركه اياها منتظرة بالباب كل هذا الزمن الطويل . وامتزج غضبها بالغيرة التي لاتخلو منها فتاة ولاسيما اذا كانت من أهل جنوب أوربا . وداخلها الشك في أن يكون مصدر هذا التأخير انشغاله بأمر فتاة أخرى تحتل مكانتها من قلبه . ولعل أمر هذه الغيرة كان بالغا مبلغه من الشدة والعنف بما قد يتتمى الى شر لا اساس له ، سيما وقد عرفت في الصورة التي لم تنته بعد أنها تنطق بملامح « اتاماتي » تلك الفتاة الجميلة الشقراء ، لولا أن أمكنه استطاع أن يعيد ثقتها به واطمئنانها اليه بما أكده لها من حب لا يترك متسعا لغيرها في نفسه . معاودتها السكينة والرضى والابتسام . وانصرفت بعد أن ضربا موعدا للقاء بعد انتهائها من الغناء في المهرجان الذي ستقيمه الملكة الليلة في قصرها

ولما خلا الجو ثانية للمصور ، بادر « انجيلوتي » الى ترك مخبئه بعد أن قضى ذلك الوقت في استيعاب سلة الفاكهة أكلا وقضما ، ليعوض لنفسه بحلاوتها مرارة ذلك الحرمان الطويل . وعاد الفنان الى التفكير في خير الطرق وانجع الوسائل لنجاة صديقه وتجنيبه العودة الى عذاب الاعتقال كرة أخرى وانتهى قراره أن يشرح لانجيلوتي أن

هذا المعبد يؤدي في نهايته الى حديقة يتصل بأطرافها طريق موصل الى منزله الخلوي الذي يختفي بين الأشجار، بئرا جافة بها سرداب يعد منفذا سريا لبعض المغاور والكهوف . وبين له أن تلك البئر ملجأ حصين يمكن أن يثق فيه لنفسه بالطمأنينة والأمن

انس « انجيلوتي » الى هذا التدبير وظن أن قد واتاه الحظ وتمت له النجاة . وأراد أن يمضي الى تنفيذ الخطة حاملا معه ملابس التنكر التي فر بها من السجن وكانت ملابس امرأة زودته بها شقيقته « اتافانتي » ولكن سرعان ما قطع عليه طريقه دوى طلقة انبعثت من مركز حراسة الحصن تنبيها الى أن هذا الفرار قد عرف وأن الاجراءات ماضية للقبض على الهارب

في تلك اللحظة كاشف «انجيلوتي» صديقه الفنان بأن الذي تسبب له في هذه المحنة انما هو « سكاربيا » مدير البوليس خصمه الألد الذي لا يزال يخشى منه كل شر على نفسه ، وامام مابدا عليه من الخشية والجزع لما يتوقعه اراد الفنان أن يتم مروءته فاعتزم ان يصحبه الى المكان الذي يعتقد أن فيه امانه واطمئنانه

لم يكد الصديقان يختفيان في طريقهما الى تأمين ذلك السجين الفار حتى تلاحقت الجماهير متدفقة خلف خادم الكنيسة مبتهجة بما سمعته من أخبار انتصار جيوشهم على الطاغية نابليون . ودبت في وسطهم موجة من الغبطة الممزوجة بالحمد والشكر فلجلجم على الرغا

قدوم « سكاربيا » ورجاله يحتلون الكنيسة

انقطع ماكان بين القوم من جلبة وتقافز واستحال الموقف الى صمت مخيف ، لما كان ينهم الا من يشعر نحو سكاربيا العنيف بالرهبة والخوف الممزوجين بالمقت والكراهية . ولعلم سكاربيا في قسوة ان احد السجناء السياسيين قد تسلل من الحصن هاربا وانه مختبيء في هذه الكنيسة واذ رأى معبد « اتافانتي » مفتوحا فقد أمر بتفتيشه ، وبادر هو بدخوله فعثر فيه على مروحة قد رسم عليها ذراع الاذى « اتافانتي » — وقد سقطت هذه المروحة من حزمة الملابس التي كانت قد احضرتها لانجيلوتي شقيقته ليتحلى بها وسيلة للتخفي — فلفتت هذه المروحة نظر سكاربيا وراح يقلب الامر على وجوه كثيرة من الظنون والتخمينات .

وما زال يبحث في جوانب المعبد حتى بلغ لوحة التصوير ووجدها حديثة عهد بالالوان . وظل يستجوب خادم الكنيسة حتى علم أن القائم بالتصوير هو « كافارادوسي » خطيب توسكا المغنية المشهورة

كافارادوسي اذاً خصمه ومنافسه الخطير . ذلك لأن سكاربيا يحب توسكا حبا يملك عليه شغاف قلبه وقد اعتزم أن تكون توسكا له وحده من دون الناس مهما كلفه الامر ومهما كان الثمن ، وهو مع ذلك لا يجهل ان توسكا تكرهه وتأباه . ولكنه الآن قد وجد فرصة لعل فيها منفذا الى قلب تلك التي يحبها ولا يحد

السبيل الى رضاها . فهنا صورة قد قام خطيبها فيها بتصوير فتاة يمكن أن يثير بها غيرة توسكا ويحملها على الانصراف من هذا الفنان ومن حبها له واقترانها به

وقد حانت الفرصة لانجاز هذه المكيدة الغادرة اذ اقبلت الفتاة الى الكنيسة لتستدعى خطيبها الحبيب ، لقد اقبلت والشوق يغمر قلبها طلبها الى رؤياه ، على انها ارتطمت بصخرتين عاتيتين . اما اولاهما لتغيب خطيبها الفنان على غير عادته واما الثانية فرؤية من لا تحب ان تراه وهو سكاربيا . ولكنه استطاع أن يكون لنا موضوع فى هذه الساعة الا تقدم اليها المروحة وزعم لها انه قد عثر بها فى هذا المكان . ولم يلبث ان نبهها الى منظر ذراع «الافاتى» وراح يقتاد عينيها الى الصورة التى لم تتم بعد وهى صورة « مجدالين » المزعومة ، وكأنه يحفز بذلك غيرتها ويزعزع ثقتها فى حبيبها . وقد كان له ما اراد . فما ان رأت توسكا ذلك حتى كانت تصيح ، واستشاطت غضبا وانهملت عيناها بالدموع الغزيرة ، وقد اخذت الغيرة منها كل مأخذ .

ولم تجد بدا من ترك الكنيسة ، فهى وان حقدت على خطيبها فانها تكره سكاربيا اشد الكراهية ولاتطيب لها قيه . وبرغم ما لحظها به سكاربيا من صنوف العطف فانها ما كادت تنصرف حتى ارسل خلفها ثلاثة من جواسيسه امرهم باقتفاء اثرها فى أى مكان نزلت به لعلها الى المكان المشدود على السجين الهارب الذى يعد من أعز أصدقاء حبيبها المصور

يظهر سكاربيا فى مساء ذلك اليوم يتناول طعام العشاء بمفرده فى القصر ولشدة ما به من لوعة وجنون طائش بغرام توسكا فانه لم يكد ينتهى من تناول وجبته حتى بعث خادمه برسالة اليها يستدعيها الى غرفته بعد انتهائها من الغناء فى جناح الملكة فى نفس القصر . وحدث فى تلك الآونة أن عاد اليه أحد جواسيسه الثلاثة واخبره انه وزميليه قد تتبعوا خطوات توسكا ، وانهم ساروا خلفها حتى رأوها قد دخلت منزلا خلويا بأطراف المدينة . وما لبثت ان غادرته مسرعة . فلم يجدوا بدا من تفتيش هذا المنزل الا انهم لم يعثروا به على أحد سوى المصور فالقوا القبض عليه ، وهو ينكر كل صلة له بانجيلوتى الهارب ، وهوهنا رهن التحقيق . واذ ذاك استدعاه سكاربيا . وعند استجوابه عن معلوماته حول السجين الهارب لم يكن جوابه غير الانكار والاصرار على الاسئلة بينهما التقتما جعل سكاربيا يهدد ويصخب ويتوعد وينذر . ولاحت فى ذلك المنظر توسكا وكان قدومها استجابة لاستدعاء مدير الشرطة اياها بعد انتهاء مهرجان الملكة

فلما تبين لها الخطر المحدق بحبيبها وقد رأته سجينا ، لم تتمالك نفسها من الارتماء بين ذراعيه والتعلق به وقد انتهز الفنان من هذه الفرصة لأن أسر اليها الا تذكر شيئا عن أمر المنزل الخلوى وما يحيط به فوعدته بالكتمان . ولم يلبثهما اولئك القساة طويلا فاختطفوه من بين ذراعيها واحتملوه الى غرفة التعذيب ليرغموا

من بين شفتيه اعترافا بمخبأ السجين

راعت توسكا هذه الوحشية الثابية وامتقع لونها وضاق في عينيها الفضاء حين أختفوا بخطيبها وحبة قلبها قسرا من ناظريها .. وهاهي ذي تسمع أنينه يتخطى الجدران ولكنها تتمسك بأهداب الشجاعة بادىء الامر عند استجواب سكاربيا لها فتنكر اية معرفة لها بالسجين الهارب ولكن ما أقسى أن يسمع المحب أنين الحبيب وهو بين آلات التعذيب ، لا يملك له حيلة ولا حولا !! فقد ركعت توسكا أمام سكاربيا عله يرحمها فيعفى حبيبها من هذا التعذيب ولكنه لم يستمع الى توسلاتها فاندفعت الى باب غرفة التعذيب تلتمس من خطيبها احلالها من وعدها ولكنه في شجاعة الفنان ومروءة الصديق طالبها بالصمت والتزام الكتمان . وهنا امر سكاربيا رجاله بمضاعفة التعذيب فزاد أنين الفنان

وأخيرا أمام هذه القسوة العاتية لم تعد توسكا بدا من الاقرار بما تعلم والاذاعة ما كانت تكتم ، مكشفت من سر البئر في ذلك المنزل الخلوى واقامة السجين فيه . ولم ير سكاربيا بعد ذلك مبررا لاستمرار التعذيب فأمر بوقفه في الحال وأسرع بارسال الجنود للقبض على السجين الهارب . وما أن وصل كافارادوسى من غرفة التعذيب وعلم جلية الامر واكتشاف السر حتى أخذ ينحى باللائمة على توسكا ويوسعها تعنيفا وتأنيبا على اذاعة سر تعاهدا عليه ووعدت بكتمانه

وقدم في تلك الساعة من ابلغ ان خبر هزيمة جيوش نابليون لا سند له من الصحة ، فتميز سكاربيا غيظا وامتلأ قلبه هما وغما . على أنه وجد الفرصة مواتية للانتقام من غريمه كافارادوسى والتخلص من منافسته فأعلن اليه أنه قد تقرر اعدامه رميا بالرصاص في شروق شمس الغد عقوبة له على اخفاء السجين الهارب . وأحاط به الجند واقتادوه الى معقل القديس انجلو حيث ينفذ فيه حكم الاعدام . واسقط في يد توسكا واظلمت الدنيا في عينيها ولم تجد الا سبيلا واحدة لخلاص حبيبها هى استعطاف ذلك القلب الحجرى . فتقدمت الى سكاربيا مسترحمة باكية بالسة تتضرع اليه بدموعها وتستشفع بأنينها ، تقدم اليه جواهرها وحليها ولكنه سخر برشوتها وبمحبتها معا على انه كان يزداد بها تعلقا وهياما وبجمالها ايمانا كلما امعنت في استرحامه واطالت في تضرعها بين يديه . وفي النهاية اتاحت له هذه الكارثة فرصة جديدة للمساومة ، فوعدها ان يستبقى حياة حبيبها اذا هى قبلت ان تعيش خليلة له

واراد ان يختبرها فيما عرض عليها فبسط لها ذراعيه ليمتحن رغبتها فيه او صدودها عنه ، وسرعان ما نفرت منه نفور الغزال من صائده ثم تقدم على الفور احد رسله من الجنود يخبره ان انجيلوتى السجين الهارب عثر عليه في بئر بحديقة المنزل ولم يرض ان يستسلم للقبض عليه فتعجل الموت بابتلاع سم كان في

حوزته . وسأل رئيسه من مصير السجين الجديد وعما اذا كان ينفذ فيه عقوبة الاعدام . فحول سكاربيا نظره الى توسكا وكأنما يقول لها ان مصيره في يديك وان حياته وموته رهن بكلمة تخرج من بين شفتيك !!

⊂⊃

احست توسكا بهزيمتها وخذلانها فارسلت من صدرها زفرة كادت تهد لها كيانها ، واذ وطدت العزم على انقاذ حياة حبيبها مهما كلفها الامر ومهما كانت التضحية ، فقد اومأت لغريمها بالرضى والموافقة بشرطين، يمنح الفنان حريته في الحال . ولكن سكاربيا الماكر افهمها ان رجاءها هذا عسير التحقيق اذ انه مادام قد حكم على صاحبها بالاعدام وجب ان تأخذ العقوبة مظهر التنفيذ ، ولكنه ارضاء لتوسكا سيرتب الامر مع رجاله ليكون التنفيذ مزيفا ، فيستعمل الجنود عندما يحين وقت اعدامه في الساعة الرابعة من صباح الغد خرطوشا فارغا ، وينبغي ان يسقط كافارادوسي حينما تطلق عليه النار وان يتظاهر بالموت . ولها ان تأخذه بعد ذلك فتنجو به . وسيمنحها الحق في ان تشهد هذا المظهر المزيف . ولكن سكاربيا المخادع كان في اثناء ذلك يأمر لمرءوسيه باشارات وعلامات لا تراها توسكا مدلولها ان يكون الموت رميا بالرصاص الحقيقي . ولم يكن معقولا ان يترك سكاربيا الظالم تلك الفرصة تفلت من يده وان يمنح غريمه الفنان الحياة مرة اخرى

خرج الرسول .. وما كان اشد

سكاربيا مدير الشرطة يستجوب توسكا وهي تنكر اية معرفة لها بالسجين الهارب

شوق سكاربيا للحصول على مكافأته فمد ذراعيه الى ضحيته الحسناء . ولكن توسكا وهي تحاول ان تؤجل هذه اللحظة الرهيبة التي تستسلم فيها لمثل هذا الوغد طالبته ان يحرر اولا لها ولحبيبها الفنان اذنا يخول لهما الخروج من المملكة غدا بعد الانتهاء من اجراءات مظاهر تنفيذ الحكم

ضحك سكاربيا وقد اخذته نشوة الانتصار لجلس يكتب الوثيقة التي تطلبها توسكا ، امعانا منه في التغرير

بفريسته ، وهو يعلم حق العلم أن تلك الوثيقة غير ذات قيمة . وبينما هو مشتغل بتحريرها شاعت في خاطر توسكا فكرة يائسة ورجاء واهن ، فتسللت من خلفه الى مائدة الطعام في خفة وهدوء وتناولت منها نصلا قاطعا اخفته وراء ظهرها دون ان يرى هو شيئا . وعادت تتكيء على المنضدة وهى تتبع بنظراتها كل حركة من حركات سكاربيا . فلما انتهى من كتابة اذن الامان طواه ثم استوى واقفا . وقصد الى توسكا تدفعه الرغبة الملحة الى امتلاك ضحيته الجميلة ، وقد مد ذراعيه لاحتضانها ، ولكنها في سرعة خاطفة اغمدت النصل في قلبه بقوة الغاضب المجروح . صرخ سكاربيا صرخة سقط على اثرها عند قدمى توسكا ، وقد اسلم الروح وفارق الحياة

وقفت المغنية الحسناء مرتعدة بادىء الامر ، ماخوذة بعملتها الشنعاء . ثم اخذت شمعتين من المائدة ووضعتهما على جانبي الجثة ، كما وضعت فوقها صليبا انتزعته من الحائط .. واذ عادت اليها سكينتها واطمأنت الى ما فعلت ، فقد اسرعت في الانصراف من القصر لتخليص حبيبها الفنان ..

▭

بلغت توسكا حصن القديس انجيلو ، وكاد الفجر ينبثق ، فاستطاعت باذن الامان الذى تحمله أن تصل الى ساحة الحصن حيث جيء بكافارادوسي انتظارا لرميه بالرصاص اندفعت توسكا الى حبيبها في صيحة من الفرح ، وقد القت بنفسها بين ذراعيه ، واطلعته على اذن الامان وعلى ملعمل من الترتيبات التى من شأنها تخليصه من الموت

انبثق ضوء النهار ، وحانت الساعة الرابعة ، فظهر الجند المكلفون باطلاق النار وقد اسند كافارادوسي الى الحائط بينما اختفت توسكا عن اعين الرقباء

اعطى الرئيس الاشارة باطلاق النار ، فاطلق الرماة بنادقهم وهوى كافارادوسي . ثم تقدم رئيسهم فغطى الجثة بقطعة من القماش وانصرفوا تاركين توسكا وحدها

وسرعان ما اختفى الجند حتى اقبلت توسكا على حبيبها في لهفة تناديه ان يقوم فيسرعا الى الهرب في الحال . ولكن كافارادوسي لا يجيب . وفزعت توسكا حين رفعت الغطاء عن الجثة وتبينت ان حبيبها جثة هامدة . فاخذت تندبه وهى تصرخ صراخ المجروح الذى غدروه على أمره

ولما ارتمت توسكا على جثة حبيبها تبكى وتصيح ، وقد غلبها الحزن والالم اقبل عليها جند سكاربيا وقد كشفوا جريمة قتل رئيسهم . فلما تنبهت الى وجودهم نهضت فزعة ملتاعة ، واحتشد الجند في ساحة الحصن ، ولكن قبل أن يتمكنوا من القبض عليها ، كانت تلك [illegible] كسيرة القلب قد سبقتهم الى تسلق اسوار الحصن حيث القت بنفسها الى الارض فسقطت جثة هامدة . ولحقت توسكا بحبيبها كافارادوسي لتحلق روحاهما في عالم الابدية والخلود

من مذكرات ضابط مصرى

مغامرة مصرية فى مجاهل أفريقيا

بقلم الأستاذ أحمد عطية الله
مدير متحف التعليم

كان ابراهيم فوزى ضابطاً برتبة الملازم الثانى فى عام ١٨٧٤ عندما اشترك فى رحلة غوردون إلى المناطق الاستوائية ، وفى هذا التاريخ كانت مديريات السودان الجنوبى حتى أوغندا مجاهل لم تزرها سوى أقدام بعض تجار الرقيق وبعض ضباط وجنود الجيش المصرى الذين صبروا صبراً طويلاً فى فتح هذه المناطق قبل التاريخ الذى سافر فيه ابراهيم فوزى بأربعة أعوام . ويمتاز ابراهيم فوزى بأنه أول مصرى دون مذكراته ونشرها عن السودان الجنوبى وأوغندا

كانت مياه بحر الزراف بركة راكدة تتشابك عليها جذور الحشائش والنباتات المائية وتسبح عليها قطعان التماسيح وأفراس البحر ، وكانت الأمطار لا تنقطع بل تسيل سيولا فى بعض الأحيان ، والمياه الآسنة تنشر الملاريا والدوسنطاريا لا سيما بين الأوروبيين المرافقين لغردون فسقطوا جميعهم صرعى لها

وبينما كانت الحملة فى طريقها جنوبا بعد أن غادرت الرجاف ، مرت بجزيرة عالية تعترض النهر ، فارتأى غردون أن يقيم عليها مستشفى لعزل المرضى ، ويبنى قبالتها محطة عسكرية تصل بينها وبين الجزيرة مدة ثلاثة مربوطة بأسلاك تمتد بين الشاطئ والجزيرة ، ولعل انهماك الجنود فى عمل البناء وانتشار الحمى بين عدد من ضباط الحملة قد أغرى الزنوج بالغارة المتقنة ، فجمعوا جموعهم وأخذوا يتسللون بين الحشائش زاحفين على بطونهم وقد تسلحوا بالحراب والسهام المسمومة ، فلما اقتربوا من المعسكر وبدأوا شن غارتهم دقوا الطبول ورفعوا عقائرهم بصياح الحرب وأوقدوا النار فى فروع الأشجار لإحراق المعسكر ، فهب إبراهيم فوزى وجنوده ومعهم خيرة رجال الحملة وقد تسلحوا ببنادق الرامنجتون أحدث الأسلحة فى ذلك العهد وأطلقوا النيران على المهاجمين واستمرت المعركة بين الجانبين حتى ساعات انسحبوا بعدها بعد أن تكبدوا خسائر فادحة ، وفى اليوم التالى جاء شيوخهم طالبين الصلح والأمان بعد أن أقسموا

الضابط ابراهيم فوزى

بالهجوم « الكحور » على الطاعة وعدم العودة الى العصيان ..

ولم تكن العهود والمواثيق تدوم اكثر من ايام او اسابيع حتى تنتهز السود فرصة جديدة ، فيستبدل سارت الحملة مرحلة اخرى تجددت المعارك ، ويصف ابراهيم فوزى ذلك بقوله : « قضينا عشرين ساعة سحت علينا فى اسطار تنزلق من فوقنا سيولا منهمرة حتى وصلنا شلالا يسمى شلال « مكى » والماء ينحدر منه بدوى شديد يصم الآذان ولم يكن أحد منا يسمع كلام الآخر عندما اقتربنا منه ، ولذلك ابتعدنا عنه قليلا ونصبنا خيامنا حيث راى الكولونيل فردون لزوم انشاء محطة هناك ، وقد بحث فى طلب مشايخ البلاد والقرى فلم يجبه أحد . ولذلك أمر العساكر أن يشتغلوا بالبناء والحفر كما أراد . ثم أنشأنا زريبة أمامها خندق لاننا توقعنا الشر من أهالى هذه الجهة . وقد كان الذى توقعناه ، فاننا بينما كنا نعمل عملنا لم نشعر الا وقد دقت الطبول وصاحت الابواق . وتبعت ذلك حركة مزعجة من جموع كثيرة تحاول الهجوم علينا فسارت العساكر للتأهب والاستعداد داخل الزريبة . وانتظرنا حتى كان بيننا وبين أولئك الهاجمين مرمى الرصاص .. ولكننا امسكنا عن اطلاق النيران حتى يبدأوا بالعدوان ، فلما رمونا بالنبال والنشاب السامة رميناهم بنيران حامية لم يحتملوها فرجعوا الى الوراء ، ثم عادوا ثانيا فصدمتنا وتقهقروا ، ثم عادوا الثالثة فحملتنا عليهم حملة منكرة ارتدوا بها مكسورين ولكن اسهمهم قد اضرت بالعساكر كثيرا حتى لو ان سهما منها اصاب رجلا بين ظفره ولحمه لما نجا بعد ذلك . وفى اليوم التالى لهذه المحاربة حضروا بأولادهم ونسائهم يحملون النيران ليلقوها على الزريبة كى تحترق وقد زحفوا علينا بسرعة غريبة ، وظللنا نحن نطلق النيران عليهم لتمنعهم من الوصول اليها . والقوا النيران عليها .. ولكن أخشاب الزريبة كانت رطبة فلم تحترق ، وتضاعفت خسائرهم ، فلجأوا الى الفرار وهجروا ديارهم نازحين الى جبل « مكى » القريب من الشلال

ومع ذلك فان هذا النصر قد انتهى بفاجعة دامية ، ذلك ان فردون أمر الضابط عبد العزيز بك لبنان (او

فرست لينان بن لينان باشا مهندس القناطر وقد أعلن اسلامه) باقتفاء أثر الهاربين حتى يتم له اخضاع المنطقة اخضاعا تاما ، فانتصر عبد العزيز لينان عليهم بعد قتال دام نصف ساعة ، واستولى على الجبل ولكن شاءت الاقدار أن يصبح أحد الجنود معلنا فراغ (« الجبخانة »

فأثار ذلك الذعر بين الجنود وعاود السكان الهجوم على الفرقة المصرية السودانية ، فأوقعوا بها وانتقموا من عبد العزيز لينان انتقاما وحشيا يصوره ابرهيم فوزى بقوله « . . . وصعدنا لأعلى الجبل وتمكنا من قهرهم ، وهناك رأينا جثث القتلى من عساكرنا — في الحملة السابقة — محرقة بالنار ما عدا جثة عبدالعزيز بك ، فقد رأيناها مصلوبة على جذع شجرة قد انغرست في جسمه نحو خمسمائة نشابة لا تزال مغروسة فيه ، فسألنا الأسرى عن ذلك فقالوا اننا أمسكناه حيا وأوثقناه بجذع هذه الشجرة ، وأمرنا أولادنا الصغار الذين يتعلمون رمى النشاب أن يرموه به فصاروا يرمونه حتى مات كما ترونه . قالوا ولكن روحه لم تفض الا بعد ثمانية أيام من صلبه

وصل ابرهيم فوزى الى البحيرة أو « الميمة السكبرى » أو النيانزا ويقصد بذلك بحيرة البرت نيانزا بعد رحلة شاقة بين قبائل معادية كانت تقذف رجال الحملة بالحصى والحجارة وتشتمهم وتسبهم

وقد كانوا يطلقون لقب تركى على الاجناس البيضاء الدخيلة بما فى ذلك الاوروبيون ، ويروى ابرهيم فوزى أنه عندما وصل وجملته الى سواحل هذه البحيرة اكتشف نوعا من النبق فى حجم بيض الدجاج وفى حلاوة العسل ، ولا شك أنه يقصد فاكهة أخرى غير النبق أو أن وصفه من قبيل المبالغة . .

باتت الحملة على شاطىء البحيرة بعد أن نصبت خيامها وأقامت الحراس لحمايتها من هجوم القبائل ، ولم ينتصف الليل حتى هبت العواصف وتساقط المطر ثم استحال الى سيل جارف اكتسح أمامه الامتعة والطعام والتى بها فى البحيرة ولم تنج سوى الذخيرة التى كان قد احتفظ بها فى مكان أمين بين الاشجار ، ولم يطلع النهار حتى أغار الزنوج على رجال الحملة فى أعداد غفيرة ، اذ ظنوا أن السيل قد حمل معه كل شىء حتى الذخيرة . . ولكن سرعان ما ولوا هاربين عندما بدأ الجنود يطلقون عليهم النار فاستولى رجال الحملة على مائة رأس من البقر وخمسمائة من الغنم ، وأصبح بذلك طعامهم اللحم والنبق ! ثم قام ابرهيم فوزى برحلة على مياه البحيرة للاستكشاف فهبت زوبعة كادت تودى به وبمن معه ثم ألقت بهم عند ماجنجو . وقد رقى بهذه المناسبة الى رتبة اليوزباشى ، ولا شك أن ابرهيم فوزى كان ضابطا شجاعا مغامرا قام بدور بارز فى هذا التاريخ حتى أنه منح بعد شهرين اثنين رتبة الصاغ بصفة استثنائية

كانت الملاحة النهرية تنتهى عند نقطة اللادو ثم تبدأ سلسلة من

الشلالات تعوق صعود السفن لهذا انشأ غردون ترسانة عند بلدة دلفيه لبناء البواخر التي كانت ترسل اليها مفككة .. فبذلك تسنى لرجال الحملة استخدام البواخر في ارتياد البحيرات الاستوائية ، ويصف ابراهيم فوزي هذا بقوله « ولما تم تركيب الوابور «الخديو » ركبناه وسرنا به في لجج البركة نستكشف جهاتها حيث كان الاهالي يقفون على شواطئها كلما اقتربنا من واحد منها صفوفا معجبين مندهشين من رؤية الوابورات اذ لم يكونوا راوا السفن البخارية من قبل .

كانت اوغندا يحكمها ملك وثني واسع السلطان يدعى امتيسه ، عرف بالدهاء والمراوغة يصفه ابرهيم فوزي بقوله « كان الملك امتيسه يلبس الملابس الحريرية من صنع الزنجبار ، وعلى رأسه عمامة كعمائم اهل مكة وفي رجليه الجوارب والنعال الحمر ويتكئ بيده سيفا ! وكان عنده شاب اصله من ابناء احقمه ولكنه تربى في زنجبار ، عرف اللغتين الانجليزية والعربية فوق لغته الاصلية واسمه « مفتاح » فاتخذه ترجمانا

وكان ابرهيم فوزي يرى ان غردون - بالرغم من جميع مظاهر الولاء للخديو وحكومته كاقامة المحطات ورفع العلم المصري واطلاق المدافع اعلانا بضم بلاد جديدة الى الحكومة المصرية - كان ينفذ سياسة بريطانية بعيدة المدى .. فمن ذلك تشجيعه الرحالة والمرسلين الاجانب الذين كانوا يجوبون هذه البقاع تحت حماية القوات المصرية ، ويروى ابرهيم فوزي نادرة تصور الحرب الباردة بين غردون والملك امتيسه ذلك ان غردون راى زيادة منه في ابداء الولاء للخديو المسلم ان يدعو الملك امتيسه للدخول في الاسلام وغردون قبل كل شيء مبشر مسيحي ولما كان امتيسه يعرف ان هذه مسالة سياسية توافق غردون ، واعلن دخوله في الاسلام ثم طلب منه ان يرسل له بعض العلماء لتلقينه وتوضيح اصول الدين الاسلامي ، فارسل اليه غردون اثنين من ائمة الاورطة المصرية وزاد على ذلك بان ارسل اليه اثنين من الحلاقين لاجراء عملية الختان على انهما من شعائر الدين الاسلامي ، فاستقبلهم امتيسه بالحفاوة والاكرام وضرب موعدا لمقابلة الامامين فتوجها اليه ، فوجدا عنده اربعة من القسس البروتستنت ودعوا عليه من زنجبار فجعل الامامين على يمينه والقسس على يساره وراح يستجوب كل فريق منهما عن اصول دينه وتدرج في السؤال الى ان سمع بان غردون مسيحي من دين اولئك القسس - وهو ولا شك يعرف هذه الحقيقة من قبل - عند ذلك اعلن دخوله في المسيحية دين غردون ، وهكذا رد على نفاق غردون بهذه المناورة المفضوحة . وكان امتيسه يحتفظ بالعلمين المصري والانجليزي ، فاذا حضر رحالة او سائح من الانجليز ادعى انه تحت الحماية الانجليزية واذا وفد عليه مبعوث من المصريين رفع العلم المصري بحجة انه تابع للحكومة المصرية ..

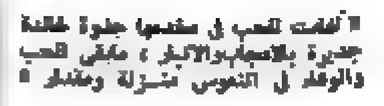

« ألقت الحب في مخدعها جذوة خالدة جديرة بالاعجاب والاكبار ، فبقى الحب والوفاء في النفوس منزلة ومقدار »

بقلم السيدة صوفي عبد الله

الشمس حبيبة الأضواء ، والهواء مقرور الأنفاس ، والثلج يتساقط ندفا ببطء

تلك « ازمير » في بردة الشتاء ، منذ مائة عام ، والامر يومئذ في بلاد الشرق وحدة متماسكة لم تتفرق ، وزمامه في يد « المتبوع الاعظم » المتربع في « يلدز » على اريكة آل عثمان ، يدير من شقة « البسفور » امور المسلمين كافة

ولئن شغل المؤرخون والباحثون من تلك الفترة بأحداثها العظام ، ومؤامرات الدول ومناورات القصور ، فليس شيء من ذلك مما يشغل القلب الرحيم ، وهو يلقى على ازمير في ذلك اليوم الشاتي نظره أو سمعه وهو شهيد

فما السياسة والرياسة الى جانب عش تعبث به الرياح الهوج ، وقد تفرد فيه فرخ كزغب القطا ، تحضنه ورقاء زائغة النظرات ، تكاد العاصفة أن تقتلعها وصغيرها اقتلاعا ؟..

وما ظنك في ذلك اليوم الزمهرير بوكر هجره عائله وحاميه ، فلا سند لصغيره وأنثاه ولا معين ؟

انظر الى الورقاء العاشقة والريح تعصف حولها ، وهي تقلب عينيها في حيرة وفزع ... وانصت اليها ، لعلك تسمع قلبها الجازع يطلق انائه فتضيع ضعيفة في صوت العاصفة العاتية :

ــ واليتماه ! هل هناك باشق من الصقور ، أو عدا عليك عاد من النسور .. أو أخذتك حبالة قانص ... أو ترى غواية الشيطان ،

تربصت بك فى صورة غابية من ذوات الأطواق، فهجرت الى جوارها بيتك، وفرخك هذا الصغير !!.

ولكن مهلا !

ليس ذلك الوكر الذى تتوقفه الرياح الشداد فى ازمير عش طائر .. وانما هو بيت من بيوت الإنس .. وما ورقاؤه الا ناعمة من بنات حواء، وما الفرخ الازغب الا «محمد كمال»، الطفل الجميل الذى لم يتجاوز عامه الرابع

واها لهذا الطفل الجميل، الذى هجره ابوه هجرا غير جميل ! انه — كما وصفوه بحق — ابهى من البدر جمالا، واحلى من الغصن الاملود قدا واعتدالا .. بشرته كالفضة، لولا انها بضة ! وشعره كالنضار المتوهج، لولا نعومة فيه وتموج ... وأما مقلتاه ففى زرقة البحر الخضم ...

وقد طلعت عليه الشمس ذات يوم فاذا هو يتيم أو شر من اليتيم، بعد مضى أبوه كانما انشقت الارض فطوته، أو انقضت الابالسة متخطفه فما هو حى يرجى، ولا هو ميت يحتسب ويزار ...

يتيمة بولاق

ويرتد الطرف عن يتيم ازمير، وفى القلب حسرة وفى الصدر غصة، ليرى السواد، سواد اليتم الباكر على جسد فتاة لم تعد التاسعة، على شغاف النيل، فى « حى » بولاق، حى « البحرية » المصرية وخاصة القوم فى مدينة القاهرة لذلك الحين

وأن اليتم لذلة ومسكنة، وان خلا من غصص الفاقة والمسغبة . فهذه « شرفية » تمشى فى حجرات البيت الرحيب الجنبات خافضة الرأس، بعد أن مات عنها ابوها « سعيد قبودان » مجاهدا فى حرب القرم، ولها من العمر لماتى سنين ...

ولكن ما هذه البسمة التى يضوء بها وجهها على حين غرة ؟ !

لقد سمعت الفتاة صوت عربة تقف بفناء الدار، لعرفت فيها عربة خالها الشيخ « رائف باشا » امير البحر فى أسطول مصر، وان الشيخ الذى نيف على السبعين ليحبها حب الاب الحنون، فما تزوج وما عرف لذة الولد، فابنة اخته اليتيمة عنده بمنزلة البنت، فهو يبرها ما استطاع، وينسيها يتمها الوجيع ما وجد الى ذلك سبيلا، ولا يمضى يوم دون أن يراها واحته فى مصبحه وممساه ..

أما ترى البسمة كيف يهدهدها، فيشرق وجهها وترى الفرحة فى أعطافها !

ان الشر وايم الحق لراد من الجمال لمن لم يرزق الجمال، فناهيك وشرفية صبية تنبىء عن حسن مكتمل، كما ينم البرعم عن الوردة المونقة .. فهى ربعة القوام، مشيقة البنان، مستديرة الوجه، واسعة العينين، كحلاء، زجاء الحاجبين، مقرونتهما، قمحية اللون، سوداء الشعر والمقلتين، ساحرة الاهداب .. لطيفة رقيقة كابتسامة الافق عن انوار الفجر

شتيتان ...

يتيم فى ازمير، ويتيمة فى بولاق ..

ولكن شتان بجمة وجيم . فشتيتان هما في الموقع والمقام . وشتيتان هما في النعمة والبأساء . ولكنهما متفقان في لطف القضاء بحنان الامومة وفي ما اجزل لهما من يانع الحسن وريق الجمال

وسهرت الارملة المهجورة في ازمير، وسهرت الارملة المرزوءة في بولاق ، هذه تهدهد ولدها محمد كمال، وتلك تهذب وترعى ابنتها فريفهة ، حتى انقضى من الزمن مقدار تسعة اعوام، فصار الفتى من العمر ثلاث عشرة سنة ، اما الفتاة فاستوت كاعبا في الثامنة عشرة ، فارعة القامة ، ماهرة في اعمال التطريز ومهنة البيت ، عليمة بالقراءة والكتابة، حافظة لكتاب الله . واما الفتى فصار قرة عين : قامة كالرمح ، ووسامة فاتنة

ووقفت الاهة الحب والاهة الجمال ذات اصيل ، والشمس في مغربها موكب رائع من الحسن والجلال ، وقد اشعت على بحر الروم حلة قانية من الارجوان المصطر !.

وقالت الاهة الحب للاهة الجمال:

ــ تباركت الاء الله ! لقد انبتت في بستانك يا اختاه زهرتان ، كلتاهما قرة عين : زهرة رقيقة شقراء اللون كانها الجمان خالطته حمرة الارجوان، وزهرة سمراء سوداء الفرع كانها كاس مترعة من بنت الحان معتقت في الدنان من قديم الزمان

فتضاحكت الاهة الجمال وقالت مزهوة :

ــ صدقت : هاتان آيتاي في الاشقر والاسمر، وكلتاهما لذة العين والقلب، ونشوة الحس والنفس ..

فقالت الاهة الحب :

ــ الا ما اجمل ان يجتمعا على حب بينهما شديد ، فيكون لك يا ربة الجمال من اجتماعهما في غد آيات مستحدثات من الحسن البديع ... افتأذنين ؟

فقال الاهة الجمال :

ــ انت يا ربة الحب وما تريدين وليبارك القضاء سعيك الميمون !

وكذلك كان ، فاجتمع الشتيتان بعمل من اعمال الارباب ، لبس في اعين الناس صورة المصادفة والاتفاق:

فقد فرغ بال ام « محمد كمال » بعد ان بلغ وليدها الثالثة عشرة، ولم تكن قد كفت عن تقصي خبر زوجها الهاجر تلك السنوات التسع، فوقع لها خبر معاده ان زوجها يقيم في مصر ، بالقاهرة المعزية ، فدبرت امر السفر اليها مع وليدها ، فرست سفينة الشراع في مرسى القاهرة ، وهو يومئذ في بولاق

وما بولاق وما القاهرة يومئذ ؟ اهي المدينة الواسعة الارجاء ، التي ينزل الغرباء فيها في الفنادق والخانات؟ وهل تنزل الحرة المحجبة ــ ولاسيما وهي من بلاد الترك ــ في خان ؟ معاذ سطوة الترك في دولة مصر في ذلك الزمان ! فالغريب الغريب نسيب ، والتركي التركي يومئذ في مصر قريب جد قريب

فغير عجيب ان تنزل ام محمد كمال في بيت من بيوت الترك في بولاق. ولكن العجيب بتدبير القضاء ،

في أن يكون نزولها وولدها عند « مخدومة هانم » أرملة سعيد تيودان ، واخت راتف باشا أمير البحر ، وأم شرفية ، التي رأتها الأمة الحب صنوا في الجمال والدلال للفتى الوسيم محمد كمال ...

وكذلك التقى الشتيتان ، في ذلك الاصيل الرائع من أصائل بحر الاساطير والاسرار

المنشود والموجود ..

وقد ألهمت أم شرفية العطف على هذه النازحة الغارة فآثرتها من بيتها منزلا كريما هي وولدها اليافع الرقيق الشمائل . وتوجهت الى شقيقها « راتف باشا » أن يبحث عن زوجها المفقود — بل الهاجر — في أحياء مصر واطرافها ونجاحها

ولم يدخر أمير البحر الشيخ وسعا في للبحث عن الرحل ، فما وقع له على أثر ... وكان قد اقتضى وقت تمكنت فيه محبة هذه السيدة الارمنية من قلب أم شرفة ، ووضع « محمد كمال » موضعا جميلا من نفس شقيقها الشيخ . وكان قد ناهز الثمانين دون أن يتزوج ، فاصطفى هذا الغلام وادخله مدارس الحكومة المصرية ، لينشأ نشأة أمثاله من أبناء الترك والجركس . ولم تجد أم الغلام خيرا في الاعود به الى بلادهما التي أعوزتهما فيها اللقمة بعد أن ذهب العائل ، وأتت الايام على علالة الاموال والآمال . فتقرر قرار الغريبين في دار أم شرفية ببولاق واستقربهما النوى ..

ولكن لم يجدا بعد رحلتهما فقيدهما المنشود ، فقد وجدا ما لم ينشدا ولم يتوقعا من عطف ومودة

كلا ! بل من حب ورعاية يكادان يذوبان رقة وجوى .. فهذه شرفية لا شغل لها في مصبحها وممساها الا شأن هذا الغلام الذي لا يجاوز الثالثة عشرة ... حتى لقد أوشكت أمها أن تستريب بها لولا صغر سن الفتى ...

فلما مضى الغلام الى المدرسة — وهي يومئذ على النظام الداخلي دون سواه — بعد من صحبته الوامقة ، فمالت الى الخلوة والشرود والتشاغل بغزل ما ينفعه من الجوارب والاكسية حتى اذا جاء يوم الخميس منذ الغروب ليبيت مع أمه ويقضي في جوارها يوم الجمعة ، كان دخوله لديها كهلال العطر ، أو كغروب الشمس لصائم أضر به العطش في يوم شديد الحر ، فطعنة منفذها هي العيد ، تترقبها طول الاسبوع بصبر نافد وشوق شديد

محنة ...

ولكن ما كان للامور أن تمضي على هذا النحو الى غير انتهاء ، فالفتاة كاعب قاربت العشرين ، والفتى ما يزال في المدرسة لم يقطع من سنواتها الا سنتين . ومثلها صبية الراغب وخالة الخاطب ، فما كانت أمها تخاطبها في الزواج حتى بكت بكاء شديدا حتى حسبت أمها من أجله أن أم الغلام هي التي تحضها على ذلك العصيان ، فأخرجتها من دارها الى دار شقيقها راتف باشا ، فانقطعت

بذلك أسباب الاجتماع والقلة من الحبيبين ، فحسزنت شرفية حتى عافت الطعام وجافت المنام ... اما الفتى فما علم بما حدث حتى ركبه الهم والغم ، لانه كان قد اشرب حب الفتاة بما جلبه اليهـا من العطف والملاحة والحنان

وزاد في كربه انه مستوثق من سعة الفارق بينهما ، فلا امل له في الظفر بها ، ولكنه اسلم امره لله وهو كظيم

ومضت سنة اخرى تخرج الفتى بعدها من المدرسة الاميرية ، ودخل المدرسة الحربية بنفوذ راعيه راتف باشا

وفي هذه المدة ماتت ام شرفية ، فانتقلت البنت الى بيت خالها . فلما انقضت فترة الحداد على امها تكاثر الخطاب على خالهـا ، فكانت تأبى الامتثـال وترفض دون ان تبدي الرفض سببا واضحا .. فتحير الشيخ ، ولم يخطـر بباله ان بنت اخته مغرمة بهذا الفتى الذي يصغرها في السن ، والمقام ، والثراء ..

وسأله الرجل الا تتزوج ابنة اخته — وهي منه بمثابة بنته — ليطمئن عليها وهو في اواخر عمره ، فكلف قريبة زميل له ان تستطلع رأيها ، فالنساء أكثر تكاشفا فيمـا بينهن بنجوى سرائرهن .. فاعترفت لها شرفية بحقيقة حالها ، واثرت فيهـا بصدق عواطفهاحتى أقنعت السيدة بالدفاع عنها ومساعدتها على الظفر بالزواج من حبيبها

يوم الفصل ..

وكان محمد كمال قد اتم الدرس — وهو يومئذ قصير الامد — ونال رتبة الملازم ، فتقدم الى ولي نعمته في تلطف شديد ، موسطا صديقـا لراتف باشا هو زوج العقيـلة التي كلفها باستطلاع خبيئـة شرفية ، وطلب يدها من خالهـا وقد بلغت بوجهه التراقي توجسا وفرقا

فهل شهدت البراكين في ثوراتها ، والاعاصير في ابانها،والصيالم في حمى هياجها وقد كشرت عن اسنانها ؟

ذلكم راتف باشا وبين يديه ربيب نعمته وخاطب من هي بمثابة ابنته!

— ما تقول يا فتى ؟ ما اصلك ؟ من ابوك ؟ ما نسبك ؟ ما حسبك ؟ هل بلغت بك الوقاحـة ونكران المعـروف ان تتطلع الى مولاتك حسنتك ؟

وكاد يبطش بالشـاب المسكين ، لولا صاحبه الذي انبرى يهدىء من روعه ، ثم انثنى يراوده على القبول:

— ومن انا يا باشا ومن ابوك الذي اتى الى مصر اطفالا باع بيع الرقيق؟ فتولى امرنا اهل الخير من ارباب الحل والعقد ، حتى صرنا بفضل جدنا وصبرنا وهمتنا الى اعلى الرتب وارقى المناصب ؟ فلماذا نتناسى اصلنا ونشأتنا ونتنكر اليوم لمن كنا مثلهم ، وقد يغدون في الغد القريب مثلنا ؟...

وارعوى امير البحر الشيخ،وخاصة حينما نقلوا له جزع شرفيـة من رفضه ، وحزنها الشديد اذا حيل بينها وبين حبيبها ، فرق قلبه ،ولان

الفتى فى الزواج ، وعقد له عليها راضيا مسرورا

الا ان يشاء الله ..

ووقفت الالهتان مرة اخرى عند مغيب الشمس على شاطىء النيل ، قبالة بولاق ، تتملان العين بوميض السعادة المتدفق من عينى شرفية بنت سعيد قبودان وقد من الله عليها بطعمها العظيم

وقالت الاهة الحب لالاهة الجمال:

ـ لقد قرب يا اختاه موعد حلمنا من التحقيق ، فهذه شرفية منهمكة فى « الجهاز » ، لتزف بعد اسابيع الى صنوها فى الجمال «محمد كمال»

فقالت الاهة الجمال :

ـ حقا يا اختاه لقد انمت نفسك حتى كسبت معركة الحب من بين براثن القضاء .. فكانت للحب اليد العليا والكلمة الاخيرة ...

فضحكت ربة الحب مزهوة وقالت:

ـ ما يريده الحب يا اختاه لا يقف شىء دون مجراه ...

ورنت فى سكون الفضاء ، بين الارض والسماء ، ضحكة ساخرة ، ذعرت لها الالهتان فتلفتتا ، ثم اجفلتا وبدلتا نظرة وجل ...

لذلك كانت ضحكة القضاء ، يذكرهما ان الكلمة العليا لا تكون الا لله ، فما تشاءون الا ان يشاء ...

واطرقت الالهتان ، وتلاشتا فى ظلام السماء

ومضت ايام ، وفرحة شرفية لا يدركها حد ولا يحصرها شىء وهى تعد بقلب واجف آخر معدات الزفاف الموعود ...

بيت الاحزان

وقبل الزفاف باسبوع اُحم محمد كمال ثلاثة ايام ثم قضى قبل ان تفيق عروسه العذراء من ذهولها ، فانقلب العرس مأتما قبل ان يبلغ غاية مداه ...

وكان بيت امها القديم قد لفدلها ولعروسها ، فلزمت مخدعها الذى اعدته لوصل حبيبها ونعمى هواها ، فلم تبرحه بعد ذلك ابدا .. وقد اسدلت عليه الستور ، واغلقت النوافذ ، واتخذت الندب والبكاء اكثر من اربعين سنة ، لم يجف فيهما دمعها حتى لحقت بحبيبها فى جوار الله ..

واطلق الناس على بيتها بعد ذلك الحين اسم «بيت الاحزان» ، و«بيت الوفاء» كان اولى به من جميع الاسماء، لانها اقامت فيه للحب جذوة خالدة جديرة بالاعجاب والاكبار، ما بقى للحب والوفاء فى النفوس منزلة ومقدار ...

صوفى عبد الله

● ينبغى للانسان الا يشرب الماء الا اذا عطش ، ولا يشرب الا المقدار الذى يزيل عطشه . ولا بأس من شربه اثناء الاكل او بعده مباشرة ، ولكن لا ينبغى اضافة الطعام به

ليست الشهادات الجامعية برهانا على النجاح

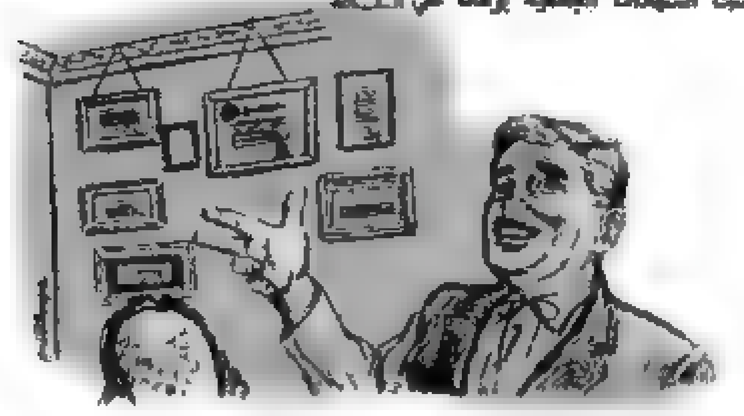

دكتوراه في تجارة الخضروات

قصة واقعية بقلم « بل روز »

كنت قد انقطعت سنوات من حى « ايست سايد » الذى نشأت فيه وعرفت اكثر اهليه ، وشد ما كان اغتباطى حين اتيح لى يوما أن أعود اليه زائرا ، بعد طول تشوق وحنين ، وامضيت ساعة او اكثر وأنا اطوف بمعاهدذكرياتى ومسارح لهوى وتسليتى فى أيامى الخالية ، واتذكر فيما صنعت الايام بى وبمن كنت ألقى هناك من أخلاء واتراب !

وفيما أنا احتسى كوبا من عصير الليمون فى مشرب قديم بالحى ، جاء من اقصى الشارع رجل يسعى ، وما كدت اتبين وجهه حتى سارعت الى لقائه فرحا ، اذ كان هو بعينه «سام كارميل» موزع البريد بالمنطقة

وتلقانى بدوره مرحبا متهلل الوجه ، وزاد فى سروره أن أبديت رغبتى فى أن أصحبه فيما بقى من جولته ، ثم انطلقنا حيث أخذ هو يحدثنى بكل ما جد من شؤون فى الحى ، واخذت أنا أصغى اليه

وفى خلال ذلك كان سام يقف بهذا المنزل أو ذاك ، ليسلم خطابا الى البواب ، أو يضعه فى صندوق البريد بباب المنزل ، ثم نستأنف التجوال وما كنا فيه من حديث

وبعد قليل ، وقفت معه بباب منزل كنت أعرف ساكنيه ، وتذكرت من فورى « جوزيب ماتيولا » حين وقعت عيناى على اسمه فوق صندوق البريد الخاص به ، على انى

لم افهم معنى لتلك الحروف الثلاثة التى قرن اسمه بها وهى : « ل.ت.خ » . وقلت لصاحبى سام متسائلا :

ــ اليس جوزيب هذا هو صاحبنا القديم بائع الخضر على عربة اليد فى شارع طبرى ؟

واجاب سام بان اومأ برأسه موافقا ، ثم تنهد مرتاحا لانتهائه من توزيع الخطابات التى كانت معه ، وقال لى : « الآن استطيع ان احدثك عمن تشاء كما تشاء ! »

فقلت له : « الآن .. حدثنى قبل كل شىء عما تعنيه تلك الحروف الثلاثة التى قرن اسمه بها صاحبنا جوزيب »

فابتسم سام ، ثم اخذ يقص على قصة تلك الحروف ، وكلما لحظ دهشتى اثناء ذلك لمعت عيناه جذلا ، وازداد صوته عمقا ، وبدا بنظراته واشاراته وحركاته وسكناته وكأنه شاعر اغريقى ينشد احدى الاساطير !

ــــ

كان « جوزيبا » قد توفيت زوجته منذ سبعة عشر عاما ، تاركة له طفلتهما « روز » فى السنة الثالثة من عمرها ، وهكذا وجد نفسه مضطرا الى ان يقوم بدورى الاب والام معا ، وان يقف حياته كلها على العناية بصغيرته العزيزة الوحيدة ، فيتولى بنفسه اعداد كل ما تحتاج اليه من مأكل وملبس واستحمام ولعب للتسلية ، بجانب قيامه بكل شؤون المسكن من طهى وخياطة ورفو وغسل وتنظيف وترتيب الاثاث والفراش ، ولا يغمض له جفن كل ليلة قبل ان يطمئن الى نومها قبل ذلك !

وحينما يخرج بعربته فى الصباح ، يحرص على اصطحابها معه فى تجواله ، فيضعها فى سفط خاص بين اسفاط الخضر والبقول التى يبيعها . وكثيرا ما كان عملاؤه وعميلاته يداعبونها اثناء ذلك ، او يداعبونه هو بقولهم : « بكم تبيع روز اليوم ؟ ! »

ولما ادخلها المدرسة بعد سنوات ، لم تنقص عنايته بامرها ، بل ازدادت هذه العناية تبعا لتقدمها فى الدراسة ، ووضع نصب عينيه ان يمضى فى تعليمها حتى تتخرج فى الجامعة ، وبذلك يهيىء لها المستقبل الذى ينشده لها .. ولم يدخر جهدا فى هذا السبيل ، ولكن مجموع ما استطاع ادخاره من المال لهذا الغرض لم يكن يزيد على خمسمائة دولار حين اتمت دراستها الثانوية ، وعلى هذا اضطر الى الاكتفاء بادخالها احدى الكليات المتوسطة ، فلما تخرجت فيها ، ووفقت الى عمل متوسط الاجر ، فى مكتب محام ناشىء ، حمد الله على هذه النتيجة .

وحرص برغم تقدمه فى السن على الاستمرار فى قيامه بتدبير شؤون المنزل ، بجانب قيامه بعمله اليومى المعتاد متجولا بعربته لبيع البقول والخضروات ، وكل همه أن يوفر لها الراحة فى حياتها المنزلية ، لكى تقبل على عملها خارجه فى نشاط واخلاص يكفلان لها التقدم والنجاح

كان « جيمس » المحامى الذى

التحقت « روز » بالعمل فى مكتبه معتدا بنفسه الى حد الغرور ، ولم يكن فى ذلك ما يدعو الى العجب ، فهو شاب لم يجاوز العشرين من عمره ، اوتى حظا كبيرا من وسامة الطلعة ، وتوافرت له رشاقة الجسم واناقة الملبس ورفاهة العيش ، بفضل انه الابن الوحيد لاحد كبار الاثرياء ، وقد رزق به على الكبر ولم تعش امه بعد ذلك الا قليلا ، فاولاه والده كل حبه وعطفه وتدليله ووضع فيه كل آماله فى الحياة ، وحرص على اتمام تعليمه حتى تخرج فى كليتى الحقوق بجامعتى « هارفارد » و « اكسفورد » . ثم افتتح له مكتبا ليمارس فيه المحاماة ، لم يكن فى المدينة كلها ما يضارعه فخامة وروعة بين مكاتب المحامين !

وكان تأثر « روز » شديدا بفخامة المكتب وروعته فى اول الامر ، ولاسيما بتلك الاجازات والشهادات العلميـة والرياضيـة التى ازدانت جدرانه بها فى اطاراتها الذهبية البديعة الصنع . على انها شيئا فشيئا اخذ تأثرها يتجه اتجاها آخر ، وبدا ذلك منذ تعود المحامى الوجيه الشاب ان يتنازل الى اختيارها من بين موظفى المكتب وموظفاته لكى يملى عليها بعض المذكرات من حين الى حين . والواقع انها قبل ذلك لم تكن تتفق مع هؤلاء الموظفين والموظفات فيما يكنون لرئيسهم الشاب من الحقد والحسد والسخرية ، بل كانت تنظر اليه نظرتها الى امير فارس من اولئك الذين طالما قرأت عنهم واعجبت بمغامراتهم فى الاساطير والحكايات ، لكنها مع ذلك ظلت تتحاشى التقاء عينيه بعينيها ، فلما كثر جلوسها اليه ، لم يسعها ان تستمر طويلا فى خطتها هذه ، وكان قلبها يشتد خفقانه ، كما كان خداها يزداد اشتعالهما بالدم الحار الذى يصعد اليهما ، كلما التقت نظراتهما الخاطفة اثناء جلسات الاملاء

ولم تتردد فى القبول حين دعاها لاول مرة الى اصطحابها معه لتناول العشاء فى احد المطاعم الكبيرة بالمدينة . ثم تكررت الدعوات وتنوعت فكانا يخرجان معا فى رحلات قصيرة للتنزه بضواحى المدينة ، او يذهبان الى مدينة الملاهى حيث ينعمان بالذ الوان الطعام والشراب ، ويطلسان جنبا الى جنب فيما هنالك من تطورات مسحورة وارجيح وطائرات ، وغيرها من العاب التسلية

وهكذا والعلاقة بين « جيمس » المحامى الثرى الشاب ، و « روز » سكرتيرته الشابة الفقيرة الجميلة ، وانتهى الامر بعد اسابيع قليلة اخرى بأن صرح لها فى ذات يوم بأنه قد احبها ، ويسعده أن يجد صدى لهذا الحب الصادق فى قلبها ، وان تقبل الزواج به . .

ولم تستطع « روز » ان تجيب بلسانها ، ولكن دموع الفرح التى انهمرت على خديها ، كانت ابلغ جواب !

اتخذ الخطيبان عدان العدة ، وكان السبيل ممهدا امامهما ،

فوالد « جيمس » قد عوده الا يرفض له طلبا ، وليس هناك ما هو أحب اليه من أن يراه سعيدا بالحياة مع الفتاة التي احبها واختارها بنفسه لنفسه .. اما « جوزيب ماتيولا » والد « روز » فلا شك في أن احلامه وامانيه بشأن مستقبلها ما كانت لتصل الى مثل هذا الحلم الذهبي الجميل الذي حققته لها الاقدار !

ومع هذا ، كانت الفتاة تشعر بشيء من القلق والحيرة كلما اقترب الوعد المحدد للزواج

وحينما اصطحبت والدها الى المكتب لاول مرة ، لكي يرى خطيبها ، حرصت على أن يذهب اليه مرتديا احسن ملابسه . وما أن دخل المكتب ووقعت عيناه على ما فيه من اثاث بديع ثمين ولوحات نادرة حتى شاعت في محياه علائم الدهشة والسرور ، ثم وقف طويلا يتأمل الشهادات المعلقة على الجدران

واستطاع «جيمس» أن يستولي بشاشته وهدوئه وحديثه على إعجاب جوزيب الطيب القلب ، ولم يستطع هذا أن يغالب دموعه حين علم في سياق الحديث أن خطيب ابنته فقد مثلها امه في طفولته ، ثم قال له في لهجة تفيض سذاجة وعطفا :

— لا يزال والدك العجوز يقوم عنك بطهي الطعام ؟!

وجاهد « جيمس » لكي يخفي رغبته في الضحك ، كما جاهدت « روز » عبثا لتخفي خجلها الذي لم تفلح في اخفائه . ثم التفتت الى والدها وقالت له : « ان الدكتور جيمس سليل آل ويكفيلد الاكرمين ، ولديهم ولا شك طهاة وخدم كثيرون !»

ولكن والدها الشيخ هز رأسه وقال جاذبا المحامي الشاب : « ليس هناك ما هو الذ واهنأ من الطعام الذي تصنعه بيديك !.. ويسعدني أن تأتي الى مسكننا ليلة الاحد المقبل ، وان يكون معك والدك ، وسأثبت لكما هذه الحقيقة بالعمل لا بالكلام !»

وقبل أن تتدخل « روز » في الحديث لتحول دون وقوع الكارثة المنتظرة ، سارع جيمس الى اجابة تلك الدعوة قائلا لمضيفه الكريم : « حسنا يا عماه ! سأحضر ووالدي ليلة الاحد القادم ! »

□

لبثت « روز » تبكي طول ليلتها ، بعد تلك الزيارة التي قام بها والدها لخطيبها المحبوب ، ولم يعرف والدها سبب بكائها الا صباح اليوم التالي ، اذ قالت له وهي تهم بالخروج الى عملها في تردد واستحياء : « انني على يقين من حسن نيتك ، ولكنك بطيبة قلبك وصراحتك افسدت الامر كله !.. فلا شك ان والد جيمس متى رأى مسكننا هذا لن يوافق ابدا على اتمام الزواج ! »

وبدت الدهشة البالغة في وجه جوزيب ، واخذ يدور بعينيه في جوانب المسكن متأملا ، ثم قال لها وكأنه يحدث نفسه : « كل شيء مرتب .. كل شيء نظيف .. ما الذي ينقص المسكن اذن ؟ »

وخطرت ببياله فجأة صورة الشهادات العلمية المعلقة في مكتب جيمس ، فضرب بيده على جبينه ، وأكمل حديثه قائلا : « حسنا !.. حسنا يا روز !.. لقد أدركت السر الذي يجعل مسكننا غير لائق في نظر جيمس ووالده الثرى العجوز ! »

وجاءت ليلة الأحد وجاء جيمس ووالده في صحبة روز لحضور مأدبة العشاء التي دعاهما والدها اليها في مسكنه ، وشد ما كانت دهشتهما حينما تلفتت حولها اثناء ترحيب والدها بضيفيه فاذا بالجدران كلها قد زينت باطارات عديدة مختلفة الأنواع والأحجام ، وكلها تحتوى على دبلومات وشهادات عجيبة .. فهذه شهادة من معهد الحلاقة والتجميل ، وهذا دبلوم من معهد الأزياء والتفصيل ، وهذه رخصة لافتتاح متجر لبيع البيرة وأنواع الخمر ، وهذه شارات العضوية في جمعيات الكشافة وسباق الخيل واتحادات العمال ، و ...

وتطلع والد جيمس اليها ، ثم قال لمضيفه ضاحكا :

ــ حسنا !.. انت فيلسوف حكيم ياسيدي !.. ولن انسى لك ابدا هذا الدرس اللطيف النافع الذي لقنته لجيمس .. انه ولدك أيضا ما دام سيكون زوج ابنتك !

ثم التفت الى جيمس وقال له : « هل رأيت وسمعت ؟!.. لقد طالما خطر ببالي ان الفتاة ربما ضاقت من سخافة وغرور في تلك الشهادات العديدة التي تصر على تعليقها في مكتبك .. ولكنى أعترف بأنى لم اكن لأوفق الى مثل هذه الطريقة الطيبة التى اتبعها معك حموك الظريف ! »

وعلى اثر ذلك ، جلس الجميع الى المائدة ، وكانت الألوان التى حفلت بها شهية حقا ، ولم يكف والد جيمس عن ابداء الاعجاب بها والثناء على جوزيب ، الى أن انصرف مع ولده ، بعد الاتفاق على تحديد موعد الزواج !

▭

وحينما بلغ « سام كلرنيل » موزع البريد الى هذا الحد من تلك القصة العجيبة ، كنا قد بلغنا في سيرنا محل عصير الليمون مرة أخرى ، فطلب كوبا لكل منا ، ثم أخذ في حديث آخر ، ولكنى قطعت حديثه قائلا له : « انك لم تتم بعد قصة روز »

فأفرغ بقية الكوب في جوفه ، ثم قال : « أنها وجيمس أسعد زوجين في المدينة ، وقد بلغ قمة النجاح في المحاماة بفضل ذلك الدرس الذى خلصه من غروره بعلمه وفنه ، وجعله يولى عمله كل اهتمامه . ومازال والده يكن كل اجلال واعجاب لصاحبنا « جوزيب ماتيولا » والد « روز » ، وان كان هذا لم يفطن الى حقيقة ذلك الدرس ، ولهذا حرص على وضع تلك الحروف الثلاثة : « ل.ت.خ » تحت اسمه ، اشارة الى انه حاصل على : « ليسانس تجارة خضروات » ..!

ارتقى بجمالك
إلى درجة الفتنة
فى ٥٠ ثانية فقط
ان بان كيك ميك اب الذى
ابتكره ماكس فاكتور هو
الوحيد الذى يمنحك جمالك
الطبيعى لا يفوقه اى نوع آخر
الوحيد
بان كيك ميك أب
ابتكار
ماكس فاكتور هوليوود
٩٦
٥٢
Max Factor Hollywood
انظرى ما يصنعه بان كيك ميك اب من أجلك
القاهرة

في سهل لومبارديا ، بشمال ايطاليا اقليم غني خصيب ، تكثر فيه القلاع والضياع ، وتنتشر الغابات والمراعي والسهول ، هو اقليم « سالوتزو » الذي لبث محكوما زمنا طويلا ببيت عريق هو بيت آل « سالوتزو »

ومن انبه آل سالوتزو ذكرا ، الامير « والتر » ، الذي دان له بالولاء ذلك الاقليم بالطاعة ، لخلقه العالي ، وكرمه ، وشجاعته ، وحصافة رايه

وكان « والتر سالوتزو » جميل الشكل ، نوي النسبة ، الا انه كان يؤثر العزوبة على الزواج ، وكان كل هواه متعلقا بالصيد والقنص وركوب الخيل ، فاذا شغله شاغل من امور الاقليم والسعي بين اهله بالخير انبرى له في عزم ، لان بلده هي اسرته التي لا اسرة سواها

واجتمع سراة القوم ذات يوم والحوا عليه أن يتزوج ، فهم يحبونه ، ويشفقون ان يذهب من هذه الدنيا ولم يعقب من يتولى الامر من بعده ، فارسلوا اليه وفدا ما زال يحاوره في الامر حتى اقتنع بضرورة الزواج

وسرت الفرحة في اطراف قصر سالوتزو عندما حدد الامير يوما معلوما لزفافه ، وأمر ان تعد العدة الواجبة لهذه المناسبة الكبرى ، وان تفوق في فخامتها وبذخها كل ما الف الناس من قبل في مثل هذا الحفل

وانصرف رجال الامير للاستعداد ، وانصرف هو على مالوفه الى هوايته في الصيد ، في الاحراش والغابات

وغير بعيد من قلعة سالوتزو قرية صغيرة يقطنها عدد قليل من الفلاحين الاجراء الكادحين في الارض ، وكان الامير يمر بهذه القرية احيانا . وكان بين هؤلاء الفلاحين رجل مسكين يدعونه « جانيكولا » ، وكانت لهذا الرجل ابنة اسمها « جريزلدا » ، شكلها جميل ، واجمل من شكلها خلقها المحمود وعفافها المشهود . وقد نشأت هذه الشابة في شظف من العيش ، ولكن قلبها النقي ، وعقلها السوي ، وسلوكها التقي ، كانت تحملها على القناعة والرضى ، فهي تعين اباها في عمله ، وتخدمه اذا آب منه ، وتعد له الطعام اليسير الذي يرزقهما الله ، وترعى بعضا من الغنم ، فهي القوامة على البيت بعد ان ماتت أمها

وكان الامير يعلم طيبة قلب

جريزلدا ، ولين جانبها ، ونصاعة سحنتها ، وكان حين يخرج للصيد يحرص على أن يمر بها ، ويتأمل وداعتها ورشاقة حركتها ، حتى استولت بجلالها هذه على قلبه . ولكنه لم يكن يصرح بهذا وكان يكتم هواه ، ولكن حبها كان عاملا قويا من عوامل اضرابه السابق عن الزواج .

أما وقد ألح عليه قومه ورعيته فى الزواج ، فقد احتفظ لنفسه بحرية الاختيار ، لأنه صمم على أن تكون « جريزلدا » دون غيرها شريكة حياته وأميرة سالوتزو

واقترب اليوم المعلوم ، الذى ضربه موعدا لزواجه ، وقد دعا اليه وجوه الرعية من أكرم البيوتات ، فاستعدوا للحضور ، وهم يجهلون من تكون العروس،فهم لهذا يتلهفون الى معرفة سرها . وان كانوا يعلمون أن الأمير قد أوصى أن تصنع للعروس أثواب فاخرة الى أقصى حد ، وكلف الجوهريين أن يصنعوا لها من القلائد والدمالج والأساور والأقراط حلا عين رأت ولا خطر على قلب امرأة . وجعل « النموذج » الذى تصنع على مقداره هذه الأثواب والحلى ، فتاة تشبه فى قدها صاحبته «جريزلدا»

وحل أخيرا يوم الزفاف ، وضاق القصر على رحبه بالنبلاء والفرسان والأعيان ،وزوجاتهم ، ولكن العروس لم تعرف بعد . وحينئذ نهض الأمير كمن يستعد لاستقبال العروس على مبعدة من القصر وهى فى طريقها اليه ، وتبعه ركب حافل من السادة والسيدات ، وأمامهم المنادون فى الأبواق

ولم تكن الفتاة « جريزلدا » تعلم من هذا كله شيئا ، سوى أن الأمير سيتزوج هذه الليلة . لهذا صرفت سحابة النهار فى تنظيف كوخ أبيها ، حتى تلعب فى المساء مع لداتها لتشاهد الحفل العظيم ، وترى عروس مولاها المجهولة . فلما اقترب الأمير من بيت أبيها ، كانت « جريزلدا » تحمل جرة ماء على رأسها ، قادمة من الينبوع الى الدار . فناداها الأمير وهو على رأس موكبه هذا ، وسألها أين والدها ، فوضعت جريزلدا جرة الماء على الأرض ، وجثت أمام الأمير على ركبتيها ، وأجابت : « أنه فى الدار يا مولاى ! » فقال لها : « اذهبى اليه واطلبى اليه أن يحضر الى هنا لأكلمه فى أمر ما » فأسرعت الفتاة ، وخرج جانيكولا مهرولا،فأخذه الأمير من يده وانتحى به جانبا ، وأسر اليه قائلا :

ـ يا جانيكولا . انى أحسبك تحبنى ، فما يسرنى أحسبه يسرك أيضا ، ولست أريد منك الا شيئا واحدا : أن تزوجنى ابنتك !..

فلم يجسر الرجل على النطق ، حتى سكن ثائر جأشه ، فجثا أمام الأمير وقال له :

ـ ليس لى أن أوافق أو أعارض لأنك مولاى .. ورغبتك أمر نافذ

ـ فلندخل الآن وابنتك وحدكما الى البيت ، لأنى أريد أن أخاطبها على انفراد

ودخل الأمير وحده بيت جانيكولا، وبقى سائر الموكب فى الخارج وقد تولاهم العجب ، أما الفتاة فقد جعلت تلتصق بأبيها رهبة ودهشة

وخاطبها الأمير بهذه الكلمات :

ــ لقد راق لوالدك أن تصبحي لي زوجة . وأحسبك لا ترفضين . ولكن ثمت أمر أحب أن أحدثك فيه أولا بحضور وبمسمع من والدك ، وهو أنني أريد قبل أن أبتزيك ــ وسيكون ذلك الساعة ــ أن أعرف منك هل ستجعلين قلبك كله طوع ارادتي ، فلا ترين الا ما أرى ، مهما بدا لك

غريبا أو منكرا ، دون لوم ، أو مناقشة ، أو تعقيب ، بالفعل أو بالقول أو بالاشارة

ودهشت الفتاة لهذا الكلام ، ولكنها بادرت تجيب الأمير :

ــ أي مولاي . . أني لأعلم انني لست أهلا للزواج منك . بل انني لست أهلا أن أدعي لك خادما ، ولكن ما دام هذا قد راق لك وأتاحه لي القدر المواتي ، فاعلم يا مولاي الا تكون لي رغبة الا رغبتك ، أو ارادة الا ارادتك

ــ ذلك حسبي !

وأخذها الأمير من يدها ، فخرج بها على الجمع الحافل الذي صحبه من القصر ، وقال لهم :

ــ هاكم زوجتي أيها السادة ، وهي منذ الآن مولاتكم ، فأخلصوا لها الحب ، والاجلال والولاء ، واجعلوا اعزازكم لها كاعزازكم لي وزيادة

وكيما تنفض عنها كل آثار فقرها القديم ، أمر الأمير السيدات أن يلبسنها مما أعددن من فاخر الثياب

وفي بيعة القصر ، عقد الزواج ،ثم بدأ بعد ذلك المهرجان الكبير : وتدفقت الخمور ، ومدت الأسمطة في الباحة الكبرى لكافة الناس ، كما

عمرت حجرات القصر بالقاصفين

وأثبتت الايام بعد ذلك أنها أهل لما رفعت اليه من مكان ، فقد جلبت اليها جميع القلوب برقتها وعذوبة لطفها ، حتى أجمع كل من اتصل بها على تقديرها واكبارها

ولم يطل بها الزمن حتى حملت وأنجبت لزوجها طفلة جميلة ، فرح بها الشعب كله ، وان كان قد تمنى أن يكون الطفل غلاما

وكبرت الفتاة حتى بلغت سن الفطام ، وصارت مجلى العين والقلب فعن حينئذ للأمير أن يجرب زوجته تجربة شديدة الوقع ، فقال لها :

ــ ما اظنك يا جريزلدا قد أنسيت بحاضرك ماضي أمرك ، وانني لأحبك الحب كله ، ولكن في أعيان دولتي من لا يرون فيك رأيي ، ولا سيما بعد أن ولدت ابنتنا ، لانهم يأنفون أن تسود عليهم من بعدي فتاة جدها لامها فلاح أجير من الطبقة الدنيا . وقد مال قلبي الى ترضيتهم ، بأن أنزل بابنتنا أمرا ليس أقسى منه على فؤادي . ولكنني لا أفعله الا برضاك ، فماذا أنت قائلة ؟

واحست جريزلدا الكلام وقعا صاعقا في قلبها . ولكنها لم تبد له من ذلك شيئا ، واجابته من فورها :

ــ انك أنت مولاي . وأنا وهذه البنية ملك يمينك فافعل بنا ما تشاء ، وما من شيء يحلو لك الا وهو عندي حلو . فتلك هي الحقيقة التي وطنت نفسي عليها وغرستها في سريرتي

وأثلج الجواب صدر الأمير ، ولكنه أخفى شعوره وانصرف عنها ، فاستدعى ياورا له ، فأسر اليه برغبته ، فذهب الياور الى الاميرة وقال لها :

ــ أودعيني هذه الفتاة لأصنع بها ما امرني مولاي

فأدركت الاميرة انه الموت لابنتها لا محالة ! ولكنها لم تظهر جزعا ولا امتعاضا ، بل أسلمته الفتاة بعد أن قبلتها ، وقالت له :

ــ افعل ما امرت به في شأنها

وحمل الياور الفتاة الى أبيها الأمير ، وقص عليه ما كان من أمها ، فسر قلبه وملأه الاعجاب بزوجته ، ثم وجه الياور بالفتاة الى بولونيا ، من بلاد ايطاليا حيث أخته المتزوجة من « كونت بيروجا » ليبلغها رغبته في أن تربيها عندها ، على أن لا تطلع على سرها أحدا حتى زوجها الكونت

وحملت جريزلدا مرة أخرى ووضعت غلاما ، وبلغ الغلام سن الفطام ، فجاء أبوه الى أمه وكرر معها ما فعله معها حين فطمت ابنتها الاولى ، فوجدها هذه المرة كسابق عهدها ، لا تبدي ألما ولا تظهر الا مودة ورضا !.. وسيق الغلام كما سيقت أخته الى نفس المصير .. والأمير مأخوذ بطاعتها ، وحبها له

وانقضى على مولد بنته اثنا عشر عاما ، والاخبار تأتيه انها بخير هي وأخوها ، وحينئذ أذاع الأمير بين الناس انه أرسل الى البابا يستصدر مرسوما بالغاء زواجه من جريزلدا ، حتى يبنى بسليلة بيت عريق ، وان البابا قد أجاب الأمير الى ما أراد . واستاء الناس لتصرف الأمير ، ولكن شخصا واحدا لم يظهر الاستياء ، هو جريزلدا نفسها

وارسل الامير الى اخته سرا ، لكي تجهز ابنته وابنه للحضور اليه في موكب كبير ، على ان تكتم نسبتهما اليه حتى يبلغ هو هدفه التام . وتجهزت اخته وزوجها للحضور مع الطفلين ، فشاع بين الناس أن البنت التي تبلغ الثانية عشرة – وهي سن مألوفة للزواج في ذلك الزمان – هي العروس الجديدة ! وتحدد يوم وصول الضيوف الكرام ومعهم الفتاة والغلام ، وكان قد بلغ ثمانية أعوام

ولما اقترب الركب من سالوزو ، دعا الامير جريزلدا ، وانبأها أنه قرر تسريحها ليتزوج من سليلة بيت يضارع بيته مجدا وسؤددا ، وانه ليأسف على فراقها ، ولكن الواجب فوق الهوى ، ثم عزاها بكلمتين رقيقتين ، فتقبلت ذلك بنفس السرور الذي تقبلت به الزواج منه ، وتمنت له التوفيق ، ثم قالت :

– وكما جئت الى هذا القصر سأخرج منه . لقد جئته عارية من كل الرياش والملبوس على الا ما تفضلت به . وسأخلع هذا كله ، فأرجو أن تتصدق على بخرقة أستر بها جسدي

ونضت عنها كل اثوابها وحليها ، وطرح السيدات عليها غلالة ومن يبكين رثاء لها ... اما هي فمضت تصبرهن ثم انصرفت الى بيت ابيها حافية القدمين ، والناس من حولها قد تجمعوا باكين !

وعند عتبة الدار التفتت جريزلدا الى من صحبوها باكين ، وشكرتهم وصرفتهم داعية اياهم الى دوام الولاء لمولاهم الامير ، وانصرفت بعد ذلك لمواساة ابيها الذي اثقله الحزن

وكانت البشائر تتوالى باقتراب موكب « العروس » ، والناس يتهامسون بخسة الامير والتوجع لجريزلدا ، حتى اذا صار الموكب على مسيرة يوم واحد ، ارسل الامير فاستدعى الى قصره جريزلدا ، فجاءته على عجل ، فقال لها :

– يا جريزلدا ! ان الفتاة التي سأزف اليها ستكون هنا غدا في ساعة الغداء ، وسيحضر معها زوج اختي وسائر النبلاء من المدعوين ، وأود ان تكون خدمتهم واستقبالهم على اتم ما يكون ، بحيث لا يحسون نقصا في وسائل راحتهم واكرامهم وانت اخبر الناس بما في قصري ، وادراهم بما ينبغي في مثل هذه المناسبة ، فمن مأمولي ان تقومي انت بالاشراف على الخدمة هذا اليوم ، بصرف النظر عن ظروفك السابقة ، واللاحقة ! وسآمر ان يوضع كل شيء تحت تصرفك هذا اليوم ، وان تطاعي في كل ما تأمرين

فاجابته جريزلدا مسرورة :

– ذلك ليسرني ان اقوم انا باستقبال عروسك الجديدة وخدمتها يوم عرسها من أجل خاطرك . ولن أدخر في ذلك وسعا يا مولاي !

وبدأت لتوها تشرف على نظافة القصر وترتيبه وزينته بكل همة ونشاط ، حتى اصبح القصر يتلألأ بهاء ورونقا . ولكنها لم تبدل ثيابها بل كانت تبدو كأنها احدى الخدم ، وان كانت شخصيتها تطغى على ملابسها الحقيرة

وفي اليوم التالي ، حين علت الشمس في كبد الفضاء ، وصل « الكونت

بيروجيا ، والفتاة واخوها وسائر مرافقيهم . وكانت الفتاة من الحسن الباهر، بحيث تهامس بعض المستقبلين بأن الأمير معذور في تركه جريزلدا من أجلها ، لأنها أجمل منها وأنضر ، وهي الى هذا أكرم أرومة وأزكى منبتا . أما جريزلدا ، فخفت الى استقبال الفتاة عند الباب ، وجثت على ركبتيها أمامها وهتفت بها :

ــ مرحبا بك يا سيدتي !

والتفتت الى الغلام الوسيم والكونت ومرافقيه فقالت :

ــ ومرحبا بكم أيها السادة جميعا

ثم قادت كلا منهم الى الحجرة التي أعدت له ، فبدلوا ثيابهم وقد أدهشهم أن تكون مثل هذه السيدة اللطيفة في مثل هذا الزي المتواضع

ولزمت جريزلدا الفتاة وأخاها حتى اذا قرب موعد الغداء ، اقترب الأمير من جريزلدا وسألها وهو يظهر السرور العظيم :

ــ ما رأيك في عروسي الجديدة يا جريزلدا . أليست فائقة الجمال ؟

ــ لعمر الله يا مولاي ما رأيت في حياتي أبهى منها ولا أنبل طلعة ! وأسأل الله أن يجعل حياتك معها كلها أفراحا ومسرات ، وأسألك أنت يا مولاي أن تكون بها رفيقا ، فهي غضة العود ، لكن بشبابها رحيما

فلم يعد الأمير يطيق كتمان شعوره ، فأخذها بين ذراعيه وقبل جبينها وهو يهتف بها أمام الجميع :

ــ جريزلدا ! جريزلدا ! لقد ثبت لي الآن أن ولاءك من معدن لا يصدأ ولا يعتريه وهن مهما امتحنته الأيام، وأن حبك لي حب صادق منزه عن الأنانية المغرضة . واني لأقسم انه ما من رجل تظله سماء الله منحته الأقدار زوجة تدانيك شرف نفس ونقاء قلب وصدق وفاء . لقد جربتك يا جريزلدا في ولديك ، ثم في منزلتك ، وهأنذا أرد عليك اليوم ما فقدت ، وأجزيك على ما صبرت فهذان ولداك ، وهأنا زوجك المحب . وما كان كل ذلك الا لأبلوك ، وتظهر فضلك للناس جميعا

وما ختم كلامه حتى كانت جريزلدا قد خرت مغشيا عليها ، لأن صدمة الفرح بعد الغم المكتوم كانت أكبر من احتمالها . وأقبل ولداها يقبلان أمهما ويعانقانها ، والناس قد دمعت عيونهم لهذا العيد السعيد ، حبا لها ، فلما أفاقت كانت أسعد امرأة في الوجود ، بزوجها ، وولديها ورعيتها

احسن العزاء

قيل لأعرابية مات ولدها : « ما أحسن عزاءك ! » فقالت : « ان فقدي اياه أمنني كل فقد لسواه ، وان مصيبتي به هونت على المصائب بعده ! »

ان « بنت كولدج » تعطي دروسها باللغة الانجليزية فقط .. ولذلك نشرت هـذا الإعلان بهذه اللغة حتى لا تتلقى سوى طلبـات الذين يعرفونهـا

اشترك فى الهلال

تسديد قيمة الاشتراك

فى القطر المصرى والسودان : تسدد قيمة الاشتراك راسا لادارة الهلال بموجب اذونات أو حوالات بريدية او شيكات او نقدا

فى خارج القطر المصرى : تسدد قيمة الاشتراك لوكيل الهلال او لادارة الهلال رأسا بموجب حوالة مصرفية على احد بنوك القاهرة او حوالة نقدية (Money Order) ولا يمكن قبول اذونات البريد او اوراق البنكنوت

وكلاء الهـــلال

سوريا ولبنان : شركة فرج الله للمطبوعات ـ مركزها الرئيسى بطريق الملكى المتفرع من شارع بيكو فى بيروت (تليفون ٧٨ـ١٧) صندوق بريد ١٠١٢ ـ أو باحدى وكالاتها فى الجهـــات الأخرى . (الأعداد ترسل بالطـــائرة للشركة وهى تتولى تسليمهـــا لحضرات المشـــتركين)

العـــــراق : السيد محمود حلمى ـ المكتبة العصرية ببغداد

اللاذقيـــــة : السيد نخله سكاف

مكة المكرمة : السيد هاشم بن على نحاس ـ ص . ب ٩٧

البحرين والخليج الفـــارسى : السيد مؤيد احمد المؤيد ـ مكتبة المؤيد ـ البحرين

برقـــــة : السيد محمد على بوقعيقيص ـ بنغازى ص . ب ١٠٤

البـــرازيل : Snr. Jorge Suleiman Yazigi, Rua Varnhagen 30, Caixa Postal 3766, Sao Paulo, Brazil.

ساحل الذهب : The Queensway Stores, P.O. Box 400, Accra, Gold Coast, B.W.A.

نيجـــــريا : Mr. M.S. Mansour, 110, Victoria Street, P.O. Box 652, Lagos, Nigeria, W.C.A.

انجلتـــــرا : مكتب توزيع المطبوعات العربية

Arabic Publications Distribution Bureau, 7, Bishopsthorpe Road, Sydenham, London S.E. 26, England.

محمد حسين هيكل

[الشيخ حسن]

محمود تيمور

[رجع إلى قواعده]

بوالو بوشيني

[توسكا]

دستويفسكي

[[illegible] في حياة دستويفسكي]

عزيز أباظة

[أحب قصص في نفسي]

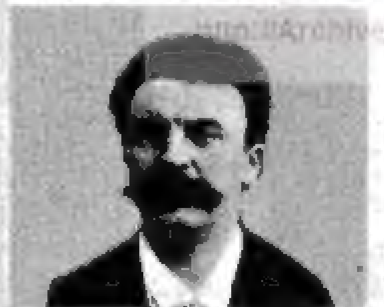

جي دي موبسان

[العقد الأزرق]